الجامعة الإســــــــلامية ــ غزة
عمـــــادة الدراســــــات العليا
كليـــــة أصـــــول الديـــــن
قســـم التفسيـــر وعلوم القـــرآن

تفسير سورة طه

(تفسيراً موضوعياً)

إعداد الطالب
محمود عبد الكريم أحمد الحسن

إشراف
فضيلة الدكتور/ محمد أبو زور

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة

1425 هـ ــ 2004 م

الإهداء

إلى الذين يحبون القرآن الكريم ويرغبون في الكشف عن أسراره

إلى الذين يرغبون في الاهتداء بالقرآن العظيم ليخرجهم من الظلمات إلى النور

إلى الدعاة المخلصين والمربين الفضلاء والوعاظ البلغاء

إلى روح والدي الطاهرة (رحمه الله) الذي رباني على القرآن

إلى أمي الحنون التي تلهج بالدعاء لي ليل نهار

إلى عموم المؤمنين وخصوصهم الذين يزداد إيمانهم بمعرفة تفسير الذكر الحكيم

أقدم بحثي المتواضع عسى الله أن يكون صواباً خالصاً لوجه الله الكريم

وأن ينفع به المسلمين

مُقَدِّمَة

أولاً : توطئة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الخلق أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن القرآن العظيم لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي غرائبه، أعلاه مثمر وأسفله مغدق وهو يعلو ولا يعلى عليه وهو ليس من كلام البشر.

ومن تدبر القرآن وجده متجدداً، كلما قرأه وتلاه ازداد شوقاً لمعرفة أسراره واستنباط لآلئه المكنونة.

فمعينه لا ينضب وخباياه لا تنقطع وهو حياة الأمة وسر وجودها، ففيه شفاء أمراضها وحل مشاكلها وعلاج معضلاتها.

والباحث في آيات القرآن وهي مترابطة قد أخذ بعضها بأعناق بعض كأنها الياقوت والمرجان يلحظ بجلاء هذا النظم الرائع والعقد الفريد فيستخرج المعاني من الألفاظ بما يتناسب مع روح الآيات الكريمة، وقد اخترت هذا المنهج الرائع كي أسطر بحثي هذا في سورة من سورة الكريمة ألا وهي سورة (طه) أحاول بمشيئة الله أن أبرز وحدة الموضوع الرئيس والمحور الأساسي مستعيناً بالله أولاً طالباً منه التوفيق والسداد مسترشداً بأقوال المفسرين القدامى والمحدثين وحسبي في ذلك أن هذا منهج أصيل في نشأته جديد في تطبيقه يفي بحاجة المجتمعات المتجددة في كل عصر ومصر ويبرز وجه الإعجاز بما يلاءم الجميع.

أسأل الله أن يشرح صدورنا لفهم كتابه العزيز وأن يوفقنا لاستخراج الدرر من بحره العميق وأن يجعل هذا العمل صواباً خالصاً لوجهه الكريم آمين يا رب العالمين.

ثانياً : سبب اختيار الموضوع:

1ــ خدمة كتاب الله في البحث والتنقيب عن مقاصد السور وربطها بموضوع واحد.

2ــ إيجاد نماذج تطبيقية لفكرة التفسير الموضوعي.

3ــ إثراء المكتبة الإسلامية بهذا النوع من التفسير (الموضوعي) فإن المكتبة قد اكتظت بالتفاسير التحليلية أما الموضوعية فقليل.

4ــ وجدت أن سورة طه تتحدث عن الدعوة والدعاة ــ وبخاصة قصة موسى مع فرعون ــ وكيف كانت عناية الله تحف أولياءه وتحيط بهم وهذا يؤنس المستضعفين ويتلاءم مع حال الأمة.

ثالثاً: طبيعة الموضوع:

يتناول هذا الموضوع تفسير سورة طه تفسيراً موضوعياً وذلك بالتعرف على محورها وموضوعها الرئيس وأهدافها ثم تقسيمها إلى أفكار وإيجاد رابط بين هذه الأفكار من جهة والربط بينها وبين محورها من جهة أخرى، ثم إخراجها بصورة متكاملة كأنها لُحمة واحدة.

كذلك استنباط الدروس والعبر والعظات من موضوعات السورة الكريمة، ومحاولة الإفادة من ظلال السورة في حياتنا بترجمة آياتها للواقع الذي يعيشه المسلمون تحت وطأة أعداءهم وطمأنة نفوسهم بأن العاقبة لهم.

هذا وقد تجنبت الحديث عن التفسير التحليلي للسورة الكريمة لأن كتب التفسير أغنت عن ذلك إنما اقتصرت على تحليل بعض آياتها لحاجة البحث.

رابعاً: دراسات سابقة:

بعد البحث والتنقيب واستشارة أهل الذكر، ومراسلة مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث مستفسراً عن الأبحاث التي كتبت في سورة طه أخبرت بأنه لم يكتب فيها رسالة جامعية من قبل إذ أن معظم السور الطوال قد كتب فيها فاستعنت بالله عز وجل مستنصحاً د/ محمد أبو زور **(مشرفي على الرسالة)** فأبدى موافقته على ذلك فألفيت لزاماً علي وأنا أتهيأ لكتابة البحث التكميلي لنيل درجة الماجستير أن أكتب حول هذا الموضوع الشيق بمشاركتي في نظم هذا العقد الفريد لسور القرآن الكريم وإخراجها في ثوب قشيب.

ومن الجدير بالذكر أن الذين فسروا سورة طه تناولوا ذلك تحليلاً فحسب.

ولا شك أن صاحب الظلال قد فتح لنا هذا الباب على مصراعيه للدخول إلى عالم التفسير الموضوعي وشارك في وضع الأساس وهو يعرض لذكر مقاصد السور وأغراضها، ويظهر لفتات موضوعية تسعف من أراد أن يكتب في هذا المجال لنشارك

نحن ــ بمشيئة الله تعالى ــ في رفع القواعد داعين الله عز وجل أن يتقبل منا هذا الجهد البسيط، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

كما لا ننسى فضل الأقدمين مثل البقاعي في **(نظم الدرر)** حيث كان يأتي أحياناً بالمناسبات لكن تفسيره لا يأخذ الطابع الموضوعي بخصائصه المعروفة التي حددها المعاصرون أمثال د/ مصطفى مسلم وعبد الستار سعيد وغيرهما.

خامساً: منهج الباحث:

أما منهجي في هذا البحث فألخصه في النقاط التالية:

1ــ سأسلك في بحثي منهج التفسير الموضوعي للسورة ملتزماً بفكرته التي ذكرها العلماء، وما ورد من جوانب تحليلية فهو ما تقتضيه طبيعة الموضوع وتفرضه حاجة البحث.

2ــ سأقسم السورة إلى مقاطع بحيث تستوعب كل الآيات.

3ــ سأقوم بربط هذه المقاطع بمحور السورة وموضوعها الرئيس لتظهر الوحدة الموضوعية بين جميع قضايا السورة ومقاطع السورة مع وضع عناوين لهذه المقاطع.

4ــ سأجتهد ــ بعون الله ــ في ربط هذا الموضوع بقضايا العصر، لأنني لا أريد أن يخرج بحثاً نظرياً بعيداً عن الواقع، فالثمرة منه بقدر إفادة الأمة حاضراً ومستقبلاً.

5ــ سأخرج الأحاديث من كتب السنة المعتبرة وبيان درجة صحتها من خلال حكم العلماء عليها عدا المذكور في الصحيحين.

6ــ سأكتفي في الأحاديث بالإشارة إلى اسم المؤلف واسم الكتاب ورقم الحديث اختصاراً للهوامش، وقد أعدل عن كتابة رقم الحديث إن تعسر ذلك.

7ــ سأحرص على اختيار المصادر الأصلية، وعدم اللجوء إلى البديل وسألزم العزو لكل مصدر أو مرجع أفدت منه مرتباً المصادر والمراجع على الحروف الهجائية حسب أول حرف من المصدر.

8- سأرتب المصادر والمراجع مفهرسة على حروف المعجم حسب أول حرف من المصدر أو المرجع.

9- سأثبت مراجع في الحاشية على حسب اسم المؤلف واسم المرجع والجزء والصفحة، وإذا ذكرت اسم المؤلف في أعلى الصفحة فلن أعيده ثانية في الحاشية.

10ــ سأترجم للأعلام المغمورين فقط.

11ــ سألتزم بترقيم الآيات وعزوها إلى سورها، إلا إذا ذكرت الآية في الموضوع الواحد عدة مرات فأكتفي غالباً بترقيمها أول مرة، دفعاً للتكرار ولسهولة معرفة موضوعها آنذاك وسأجعل الترقيم بعد الآية مباشرة وليس في الهوامش السفلية.

12ــ سأشرح الكلمات الغريبة في البحث من المعاجم اللغوية الشهيرة أو المختصة بشرح غريب القرآن أو الحديث.

خطة البحث

القسم الأول

ويشتمل على ما يلي:

أولاً: محور السورة

ثانياً: أهداف السورة الأساسية

ثالثاً: اسم السورة وعدد آياتها

رابعاً: خصائص السورة ووقت نزولها

خامساً: أسباب نزول السورة

سادساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

سابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها

ثامناً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها

القسم الثاني

المقطع الأول

قصة موسى مع فرعون

افتتاحية السورة

موضوعات الافتتاحية وتشتمل على :

1. **القرآن مصدر السعادة**
2. **كمال صفاته جل وعلا**
3. **كمال أسمائه سبحانه**

الحلقة الأولى : مؤانسة الله تعالى لمحمد بحديث موسى عليهما السلام

الحلقة الثانية : مؤانسة الله لموسى عليه السلام ورعايته

الفقرة الأولى : مؤانسته بالمعجزات

الفقرة الثانية : رسالة موسى إلى فرعون وما صاحبها من تأييد

الحلقة الثالثة : منن الله تعالى على موسى عليه السلام

الحلقة الرابعة : أساليب موسى عليه السلام في دعوته لفرعون

الحلقة الخامسة : فرعون والسحرة وتصديهم للحق

الحلقة السادسة : الإيمان بالله أساس السعادة

المقطع الثاني

أولاً : موقف موسى عليه السلام من عباد العجل

1. **التعجل لمرضاة الله تعالى**

2. **الغضب إذا انتهكت حرمات الله**

فتنة السامري

من هو السامري ؟

ما هي حقيقة العجل الذي عبده بنو إسرائيل ؟

ثانياً : موقف موسى عليه السلام من أخيه هارون

إجابة هارون على أخيه موسى عليه السلام

ثالثاً : موقف موسى من السامري

جزاء السامري

الدروس والعبر من قصة السامري

المقطع الثالث

مواقف يوم القيامة

المناسبة بين المقاطع الثلاثة

أحوال الأشقياء المعرضين عن ذكر الله تعالى

النفخ في الصور

نسف الجبال

الشفاعة

وقفة مع عربية القرآن وعدم تعجل قراءته

المقطع الرابع

قصة آدم عليه السلام

عرض عام لقصة آدم

وقفة مع الجنة التي أهبط منها آدم عليه السلام

أدلة الطائفتين

الفوائد المستنبطة من قصة آدم عليه السلام

تعقيب على قصة آدم عليه السلام

الحكمة من هبوط آدم من الجنة
المناسبة بين قصة آدم وما قبلها
المناسبة بين المقطع الرابع ومحور السورة
المقطع الخامس
رضا الله أعلى درجات السعادة
عرض عام للمقطع
وسائل إدراك السعادة
العظات والعبر من المقطع الخامس
المناسبة بين المقطع الخامس وما قبله
خاتمة السورة
المعنى العام للخاتمة
كلام عن عصمة الأنبياء
مباحث مهمة تتعلق بسورة طه.
الموضوعات التي انفردت بها سورة طه
الكلمات التي انفردت بها سورة طه
أوجه الشبه بين رسالة موسى ورسالة محمد عليهما السلام
معالم القصص القرآني وتطبيق ذلك على قصة موسى عليه السلام
تأملات تربوية في سورة طه
من الإعجاز العلمي في سورة طه
خاتمة البحث
ويشتمل على :
- أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث والدراسة
- أهم التوصيات

القسم الأول

ويشتمل على ما يلي:

أولاً: محـور السورة.

ثانياً: أهداف السورة الأساسية.

ثالثاً: اسم السورة وعدد آياتها.

رابعاً: خصائص السورة ووقت نزولها.

خامساً: أسباب نزول السورة.

سادساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

سابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها.

ثامناً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.

القسم الأول

تمهيد بين يدي السورة

❋ أولاً: محور السورة:

إن الذي ينظر بإمعان في سورة طه يجد أنها تدور حول معانٍ رائعة في جو عام يملأ جنباتها باللطف والمؤانسة والرعاية للعاملين في حقل الدعوة إلى الله -عز وجل- وقد تجلى ذلك في تسلية الله تعالى لنبيه محمد ﷺ حينما أنزل عليه القرآن لا ليشقى وإنما ليسعد وتسعد الإنسانية كلها، متمثلاً في قوله تعالى: ﴿ **مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ** ﴾ (طـه : 2) كما تجلى ذلك في مؤانسة موسى عليه السلام والتدرج في رعايته منذ اللحظات الأولى التي ولد فيها حتى كانت المواجهة بينه وبين الطاغية فرعون، فأيد الله نبيه موسى ومن معه من الموحدين وأهلك أهل الشقاوة من المكذبين.

أما في قصة آدم فقد برز لطف الله تعالى بعباده حيث تاب على آدم وهداه، وكذلك يتوب على التائبين، ولذلك جاءت الإشارة إلى أن إطاعة الشيطان أساس الشقاوة وإطاعة الله تعالى أساس السعادة قال تعالى: ﴿ **فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ** ﴾ (طه : 117) كذلك جاء في خاتمة السورة إن من اتبع رضوان الله فاز بدار السعادة، ومن أعرض عن ذكره فقد وقع في ضنك الشقاوة؛ قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا** ﴾ **(طه : 123ـ124).**

جميع هذه المعاني دفعت الباحث لأن يختار للسورة عنواناً يمثل محوراً لها تدور آياتها حوله وهو **(مؤانسة السعداء).**

هذا وقد أحسن السيوطي -رحمه الله- حين أشار في المعترك إلى أن مبنى هذه

السورة بجملتها على التلطف والتأنيس[1].

وهناك إشارات عند البقاعي* وسيد قطب و ابن عاشور* إلى أن الـــسورة فـــي معظمها تنويه بأن القرآن قد نزل لسعادة البشرية.

لأجل ذلك رأى الباحث أن يجمع بين الأمرين في العنوان السابق الذي اختـــاره ليكون محوراً للسورة **(الأنس والسعادة)**.

❖ ثانياً: أهداف السورة الأساسية:

بالرجوع إلى كتب التفسير ألفيت لهذه السورة أهدافاً وأغراضاً متعددة منها مـــا هو عام في مثيلاتها من السور المكية ومنها ما هو خاص بهذه السورة الكريمة.

فأما الأهداف العامة فألخص أهمها فيما يلي:

1- التركيز على توحيد الله -عز وجل- بأنواعه الثلاثة الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

2- عرضت السورة لمقام النبوة واختيار موسى عليه السلام ومؤازرته بأخيه لتبليغ دعـــوة الحق والعهد المقطوع على آدم عليه السلام.

3- برزت في السورة بعض مشاهد يوم القيامة في عبـــارات تهتـــز لهـــا القلـــوب ويرتجف لها الكون.

4- عرضت السورة ليوم الحشر الأكبر حيث يحاسب الناس على أعمـــالهم فيفـــوز الطائعون بالجنة ورضوان الله تعالى ويخسر المبطلون فيحملون أوزارهم إلى النـــار تصديقاً لوعد الله ووعيده.

وأما الأهداف الخاصة فألخص أهمها فيما يلي:

---

(1) السيوطي : معترك الأقران (70/3).

* هو الإمام العلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المفسر المؤرخ المحدث الأديب، ولد سنة 809 هـــ وتوفي سنة 885 هـــ، من أهم مؤلفاته: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وله ديوان شعر ورسالة (ليس بالإمكان أبدع مما كان) في الرد على بعض الفلاسفة، والأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل ومؤلفات أخرى في التصوف، كحالة: معجم المؤلفين (61/1).

* هو محمد الطاهر ابن عاشور ــ مفتي المالكية بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس من مصنفاته تفسير التحرير والتنوير ــ ومقاصد الشريعة الإسلامية توفى سنة 1393هـــ، الزركلي: الأعلام (174/6).

فقد حوت من الأهداف والأغراض على:

1- التحدي بالقرآن بذكر الحروف المقطعة في مفتتحها.

2- التنويه بأنه تنزيل من الله لسعادة البشرية وهدايتها، فأكثر السورة في هذا الشأن.

3- التنويه بعظمة الله تعالى وإثبات رسالة محمد ﷺ بأنها تماثل رسالة أعظم رسول قبله شاع ذكره في الناس فضرب المثل لنزول القرآن على محمد ﷺ بكلام موسى عليه السلام[1].

4- بسط نشأة موسى عليه السلام وتأييد الله إياه ونصره على فرعون بالحجة والمعجزات.

5- إنجاء الله موسى وقومه وغرق فرعون، وما أكرم الله به بنـــى إســـرائيل فـــي خروجهم من بلد القبط.

6- التشنيع على بني إسرائيل لعبادتهم العجل في مغيب موسى عليه السلام.

7- تذكير الناس بعداوة الشيطان للإنسان بما تضمنته قصة خلق آدم.

8- تسلية النبي ﷺ وتأنيسه حتى يكاد القارئ يلمس ذلك في معظم آيات السورة مما جعل السيوطي يعتبر أن محور السورة يدور حول التلطف والتأنيس[2] كما مر معنا سابقاً.

❖ ثالثاً: اسم السورة وعدد آياتها:

اسمها:

سميت بسورة طه كما هو مثبت في المصحف العثماني.

وقد أورد ابن كثير[3] بسنده عن أبي هريرة قال : قال رســـول الله ﷺ : "**إن الله قرأ طه، ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلما سمعت الملائكة قالوا : طوبى لأمة ينزل عليهم هذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسن تتكلم بهذا**".

ثم ذكر ابن كثير -**رحمه الله**- أن هذا الحديث غريب وفيه نكارة، وإبراهيم بـــن مهاجر وشيخه تكلم فيهما.

---

(1) التحرير والتنوير (181/8).

(2) السيوطي : معترك الأقران (70/3).

(3) رواه الدارمي : السنن (كتاب فضائل القرآن "20" باب فضل سورة طه ويس (ح3414)، وابن خزيمـــة : الـــصحيح (ح236)، وقال الألباني في (ظلال الجنة): إسناده ضعيف جداً (ص281).

ويرى الباحث أن هذا الحديث إن صح فإنه يعد عمدة في تسمية السورة بحيث تكون مروية عن النبي ﷺ لكنه حديث ضعيف جداً.

كما ذكر ابن عاشور أن صاحب الإتقان نقل عن الهذلي في كامله أنها تسمى **(سورة موسى)**[1].

عدد آياتها:

اختلف العلماء في عدد آيات سورة طه على أقوال:

قيل مائة وثلاثون واثنتا آية.

وقيل مائة وأربع وثلاثون.

وقيل مائة وخمس وثلاثون وبه قال الطبري[2].

وقيل مائة وأربعون آية[3].

وقال الداني في البيان وهي مائة وثلاثون وآيتان بصري، وأربع مدنيات ومكي، وخمس كوفي، وأربعون شامي[4].

سبب الاختلاف في عدد الآيات:

وقد يسأل سائل عن سبب هذا الاختلاف.

نقول –وبالله التوفيق– كان الرسول ﷺ يقف في قراءته غالباً عند رؤوس الآي، ولكنه ﷺ كان يقف أحياناً على غير رأس الآي لبيان الجواز، فيحسب الصحابة ممن لم يسمعوا النبي ﷺ هي رأس الآي،هذا هو السبب الرئيس[5] وهناك سبب آخر أشار إليه الزركشي في البرهان، وهو اختلاف العلماء في عد **(بسم الله الرحمن الرحيم)** حيث اختلفوا فيها أهي آية أم ليست آية[1] وهذا خلاف لا يعم كل ما وقع فيه خلاف بالطبع.

---

(1) الإتقان ج (72/1).

(2) جامع البيان (174/9).

(3) الإتقان ج (192/1).

(4) الداني : البيان في عد آي القرآن ص (183).

(5) فضل عباس : إتقان البرهان(435/1).

(1) الزركشي : البرهان (222/1).

بيان ما ورد في معنى طه:

جاء في معنى طه عدة أقوال أسوقها كما هي عند المفسرين:

أحدها: أنه بالسريانية يا رجل ؛ قاله ابن عباس –رضي الله عنهما–، ومجاهد وحكى الطبري[2]: أنه بالنبطية يا رجل؛ وقاله ابن جبير والسدي كذلك.

وقال الكلبي : هو لغة عُكْل[3]، وقال قطرب: هو بلغة طيء، وأنشد ليزيد بن مهلهل[4]*:

إن السفاهة (طه) من خليقتكم لا قدس الله أرواح الملاعين

وقيل بالحبشية وقيل بالعبرانية وقيل لغة يمنية[5].

الثاني: أنه اسم من أسماء الله تعالى[6] وقسمٌ أقسم الله بطوْله وهدايته، وهذا مروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أيضاً.

الثالث: أنه اسم السورة ومفتاح لها.

الرابع : أنه اختصار من كلام خص الله رسوله بعلمه.

الخامس: أنه حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى.

السادس: معناه : طوبى لمن اهتدى.

السابع: معناه طأ الأرض بقدمك، ولا تقم علي إحدى رجليك يعني في الصلاة.

ويحتمل ثامناً: أن يكون معناه طهّر ويتحمل ما أمره بتطهيره وجهين:

أحدهما: طهر قلبك من الخوف.

---

(2) جامع البيان (135/16) واختاره ورجحه على غيره.

(3) وفي الطبري (136/16) عك بدون لام، وهي قبيلة معروفة بالأندلس انظر جمهرة أنساب العرب (328).

(4) الطبري (137/16) ولم ينسبه والشطر الثاني فيه : لا بارك الله في القوم الملاعين.

* يزيد بن المهلهل: وهو الصحابي يزيد بن مهلهل بن يزيد الطائي وفد على النبي ﷺ في سنة تسع هـ وسماه النبي ﷺ (زيد الخير) وكان يسمى (زيد الخيل)، وهو شاعر وخطيب شجاع وكريم، وكان أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم. تأخرت وفاته حتى موت النبي ﷺ (الإصابة 513/2–515).

البيت استشهد به الطبري (102/16)، وابن عطية (62/11) الماوردي (7/3)، وأبو حيان، (224/6).

(5) ذكر هذه الأقوال أبو حيان في البحر المحيط ولم ينسبها لأحد (309/7) ونسب معظمها الشوكاني : فتح القدير (442/3) وأضاف أن طه في لغة عك بمعني يا حبيبي.

(6) تفصيل ذلك عند ابن الجوزي : زاد المسير (205/5–207).

والثاني: طهر أمتك من الشرك.

التاسع: أنها اسم النبي ﷺ.

تعليقات على هذه الأقوال:

من الملاحظ للباحث أن أقوال المفسرين في معظمها في معنى طه لم تخرج عن هذه الأقوال وإن كان بعضهم قد رجح بعضها وأوردها آخرون دون ترجيح وإليك التوضيح.

أما القول الأول: وإنها بمعنى يا رجل فهي عند أكثر المفسرين كما حكاه الواحدي ونقله الشوكاني[1].

وكونها بهذه اللغات المتعددة النبطية والحبشية وغيرها فنرى أن الشوكاني **-رحمه الله-** يعلق عليها قائلاً: "ولا مانع من أن تكون هذه الكلمة موضوعة لذلك المعنى في تلك اللغات كلها إذا صح النقل"[2].

ثم أردف يقول نقلاً عن ابن الأنباري: ولغة قريش وافقت تلك اللغة "**يعني لغة عك**" في هذا المعنى، لأن الله سبحانه لم يخاطب نبيه بلسان غير قريش انتهى كلام ابن الأنباري.

"وإذا تقرر أنها لهذا المعنى في لغة من لغات العرب ــ والكلام للشوكاني -رحمه الله- كانت ظاهرة المعنى واضحة الدلالة خارجة عن فواتح السور..."[3].

ويؤيد هذا القول ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن جبير قال : بالنبطية **(طه)**: يا رجل[4].

---

(1) الشوكاني : فتح القدير (442/3).

(2) الشوكاني : فتح القدير (442/3).

(3) الشوكاني : فتح القدير (442،443/3).

(4) البخاري : الصحيح (كتاب التفسير، باب سورة طه، معلقاً ضمن ترجمة الباب ووصله ابن حجر كما في فتح الباري (432/8).

أما القول الثـاني: وهو كونه اسماً من أسماء الله تعالى أو قسم أقسم الله به فقد ذكـــره بعض المفسرين كالماوردي* في تفسيره النكت والعيون[1] وابن الجوزي فـــي زاد المسير[2] والشوكاني في فتح القدير[3] وغيرهم واستبعده آخرون فلم يعرضوا لذكره والذين ساقوه لم يأتوا بأدلة تثبت ما قالوا وقد أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما[4].

أما القول الثالث: أنها اسم للسورة فلا شك أنها تسمى طه عند الجميع كمـــا عـــرض الباحث لذلك عند الحديث عن اسم السورة والذي يظهر والله أعلم أن الذي ميزها أن الحرفين ط،هـــ لم يتكررا مجتمعين في سورة غير هذه السورة، فلا ينبغي لقارئ أن يقول مثلاً قرأت سورة ألم أو سورة حم دون أن يميزها أما طه فلا يتحرج أحد من قوله قرأت سورة طه كل هذا يضاف إلى الأحاديث التي جاء فيها تحديد اسم السورة بطه.

أما القول الرابع: فواضح البعد والغرابة لأنه بدون دليل وبرهان، فليس في القـــرآن ولا في السنة ما يدل على أن الله تعالى قد اختص نبيه محمداً ﷺ بأمور مبهمة بحيث تعتبر هذه الحروف اختصاراً لها.

فهذا إذا تكلف وتعسف لا ينبغي أن يلتفت إليه.

أما القول الخامس: وأنه حروف مقطعة يدل كل حرف علـــى معنـــى، فقـــد اختلـــف المفسرون في هذه المعاني التي تدل عليها هذه الحروف على أقوال ضَربتُ عنهـــا

---

* هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (الماوردي) مفكر ومفسر وفقيه وأديب (364ـــ450) هـــ من أهم مؤلفاته : (النكت والعيون : تفسير للقرآن) والحادي الكبير في فقه الشافعية، وأدب القاضي، وأعلام النبوة والأحكـــام السلطانية.

تراجع ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي (303/3) ووفيات الأعيان (442/2) وشذرات الذهب (283/3).

(1) الماوردي : النكت والعيون (393/3).

(2) ابن الجوزي : زاد المسير (ص 199).

(3) فتح القدير (442/3).

(4) إمداد القارئ بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري (3/3) وقال الشيخ عبيد الجابري وفي إسناده عبد الله بن صالح ومعاوية بن صالح وكلاهما ضعيف.

صحفاً وقد أنكرها القنوجي* (رحمه الله) في فتح البيان[1] وأنكرها كذلك الشوكاني في فتح القدير[2].

أما القول الـسادس: أن معناها طوبى لمن اهتدى فهو ظـــاهر الـــضعف وقـــد أورده الماوردي ونسبه لمحمد الباقر بن علي زين العابدين -رحمها الله-.

وذكره الشوكاني ولم يعلق عليه ولم ينسبه لأحد.

والذي دفعني للقول بضعفه أنني لم أجد من المفسرين مـــن أشـــار إليـــه، بـــل واستبعده كبار المفسرين كالطبري والزمخشري، وحتى الذين أتوا بهذا القول جاءوا به مسوقاً بدون دليل ولعل الذين قالوا بهذا القول اقتطعوا حرف الطاء من **(طـــوبى)** والهاء من **(اهتدى)** وهذا الكلام بعيد النجعة شديد التكلف لأننا بالإمكـــان أن نـــأتي بكلمات مماثلة تحمل هذه الحروف.

أما القول السابع: إنه بمعنى طأ الأرض بقدميك يا محمد فقد ذكر القاضي عياض في الشفاء[3]عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا صلى قام علـــى رجـــل ورفـــع الأخرى فأنزل الله **(طـــه)** يعنى طأ الأرض بقدميك يا محمد، وعلى هذا القول فالهاء مبدلة من الهمزة والهمزة خففت بإبدالها ألفاً.

---

* هو محمد صديق حسن خان القنوجي نسبة إلى قنوج وهي من بلاد الهند ولد سنة 1248هـــ في بيت صالح ورحل في طلب العلم وتتلمذ على أيدي كبار علماء الهند، وله مؤلفات كثيرة منها فتح البيان في مقاصد القرآن، ونيل المـــرام مـــن تفسير آيات الأحكام، وحسن الأسوة، توفى رحمه الله سنة 1307هـــ ، الزركلي : الأعلام (36/7).

(1) القنوجي : فتح البيان (210/8).

(2) الشوكاني : فتح القدير(422/3).

(3) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفي(62/1).

قال محقق الكتاب محمد العلاوي : إسناده مرسل : فإن الربيع بن أنس من الطبقة الخامسة وعزاه السيوطي في "المناهل" (ص 37) إلى عبد بن محيد في تفسيره كما أسنده المصنف من هذا الطريق وقال أيضاً، وقد ورد ذلك موصولاً عن علي، أخرجه ابن مردويه بلفظ : لما نزلت **(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ)** فقام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلاً ويضع أخرى، فهبط جبريل فقال طأ الأرض بقدميك يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، وأخرجه نحوه عن ابن عبـــاس رضـــي الله عنهما.

قال الشنقيطي* معلقاً على هذا الكلام : "ولا يخفى ما في هذا القول من التعسف والبعد عن الظاهر"[1].

وقد رجع الباحث إلى الكتب التي تتحدث عن أسباب النزول فلم يجد فيهـــا هـــذا الأثر لا في الصحيح ولا في الضعيف.

القول الثامن: أنها بمعنى طهر وقد أورد هذا القول الماوردي[2] ولم يعلق عليه ولكن يبدو أن هذا القول يشبه القول السادس ويرد عليه بما رُدّ على القول السادس.

القول التاسع: أنه اسم من أسماء النبي ﷺ.

وقد أورد هذا القول بعض المفسرين وإن لم ينصره غالبهم لكنه ضمن الأقـــوال الواردة في معنى **(طه)** وبالرجوع إلى كتب السنة المطهرة فـــإن الأحاديـــث التـــي ذكرت أسماء النبي ﷺ لم يأت فيها اسم طه مطلقاً.

ومن ذلك ما ذكره ابن القيم[3] من حديث جبير بن مطعم قال : سمى لنا رســـول الله ﷺ نفسه أسماء فقال : "**أنا مُحمدٌ، وأنا أَحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو اللهُ بيَ الكُفرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على قدميِ، والعاقبُ الذي لـــيس بعـــدهُ نبـــي**"[4]، وكذلك وردت صفات أخرى للنبي ﷺ في كتب السنن والسيرة وليس منها طه.

الرأي الراجح:

والرأي الذي يراه الباحث راجحاً أن **(طه)** من الحروف المقطعـــة فـــي أوائـــل السور ويدل لذلك أن الطاء والهاء المذكورتين في فاتحة هذه الـــسور جاءتـــا فـــي

---

* هو الإمام محمد الأمين الشنقيطي الجكني ولد في موريتانيا سنة 1325هـــ ونشأ في جو يغلب عليه الطابع العلمي وحب الجهاد، تعلم في بلده ثم انتقل إلى المدينة المنورة واستقر به المقام فيها توفى رحمه الله سنة 1393هـــ بمكة المكرمة. من مؤلفاته : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، وكتاب دفع إيهاب الاضطراب في آي الكتاب، وغير ذلك.
تراجع ترجمته في مقدمة تفسيره للشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة. أضواء البيان (3/1).

(1) أضواء البيان (3/5).

(2) النكت والعيون (393/3).

(3) زاد المعاد (88/3).

(4) أخرجه البخاري الصحيح: كتاب التفسير،باب يأتي من بعدي اسمه أحمد، 788/8، (ح4896)، ومـــسلم: الـــصحيح، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ 115/8 (ح2354).

مواضع أُخر، لا نزاع فيها في أنها من الحروف المقطعة. أما الطـــاء ففـــي فاتحـــة الشعراء (طسّمّ) (26/1) وفاتحة النمل (طسّ) (27/1) وفاتحة القصص. وأما الهاء ففي فاتحة مريم، في قوله تعالى:(كٓهيعٓصٓ). وهذا ما رجحه الشنقيطي[1].

ولا يمنع أن تكون بمعني يا رجل لما صَحَّ من حديث ابن جبير الذي سبق ذكره في الحديث عن معاني (طه) الذي رجحه الطبري في جامعه[2].

❖ رابعاً: خصائص السورة ووقت نزولها:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن السورة مكية وقد ذكر ابن حجر في خلال كلامه عن بعض السور ومنها سورة طه قال : الجمهور على أن الجميع مكيات وشذ مـــن قال خلاف ذلك[3]، وقد ذكر القرطبي أنها كذلك في قـــول الجميـــع[4] وأكـــده ابـــن عطية[5]، وأقره الشوكاني[6] ومن المحدثين ابـــن عاشـــور وبـــين أن ذلـــك قـــول الجمهور[7].

واستثنى منها صاحب الإتقان قوله تعالى: (فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ...)[8]

وأشار محقق الإتقان (محمد أبو الفضل إبراهيم) إلى أنه ينبغي أن يستثنى آية أخرى وهي قوله تعالى : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ...).

أما الآية الأولى: فلعل سبب استثنائها لاعتبار أن التسبيح يعني الصلوات الخمس، وهو أمر غير مسلَّم؛ فإن التسبيح قد زخرت به آي القرآن الحكيم وليس قاصـــراً علـــى الصلوات الخمس.

---

(1) الشنقيطي : أضواء البيان (3/4).
(2) جامع البيان (175/9).
(3) ابن حجر : فتح الباري (289/8).
(4) القرطبي : تفسيره (149/6).
(5) المحرر الوجيز (30/4).
(6) فتح القدير (441/3)
(7) التحرير والتنوير (180/8).
(8) الإتقان (42/1).

والذي يظهر أن هذه الآية مكية كذلك بل إن كل كلمة في هذه الآية ــ كما قـــال د. فضل عباس[1] ناطقة بمكيتها ويلاحظ في بداية الآية الأمر بالصبر على ما يقوله المشركون، وهذا إنما كان قبل الهجرة وقبل فرض الجهاد.. والله أعلم.

أما الآية الثانية: وهي قوله تعالى :**(وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ...)** فقد ذكر السيوطي–**رحمه الله**– حديثاً في سبب نزولها هو حديث أبي رافع ولعل الإشارة بمدنية هذه الآية جاء من عبارة **(فأرسلني إلى رجل من اليهود)** لأن اليهود إنما كانوا في المدينة وكـــان التعامل بينهم وبين المسلمين بعد الهجرة. لكن هذه الرواية ضعيفة من جهة الإســـناد أولاً ومن جهة المتن ثانياً، فإن الآية مكية والحادثة مدنية في آخر عمر الرســـول ﷺ وهذا ما ذكره ابن عطية في تفسيره[2].

فقد أخرج البزار وأبو يعلي عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفاً فأرسلني إلى رجل من اليهود: أن أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا إلا برهن، فأتيـــت النبي ﷺ فأخبرته : فقال : "**أما والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض**" فلـــم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: **(وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ)**.

قال ابن عاشور معلقاً على هذا الحديث:

"**وعندي أنه إن صح حديث أبى رافع[3] فهو من اشتباه التلاوة بالنزول فلعل النبي ﷺ قرأها متذكراً فظنها أبو رافع نازلة ساعتئذٍ ولم يكن سمعها قبل أو أطلق النزول على التلاوة، ولهذا نظائر كثيرة في أسباب النزول كما علمته غير مرة**"[4].

---

(1) فضل عباس : إتقان البرهان (387/1).

(2) ابن عطية : المحرر الوجيز (115/10).

(3) رواه الطبراني: المعجم الكبير (255/1)، رقم (989) عن أبي رافع بمثله، وصححه الألباني : صحيح الجامع الصغير (284/1) رقم (1337).

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير (180/8).

فضلها :

من المعلوم لدى المحققين من أهل العلم أن غالب ما ورد من أحاديـــث فـــي فضائل السور إما ضعيف أو موضوع، وما صح منها فهو قليل.

وقد أورد الباحث عند الكلام عن اسم السورة حديثاً ضعيفاً وبين حكم العلماء عليـــه وهو حديث "**إن الله قرأ طه....**".

لكن أخرج البخاري حديثاً عن ابن مسعود قال : "**بنـــي إســـرائيل، والكهـــف، ومريم، وطه، والأنبياء هن من العتاق**[1] **الأول، وهن من تلادى**"[2].

وقت نزولها:

نزلت سورة طه بعد سورة مريم وقد نزلت سورة طه فيما بـــين الهجـــرة إلـــى الحبشة فيكون نزول سورة طه في ذلك التاريخ أيضاً: أي بعد السنة الـــسابعة مـــن البعثة وقبل السنة الحادية عشر من البعثة[3].

❖ **خامساً: أسباب نزول السورة:**

من الملاحظ لدى الباحث أن المفسرين الذين طرقوا أبواب **(أسباب النزول)** حين يفسرون سورة طه نجد أن أغلبهم يدورون حول ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رسول الله ﷺ كان يراوح بين قدميه، يقوم على رجل، حتى نزلت هـــذه الآية[4].

ثانياً: أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه القرآن أطال القيام هو وأصحابه، فقالت قريش:

ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك[5].

---

(1) العتاق : جمع عتيق وهو القديم وقد أراد أنها من أول ما تعلمه من القرآن بمكة وكذا كلمة تلادي، ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث (179/3)، (194/1).

(2) البخاري : كتاب التفسير (65) سورة الأنبياء (21) باب (1) الترجمة، وكتاب فضائل القرآن (66) تأليف القرآن.

(3) عبد الله شحاتة : تفسير القرآن الكريم (3136/8).

(4) السيوطي : الدر المنثور (288/4) من رواية البزار عن علي رضي الله عنه.

(5) الواحدي : أسباب النزول (174) وذكره السيوطي : الدر المنثور (289/4) من رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك.

ثالثاً: أن أبا جهل، والنضر بن الحارث، والمطعم بن عدي، قـــالوا لرســـول الله ﷺ إنك لتشقى بترك ديننا فنزلت هذه الآية قاله مقاتل [1].

ولعل تعدد هذه الأسباب هو من باب تعدد الأسباب والنازل واحد؛ وذلك ســـائغ عند المفسرين.

❖ سادساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها :

معلومٌ أن سورة مريم قبل سورة طه في ترتيب المصحف ولابد مـــن ملاحظـــة المناسبة بين السورتين:

أولاً: أول سورة مريم مع أول طه: افتتحت ســـورة مـــريم بـــالحروف المقطعـــة **(كهيعص)** وكذلك سورة طه مفتتحة بحروف مقطعة ثم جاء الحـــديث بعـــد مفتـــتح كليهما عن القرآن الكريم.

ثم تذكر سورة مريم أن ذكر القرآن جاء رحمة للعباد جميعاً وفي أوائل السورة إخبار بأن القرآن الكريم تذكرة، والتذكرة بشارة ونذارة.

ثانياً: لما ذكر في سورة مريم قصص عدد من الأنبياء والمرسلين بعضها بطريقـــة البسط والإطناب كقصص زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وبعضها بين البسط والإيجاز، كقصة إبراهيم عليه السلام، وبعضها موجز مجمل كقصة موسى عليه السلام، ثم أشـــار إلى بقية النبيين بالإجمال ذكر في سورة طه قصة موسى التي أجملت فيما ســـلف، واستوعبها غاية الاستيعاب ثم فصَّل قصة آدم عليه السلام ، ولم يذكر في سورة مـــريم إلا اسمه فحسب.

ثالثاً: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سورة طه نزلت بعد ســـورة مـــريم فيكون ترتيب النزول موافقاً لترتيب التلاوة[2].

---

(1) الواحدي : أسباب النزول (174).

(2) عبد الحميد كشك : في رحاب التفسير (2359/3)، ولا أدري من أين أتى الشيخ بهذه الرواية عن ابن عباس فـــإني لأظنها ضعيفة، فما وقفت عليها.

ختمت سورة مريم بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ (مريم : 97-98).

وبدأت سورة طه بقوله: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾(طه : 1-3).

والختام والبدء، على سواء في تذكير النبي صلوات الله وسلامه عليه، بأنه ليس مسئولاً عن هداية الناس، وحملهم حملاً على الإيمان بالله وإنما دعوته هي تبليغ رسالة ربه...والرسالة ــ كما يحملها القرآن الكريم ــ واضحة بينه، لا تحتاج إلى جهد يبذل وراءها، ليكشف عن مضامينها...إنها لا تحتاج ــ لكي يجني الناس ثمراتها ــ إلا إلى آذان تسمع، وعقول تعقل وقلوب تعي ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (الزمر : 41).

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(الكهف:29).

لما كان خاتمة سورة مريم بأنه تعالى سيجعل للمؤمنين وداً ناسب أن ينفي الشقاء عن نبيه ويؤمنه من كل مكروه.

ولربما كان سبب حصول هذا الأمان أنه لما ختمت سورة مريم بإهلاك القرون الغابرة وإبادة الأمم بعد إنذار القوم اللد، بل يلاحظ أنه لم تختم سورة من السور الماضية بمثل ذلك، كان ربما أفهم أنه قد انقضت مدتهم، وحل بوارهم وآتي دمارهم فلم تعد تسمع لهم ركزاً، وأنه لا يؤمن منهم ــ لما هم فيه من اللد ــ إلا من قد آمن فحصل بذلك من الغم والحزن ما لا يعلم قدره إلا الله، لأن الأمر كان في ابتدائه، ولم

يسلم منهم إلا نفر يسير جداً، فسكن سبحانه الروع بقوله: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾(طه : 2)[1].

- وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾ إشارة إلى أن هذا القرآن فيه تذكير عظيم للمتقين الذين أشارت إليهم سورة مريم.
- أشارت خاتمة سورة مريم إلى ذكر أولئك القوم الأشداء ذوو الأنفة والشماخة، حتى سماهم الله تعالى قوماً لداً أي في غاية البعد، فأراد الله تعالى أن يدينهم ويترفق بهم فكان هذا القرآن (تنزيلاً) وفي هذا المصدر إشارة إلى التمهل والتدرج في نزول القرآن لإزالة الشبهات وشرح الصدور وتسكين النفوس الثائرة(2).

أما في سورة مريم جاء نفي الشقاوة في دعاء زكريا عليه السلام : ﴿ وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾(مريم : 4) وكذلك نفي التجبر والشقاوة عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴾(مريم : 32)، كما جاء نفي الشقاوة في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾(مريم : 48).

جاء نفي الشقاوة في سورة طه عن النبي ﷺ في إنزال القرآن عليه ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ وكذلك جاء نفي الشقاوة عمن ابتعد عن طريق الشيطان ﴿ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ (طه: 117).

فهذه ثلاثة في مريم، وأخرى في طه، وهذا أيضاً يتأكد ويتوافق مع محور السورة؛ لأن نفي الشقاوة يفيد إثبات السعادة، وخاصة في حق أسعد الناس وهم الأنبياء عليهم السلام.

---

(1) البقاعي : نظم الدرر (9/5) .

(2) نظم الدرر (8،9/5) بشيء من التصرف.

لطيفة:

يلاحظ الباحث أن نفي الشقاوة لم يتكرر في القرآن إلا في هاتين السورتين ؛ مما يؤكد على الترابط الوثيق بينهما، فتبارك الذي أنزل هذا الفرقان معجزاً.

المناسبة بين سورة الأنبياء وسورة طه :

"ختمت سورة طه بأن الناس قد شغلتهم زهرة الدنيا التي جعلها الله لهم فتنة، وأن الله نهى رسوله أن يتطلع إليها وأمره بالصلاة والصبر عليها، وأن العاقبة للمتقين، وبدأت سورة الأنبياء بما ختمت به السالفة فذكر فيها أن الناس غافلون عن الساعة والحساب وأنهم إذا سمعوا القرآن استمعوه وهم لاعبون وقلوبهم لاهية عنه"[1].

جاءت خاتمة سورة طه بالإنذار وأنه سيعلم الشقي والسعيد وقد يكون هذا في الدنيا بظهور الدين تارة وتارة بإحلال العذاب بإزهاق الروح بقتل أو غيره،وتارة بالبعث يوم الدين.

وافتتحت سورة الأنبياء بكشف الغطاء يوم الحساب والانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين فقال تعالى: **(ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ)** أي عامة أنتم وغيركم **(حِسَابُهُمۡ)** أي في يوم القيامة، وأشار بصيغة الافتعال **(ٱقۡتَرَبَ)** إلى مزيد القرب لأنه لا أمة بعد هذه ينتظر أمرها وأخر الفاعل **(حِسَابُهُمۡ)** تهويلاً لتذهب النفس في تعيينه كل مذهب والله أعلم.

❖ سابعاً: المناسبة بين اسم السورة وبين موضوعاتها:

لكي نستنبط وجه المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها، لابد أن يكون الاسم ثابتاً في السنة المطهرة توقيفياً وقد مر معنا أثر ابن مسعود في تحديد اسم السورة بـــ **(طه)**، وقد اعتبره الباحث من أصح ما ورد في شأن هذه السورة الكريمة.

(1) عبد الحميد كشك : في رحاب التفسير (2446/3).

فإن كان طه بمعنى يا رجل وهذا متأكد في قول ابن عباس –رضـــي الله عنهمـــا– الذي أخرجه البخاري "**كما سبق**" فهذا مناسب تمام المناسبة مع موضوعات السورة فإنك تلاحظ خطابات متعددة كلها موجهة إلى شخص الرسول ﷺ –كما سيأتي–.

وإن كان اسم السورة هو عبارة عن حروف مقطعة كباقي فواتح السور، فإننا نلاحظ أنها تقرأ بدون همزة **(طا ها)** وأن معظم آياتها تنتهي بألف مقـــصورة أو ممـــدودة تعطي جرساً لطيفاً يشنف الآذان ويزيد في القلوب خشوعاً وخضوعاً.

ولعل صفات الحروف كذلك لها علاقة مباشرة بموضوعات السورة، فالطـــاء مـــن صفاتها الاستعلاء وهو يتناسب مع علو الشريعة وارتفاع أهلها، وعلـــو درجـــاتهم، واستعلاء موسى عليه السلام بإيمانه في موقف اعترف السحرة أن الفـــوز والفـــلاح لمـــن استعلى ﴿ **فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ** ﴾(طه : 64).

ولا سبيل للخوف إذاً ولا مجال للوهن ويؤكد هذا المعنى قولـــه تعـــالى : ﴿ **قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ** ﴾(طه : 68).

كذلك من سلك هذا الطريق واتبع هذا المنهج، فسوف ينال الدرجات العالية ويفـــوز بالنعيم المقيم و قد تأكد هذا المعنى في قولـــه تعـــالى : ﴿ **وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ** ﴾(طه : 75).

ومن صفاتها أيضاً الجهر والشدة، ولعلنا نجد هذه الصفات منثورة بين ثنايا الـــسورة سواء ما كان من سماع الله المستور والمجهور من القول، وقد ظهر ذلك في قولـــه تعالى: ﴿ **وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى** ﴾(طه : 7) وما كان من اشتداد أزر موسى بأخيه هارون، فهذه شدة مرغوب فيها، وقـــد طلبهـــا موســـى عليه السلام بقولـــه: ﴿ **ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي** ﴾ بخلاف الشدة التي أعلنها فرعون وجاهر بها كفراً وإلحاداً واستكباراً وعناداً، ويكفي التعبير بلفظ **(طغى)** المشعرة بتجاوز الحد في الإلحاد.

وما كان من شدة فرعون في تصديه للسحرة وتهديده لمن آمن مـــنهم بتقطيـــع الأيدي والأرجل من خلاف والصلب في جذوع النخل جاء ذلك في قولـــه تعـــالى: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾(طه : 71) وظهرت الشدة فـــي قولـــه تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾(طه : 71).

وكذلك ما كان من شدة موسى على أخيه،وهو يعاتبه على ضلال بني إســـرائيل بعبادتهم العجل.

ومن صفات الهاء كذلك الرخاوة وهي لغةً: اللين وهذا ما قامـــت عليـــه دعـــوة الإسلام الحنيف فهي دعوة لينة هينة تؤلف قلوب الشاردين المعرضين عن الصراط المستقيم.

وقد كان عنوان دعوة موسى لفرعون في القصة التي غطت معظم السورة هو اللين حيث أمر الله نبييه موسى وهارون بقوله:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(طه : 44).

ولعل الصفة الأخيرة للهاء وهي **(الإصمات)** والذي معناه : السكوت[1] بدت أثاره في الصمت الذي اكتنف جوانب عدة من السورة والمنع والاختفاء حتى تتحقق أمور يريدها الله عز وجل بتقاديره.

فمن ذلك مثلاً الوحي إلى أم موسى بقذف موسى في التابوت ثم قذفه في الـــيم، وهذا لم يعلم به أحد ولم يطلع عليه إلا الله جل وعلا.

أيضاً الصمت الذي لازم أختـــه وهـــي تقـــول ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ **(طه: 40)** ولم تصرّح بأنها أخته، وأن هذه الكافلة هي أمه حقاً.

وكذا امتناع موسى عليه السلام من التقاط ثدي امرأة قط حتى رجع إلى أمه.

ويمكننا أن نقول إن امتناع يد البطش والطغيان أن تقترب من موسى وأخيه رغم أنه قتل منهم نفساً وتحداهم وبارزهم بالحجة والبرهان اليد والعصا.

---

(1) ابن منظور : لسان العرب (389/5).

كل ذلك والله يعصمه ويمنعه من كيد الكافرين.

ولعل قائلاً يقول: إن هذا تكلف في الربط بين اسم السورة وموضوعاتها بهـذه الطريقة.

فيرى الباحث أن هذه محاولة موضوعية لإيجاد وجوه المناسبات بـين الآيـات واسم السورة قد سلكها غير واحد من المفسرين أمثال البقاعي فـي نظـم الـدرر وغيره.

هذا فضلاً عن أن فواتح السور ليس لها معنى معروف لدينا لكن لهـا مغـزى وهي حروف عربية والقرآن الكريم عربي، ولمـاذا لا تكـون صـفاتها مرتبطـة بموضوعات السورة؟ خاصة وأن علم التجويد قد نشأ مع بداية نزول القرآن علـى النبي ﷺ وأقرأه إياه جبريل عليه السلام وفق الطريقة التي ارتضاها الله لتلاوة كتابه.

❋ ثامناً : مناسبة افتتاحية السورة مع خاتمتها:

قال صاحب الظلال في تقديمه للسورة : "تبدأ هذه السورة وتختم خطاباً للرسول ﷺ ببيان وظيفته وحدود تكاليفه"[1].

وقد تتبع الباحث آيات السورة الكريمة فوجدها تبدأ بقولـه تعـالى : **(مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ)** والضمير عائد على الرسول ثم جاءت بعد المقدمة مباشرةً قـصة موسـى مفتتحة بقوله تعالى: **(هَلْ أَتَىٰكَ)** والخطاب أيضاً للرسول ﷺ ولمـا انتهـت قـصة موسى عليه السلام جاء قوله تعالى: **(كذلك نقص عليك)** والخطاب أيضاً للرسـول ﷺ ثـم عرضت السورة مشاهد يوم القيامة بقوله تعالى: **(ويسألونك عن الجبال)** والـسؤال للرسول ﷺ ثم جاء الفاصل بين مشاهد يوم القيامة وقصة آدم بالحديث عن عربيـة القرآن الكريم بقوله تعالى: **(كذلك أنزلناه)** يعني عليك يا محمد ﷺ وهذا مرتبط بأول السورة **(ما أنزلنا عليك القرآن)** ثم ينهاه الله تعالى أن يتعجل بالقرآن، ويحرك بـه لسانه من قبل أن يقضى إليه الوحي، فيخاطبه الله بقوله: **(من قبل أن يقضي إليك)**،

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن (2326/4).

وكذلك الآيات : **(سبقت من ربك)**، **(بحمد ربك)**، **(رزق ربك)** كلها خطاب للرسول ﷺ والأفعال **(فاصبر)** و**(سبح)**، **(لا تمدن)** و**(أمُر)** و**(اصطبر)**، **(قل)**، جميع هذه الأفعال هي بيان لوظائف الرسول ﷺ وهو بدوره مبلغ و مذكر للأمة.

ـ أشارت آخر سورة طه إلى أن من رحمة الله تعالى ولطفه بعباده أنه لم يهلكهم بمعاصيهم اكتفاءً ببينةِ ما في المصحف الأولي، بل أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب،وهذه الحقيقة تأكدت في أول السورة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى** ﴾(طه : 4).

ويلاحظ هنا تقديم الأرض إعلاماً بالاعتناء بأهلها والترفق بسكانها[1].

ـ في مطلع سورة طه ذكر سبحانه أن هذا القرآن نزل لسعادة البشرية وهدايتهم وأن أتباع النبي ﷺ هم السعداء الأغنياء الراضون في الدنيا والآخرة وهؤلاء هم أصحاب الصراط السوي والمهتدون الذين ختمت بهم السورة فانطبق الأول على أن العظيم لا يعجل العقوبة بل يعامل بالحلم.

ـ لما كان مطلع السورة فيه إشارة وإرشاد إلى الدعاة وعلى رأسهم رسول ﷺ إلى عدم الشقاوة في العبادة، وعدم الاكتراث بتكذيب المكذبين جاءت الخاتمة تشير إلى ما يجب على الداعي فعله تجاه العقبات؛ وذلك بالاستعانة بالصلاة والتحلي بالصبر كما في قوله تعالى: ﴿ **فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ** ﴾(طه : 130)، وقوله تعالى: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾(طه : 132).

(1) البقاعي : نظم الدرر(9/5).

القسم الثاني

المقطع الأول

قصة موسى مع فرعون

افتتاحية السورة

موضوعات الافتتاحية وتشتمل على :

1- **القرآن مصدر السعادة**

2- **كمال صفاته جل وعلا**

3- **كمال أسمائه سبحانه**

الحلقة الأولى: مؤانسة الله تعالى لمحمد بحديث موسى عليهما السلام

الحلقة الثانية: مؤانسة الله لموسى عليه السلام ورعايته

الفقرة الأولى: مؤانسته بالمعجزات

الفقرة الثانية: رسالة موسى إلى فرعون وما صاحبها من تأييد

الحلقة الثالثة: منن الله تعالى على موسى عليه السلام.

الحلقة الرابعة: أساليب موسى عليه السلام في دعوته لفرعون

الحلقة الخامسة: فرعون والسحرة وتصديهم للحق

الحلقة السادسة: الإيمان بالله أساس السعادة

القسم الثاني
مقاطـــــع الســـورة

وقد جاءت على النحو التالي:

❋ أولاً: افتتاحية السورة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(طه : 1-8).

الموضوعات الأساسية في افتتاحية السورة:

يمكن القول بأن افتتاحية سورة طه قد أجملت أموراً وقضايا جاء تفصيلها بين ثنايا السورة، وقد جاءت هذه القضايا في منتهى الإيجاز والفصاحة والإعجاز.

❖ القضية الأولي: القرآن مصدر السعادة :

فالقرآن الكريم ما أنزله الحق سبحانه إلا لسعادة الناس، ولا سعادة لهم إلا باتباع منهجه وتطبيق شريعته، وكلما نأى الناس عن شريعة القرآن ازداد شقاؤهم، وعظم بلاؤهم، فالله سبحانه أرحم بعباده من أنفسهم وما أنزل عليهم كتبه وأرسل إليهم رسله إلا رحمة بهم لأنه جل وعلا الرحمن، ولعل تكرار كلمة **(الرحمن)** أربع مرات بين مقاطع السورة، فيه إشارة إلى هذه الحقيقة، فسبيل سعادة الناس أفراداً وجماعات، في الدنيا والآخرة، في منهج القرآن الكريم وشريعته.

وقد يعتقد بعض الناس أن من سيلتزم بمنهج هذا الدين سيكون شقياً فلا يخرج

من بيته ولا يضحك ولا يخالط الناس، وهذا هو السائد عند البعض في أيامنا هـــذه، وقد يكون هذا السبب الوحيد الذي يمنع الكثير من المسلمين من تطبيق المـــنهج لأن عندهم فكرة مغلوطة عن حقيقة السعادة والشقاء في تطبيق مـــنهج الله، ولمـــا كـــان القرآن الكريم هو مصدر السعادة للبشرية وتذكير للذين يخشون ربهم فقـــد امتـــاز بميزات تحدثت افتتاحية السورة عن أهم مزية منها وهي كونه ﴿ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾(طه : 4) ففي قوله تعالى **(تنزيلاً)** مصدر يشعر بلطف الله تعالى في التدرج بنزول القرآن الكريم منجماً على قلب الرسول ﷺ حسب الأحـــداث في ثلاث وعشرين سنة.

ولاشك أن الذي خلق الأرض و السماوات العلا أعلم بما يسعد الإنسان ويكفل له حياة كريمة في ظل منهاجه القويم.

❖ القضية الثانية: كمال صفاته جل وعلا:

وصفات الكمال التي يتصف بها مرسل الرسالة لابد أن يظهر آثارها في رسالته، كيف لا وإن القرآن صفة من صفات الله تعالى حيث إنه كلامه وكلامه صفة من صفاته والمرسل هو الله جل وعلا المتصف بكل صفات الجمال والكمال والمنزه عن كل صفات النقص، تباركت أسماؤه، وتسامت صفاته وتقدست ذاته.

﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾(طـــه : 5) أي الرحمن، منزل القرآن، فإنزال القرآن من آثار رحمته جل وعلا، كما في قوله سبحانه:

﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾(الرحمن : 1-4) فلا يمكن أن يكون نزوله سبب تعب وعناء وشقاء بل هو سبيل كل سعادة وهناء.

لطيفة:

يلاحظ أن مجيء ذكر الاستواء على العرش وقع في خمس آيات فـــي القـــرآن الكريم وجميع هذه الآيات مكية:

1- سورة يونس (آية: 3). 2- سورة الرعد (آية: 2).

3- سورة طه (آية: 5). 4- سورة الفرقان (آية: 59).

5- سورة السجدة (آية: 4).

وكما يلاحظ أن قضية الاستواء جاءت مقترنة بالحديث عن خلق السماوات ورفعها وبسط الأرض ومدها، وفي هذا تلطف للمستضعفين وإيناس لوحشتهم، فإن الرحمن المستوى على عرشه، خالق السماوات ورافعها بغير عمد وباسط الأرض ومذللها معكم بتأييده فلم الشقاء ولم التعب.

ومن صفات كماله سبحانه وجلاله كمال علمه، ولهذا قال سبحانه: ﴿ **وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾(طه : 7)، ولا شك أن الذي يعلم السر وأخفي يعلم كل ما يُصلح الإنسان ويُسعده في الدنيا والآخرة.

ويلاحظ تناسق عجيب بين قوله تعالى : ﴿ **لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ** ﴾(طه : 6) والإيحاء الذي توضحه الآية التي بعدها: ﴿ **وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾(طه : 7) "تناسق بين الظاهر الجاهر في الكون، والظاهر الجاهر في القول، بين المستور المخبوء تحت الثرى و المخبوء في الصدور (**ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى**) وأخفى...والسر خافٍ، وما هو أخفي من السر تصور لدرجات الخفاء والاستتار، كما هو الحال تحت أطباق الثرى"[1].

❖ القضية الثالثة: كمال أسمائه سبحانه:

فمعلوم أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به، وهو الأمر الذي خلقوا من أجله، وهو توحيد الله بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته فإن مدار السعادة والشقاء يكون على حسب ذلك.

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن (2328/4).

قـــال تعـــالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ (الأعراف : 180).

واسم الله تعالى جامع لكل صفات الكمال ولذلك تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه فيقال : الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء الله ولا يقـــال مـــن أســـماء الرحمن[1].

ولما كان شقاء الإنسان نابعاً من إعراضه عن دين الله وشريعته، وجهله وســـوء فهمه لأسماء الله وصفاته؛ فقد جاء التوجيه الرباني في افتتاحية السورة؛ ببيان طريق السعادة.

وهذا عين ما قررته آيات سورة طه في آخرها عند قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾(طه : 124).

ملاحظات في الافتتاحية:

- قد بدا توحيد الألوهية واضحاً في مطلع السورة والذي هو مقصد بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد تجلى ذلك فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ (طه : 5) وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾(طه : 8).
- كما أن توحيد الربوبية الذي يعد أعظم دليل على توحيد الإلهية قـــد ظهـــرت آثاره واضحة في مطلع السورة، بل لقد وقع الاحتجاج به في القرآن الكـــريم أكثر مما وقع بغيره، لصحة دلالته وظهورها وقبول العقول والفطـــر لهـــا، ولاعتراف الكثير من أهل الأرض بتوحيد الربوبية[2] وقد تجلي ذلك في قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴾(طه : 4) فإن المشركين يقرون بهذا التوحيد، وان كان لا يكفي وحده.

(1) ابن القيم : طريق الهجرتين (ص 81).
(2) ابن القيم : طريق الهجرتين (ص 80).

- هذه جملة من القضايا الأساسية في افتتاحية سورة طه، وقد وجدنا في مبحث "**المناسبات في سورة طه**" تكرر ذلك في الخاتمة أيضاً.

وسنرى –بمشيئة الله– أن المقاطع اللاحقة جاءت لتفصيل هذه القضايا وتقريرها، وضرب الأمثلة عليها مما يزيدها جلاءً ووضوحاً وبيانا وتفصيلا.

العلاقة بين الافتتاحية ومحور السورة :

قد ارتضينا من قبل أن نجعل محور السورة "**مؤانسة السعداء**"، وهو محور يتكون من كلمتين لكل منهما، مدلولاتها وإيحاءاتها المتفرقة بين جنبات السورة، ولقد بينا في القضية الأولى من موضوعات الافتتاحية أن القرآن هو مصدر السعادة وسبيلها في العاجل والآجل.

فكانت الآيتان الأولى والثانية من السورة تمثلان هذا المحور بصورة واضحة جلية يراها من له أدني بصيرة بنور القرآن.

وكأنه سبحانه يريد أن يطمئن رسوله وأمته من بعده أن هذا المنهج لم يأت حتى يشقي الناس به، بل هو منهج يضمن السعادة لمن اتبعه واهتدى به وإنما هو تذكرة وهو سبب السعادة في الدارين، فلا يعقل أن يكون المؤمن شقياً كئيباً مغتماً قانطاً من رحمة الله مهما واجهته من مصاعب ومحن في حياته، ومن خلال اتباعه لهذا المنهج الرباني فلا بد من أن يجد السعادة الأبدية.

وهذا كله يحمل في طياته تسليه ومؤانسة للرسول ﷺ والدعاة من بعده لأن المنهج تنزيل **(الرحمن)** وكلنا يعلم ماذا تفيد هذه الكلمة وبماذا توحي فتأمل ماذا يجني الناس من آثار هذا الاسم فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يرحم خلقه أجمعين.

قال البغوي في تفسيره: "فالرحمن من يصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم من يصل رحمته إليهم على الخصوص، ولذلك يدعى غير الله رحيماً ولا يدعى رحمان..." [1].

(1) معالم التنزيل في التفسير والتأويل (14/1).

❖ ثانياً:

المقطع الأول

قصة موسى مع فرعون

وقد جاء في أربع حلقات:

الحلقة الأولى : مؤانسة الله تعالى لمحمد بحديث موسى عليهما السلام:

﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ۝١٦ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ۝٢٣ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ۝٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ۝٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ

فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾(طه : 9ـ41).

♦ **الفقرة الأولى: ضعف وافتقار وحيرة:**

كان موسى عليه السلام عائداً من بلاد مدين إلى مصر من طريق صحراء سيناء، ومعه أهله، ويظهر لنا من خلال الآيات الكريمة أنه عانى أثناء رحلته من ظروف صعبة وشاقة، فالليلة شاتية باردة، والظلام دامس، وقد ضلّ طريقه وسط الصحراء، وحاول موسى أن يوقد ناراً بالوسائل المعروفة آنذاك فلم يتمكن، وأخذ يلتفت حوله بحثاً عن مأوى دافئ، بينما كانت الريح الباردة تلسع وجهه وظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها.

إن موقف موسى في ظروفه هذه المحيطه به، يمثل الإنسان بضعفه وعجزه وحيرته، وشدة حاجته إلى معونة ربه وهدايته.

فلولا أن الله الرحمن خالق الإنسان، سخر له ما سخر في السماوات والأرض من أسباب الحياة، ما استطاع الإنسان العيش، وما تمكن من إنشاء حضارة وعمران. فالفضل لله تعالى أولاً وآخراً، خلق الإنسان وأعطاه أسباب الحياة التي يحتاج إليها قال سبحانه: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (إبراهيم : 34).

كما أن الإنسان بحاجة أيضاً إلى هادٍ يهديه الطريق الذي يوصله إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وبدون هذه الهداية يظل الإنسان تائهاً، يضرب في أعماق الحياة متخبطاً في دياجير الظلام، فالتمكين المادي لا يكفي وحده لسعادة الإنسان، بل لابد

له من منهج يضبط سلوكه، وشريعة يسير على هدى أحكامها تبين له الطريق القاصد، وتنقذه من حيرته وضلاله، وتوضح له مقصده وحكمة وجوده، فتكون له بمثابة المصباح الكاشف الذي يبين له حقيقة حياته وغاية مسيرته وسعيه وجهده.

كما أنه بحاجة إلى من يؤنس وحشته، ويخفف آلامه ويسكن روعه.

تلك هي حال موسى عليه السلام، إنسان تائه في الصحراء والليل حندس[1] والبرد زمهرير[2]، فهو وأهله في أشد الحاجة إلى معونة الله وهدايته[3].

ومن خلال الظلام الذي حجب الرؤية، وبرد الصحراء القارس وإذ بنور نار يلمع من بعيد، فبدأ الأُنس يحل مكان الخوف، ويبدد الوحشة في داخل النفس.

قال تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ (طه : 9،10).

جاء في بعض التفاسير أن موسى عليه السلام استأذن صهره في الخروج إلى أمه، وخرج بأهله، فولد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلجة، وقد ضل الطريق، وتفرقت ماشيته، ولا ماء عنده وقدح فصلد[4] زنده، فرأى عند ذلك ناراً في زعمه، وكان نوراً[5].

﴿فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ (طه : 10) أي أقيموا في مكانكم[6].

﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ (طـه : 10) أي رأيت ناراً فإن رؤية النار أدخلت الأنس إلى قلبه وزالت الوحشة والحيرة.

ولعل التعبير بلفظ المؤانسة يأتي موافقاً لمحور السورة الذي اختاره الباحث فإن الأُنس خلاف الوحشة والنار تسمى أنيسة ومأنوسة لأن الإنسان إذا آنسها ليلاً أنس

(1) حندس: شديد الظلمة، ابن منظور: اللسان (624/2).

(2) زمهرير: شدة البرد، ابن منظور: اللسان (409/4).

(3) يرجع إلى الألوسي : روح المعاني (277/9) .

(4) صلد : أي صوّت ولم يقدح ناراً ابن منظور : لسان العرب (376/5).

(5) النسفي : تفسير النسفي (188/4).

(6) قال الرازي : يجوز أن يكون الخطاب للمرأة وولدها والخادم الذي معها، ويجوز أن يكون للمرأة وحدها ولكن خرج على ظاهر اللفظ فإن الأهل يقع على الجمع وأيضاً فقد يخاطب الواحد بلفظ الجماعة تفخيماً، التفسير الكبير (14/22).

بها وسكن إليها و زالت عنه الوحشة، وإن كان بأرض قفر[1].

فها هو نور الحق يسطع ويبدد الظلام، فإن إظهار النار لموسى رمـــز ربـــاني لطيف؛ إذ جعل اجتلابه لتلقي الوحي باستدعاء بنور في ظلمة رمزاً على أنه سيتلقى ما به إنارة ناس بدين صحيح بعد ظلمة الضلال وسوء الاعتقاد[2].

♦ **الفقرة الثانية** : **في مقام المناداة والمناجاة**.

وقد جاءت هذه الفقرة بتلخيص ما أوحي إلى موسى وللأمة جميعاً في ثلاثة أمور مترابطة :

ـــ الاعتقاد بالوحدانية.

ـــ والتوجه بالعبادة.

ـــ والإيمان بالساعة.

أما الأمر الأول: فهو إعلان الوحدانية لله تعالى فهو المستحق للعبادة وحـــده دون سواه لتفرده بصفات الكمال والجلال، قـــال تعـــالى: ﴿ **إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠** ﴾ **(طه : 14)**.

وهذا يدل على أن معرفة الله تعالى أوجب الواجبات، وأول المهمات وأعظمهـــا، فهي أول ما يجب على الإنسان أن يعلمه، قال تعالى: ﴿ **فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ **(محمد : 19)**.

قال ابن كثير -رحمه الله- : هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أن لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له[3].

عرّف الله تعالى نفسه لموسى بأنه الله وحده المستحق للعبـــادة والطاعـــة، فـــلا يستحق أحد العبادة والطاعة إلا هو سبحانه، لأنه المتصف بصفات الجلال والكمال،

(1) ابن منظور : لسان العرب (245/1).

(2) ابن عاشور : التحرير والتنوير (195/8).

(3) تفسير ابن كثير (140/3).

وسبق لنا تقرير هذه الحقيقة عند الحديث عن افتتاحية السورة عند قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (طه : 8).

تعقيب وتعليل :

لعل السر في بدء آيات قصة موسى من هذه الواقعة، ولمْ تبدأ بذكر الولادة أولاً والرضاعة ثم الإلقاء في اليم والطفولة والشباب.

لقد بدأت بذكر موضع المناجاة والمناداة في الواد المقدس طوى بجانب الطـــور، وذلك لترسيخ هذه المعاني الإيمانية لأن الإنسان بمعرفته لله تعالى حـــق المعرفـــة يستنير عقله وقلبه، ويسلك درب حياته على بصيرة ونور ؛ أما إن بقـــي الإنـــسان بدون هذه المعرفة فإنه حتماً سيتخبط في ظلمات الحيرة والقلق والجهل، ويتيه كمـــا تاهت بنو إسرائيل في سيناء بل وأشد من ذلك.

أما الأمر الثاني : وهو عبادة الله تعالى فإنها دعوة المرسلين جميعاً إلى أقوامهم، فما من رسول إلا قال لقومه: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾(الأعـراف : 59) لأنه سبحانه أوحاها إليهم جميعاً فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : 25).

وموسى عليه السلام قد تشرف بالرسالة وكلام الله فأمره تعالى بقولـــه: **(فَٱعْبُدْنِى)** أي توجه إلى وحدي بالعبادة والطاعة، فمن أجل أن تسعد بعبـــادتي وطـــاعتي خلقتـــك وأنعمت عليك بنعمي، وسخرت لك ما في أرضـــي وســـمائي ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات : 56-58).

فيا أيها الإنسان إنك مخلوق لغاية هي أسمى الغايات، وثمرة هي أنجع الثمرات، وهي عبادة الله وحده التي فيها سعادتك وتوفيقك.

ولقد جاء ذكر العبادة وخص منها الصلاة لأهميتها من بين سائر العبادات قـــال الصاوي: "**خص الصلاة بالذكر لعظم شأنها واحتوائها على الذكر، وشـــغل القلـــب واللسان والجوارح، فهي أفضل أركان الدين بعد التوحيد**"[1].

والصلاة لله تدل على طاعته سبحانه والانقياد والخضوع لأمـــره، لـــذلك قـــال: ﴿ **وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ** ﴾ **(طه : 14)** أي لأجل ذكرك إياي[2]، لأن ذكـــره تعـــالى أصل المقاصد، وبه عبودية القلب، وسعادته[3] والصلاة طمأنينة للقلب وسكينة، لأنها تصل المصلي بالله تعالى وتبعده عن القلق والحيرة والاضطراب وتعب الأعصاب.

الأمر الثالث: الإيمان بالساعة: ولأهمية هذا الأمر فقد حفلت به آيات عديدة في القرآن الكريم زادت على ثلاثين آية بلفظ الساعة **(فقط)** وهي بأسماء أخرى كذلك.

ولقد كانت رسالة موسى عليه السلام قد جاءت بالأمر الأول والثاني على صـــيغة الأمـــر **(فَٱعۡبُدۡنِى وَأَقِمِ)** ثم انتقل الأسلوب إلى التقرير المؤكد بقولـــه تعـــالى: **(إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ)** أي لا شك فيها ولا ريب، وذلك ليعرف العبد مـــسئوليته، والتكـــاليف التـــي ارتبطت به، فيبقى مرتبطاً باليوم الآخر، يوم الحساب والجزاء فلا يفرط ولا يقصر.

"**ماذا يبقى من حياة الإنسان إذا انسلخ عن مسئوليته أمام ربه يوم القيامـــة؟ فالإيمان بالساعة يعرف الإنسان قيمة حياته ويجعله يدرك جوهرهـــا، فهـــو نـــور ساطع يضيء لنا درب حياتنا، وبدونه تصبح الحياة فارغة تافهة قد أصابها السأم والملل، وهذا ما يشعر به من لا يؤمن بها واتبع هواه من الذين جردوا أنفـــسهم عن المسئولية أمام ربهم خالق الحياة ومدبرها سبحانه**"[4].

---

(1) حاشية الصاوي على الجلالين (50/3).

(2) ذكر الرازي ثمانية وجوه في قوله تعالى: ﴿ **وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ** ﴾ : التفسير الكبير (18/22).

(3) السعدي : تيسير الكريم الرحمن (8/2).

(4) عبد الحميد طهماز : سبيل السعادة (ص 27) بتصرف.

ومن حكمته تعالى ورحمته أنه أخفى عن كل المخلوقات وقت القيامة، لكي يبقى دولاب[1] الحياة مستمراً دون توقف، ولو أنه سبحانه كشف الوقت المقدر ليوم القيامة للناس، لأدى ذلك بالذين يرونه بعيداً إلى تأخير توبتهم والتسويف بها، وبالذين يرونه قريباً إلى التوقف عن ممارسة نشاطهم المعيشي الدنيوي، وبهذا يصاب دولاب الحياة بالشلل وتأسن الحياة وتتكدر المعيشة.

والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر وفي تكوينهم النفسي[2].

وخلاصة الأمر فإن من العظات والعبر من الفقرتين الأولى والثانية ما يلي:

ملاطفة النبي محمد ﷺ ومؤانسته بشد أزره، وتقوية روحه حتى لا يتأثر بما يلقى إليه من الكيد والعناء، وذلك بحديث موسى عليه السلام ذلك النبي الذي كُـذِّب وأوذي فـــي الله.

- تقرير التوحيد وإثباته، وأن الدعوة إلى لا إلـــه إلا الله دعـــوة كافـــة الرسل.
- إثبات صفة الكلام لله عز وجل، وأنه تعالى لم يزل متكلماً متى شاء، وقد كلم موسى على جبل الطور تكليماً بدون وحي وآنـــس وحـــشته ولبى سؤله.
- مشروعية التبرك بما شرع التبرك به، والتبرك: التماس البركة حسب بيان الرسول وتعليمه[3]، وجبل الطور* من البقاع المقدسة التي أقسم الله بها في قوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ﴾ (الطـور : 1،2)

---

(1) الدُّولاب والدَّولاب، كلاهما واحد الدَوالِيب: على شكل النعاورة، يستقى به الماء، فارسي معرب، ابن منظور: اللسان (391/3).

(2) في معنى كلام سيد قطب : في ظلال القرآن (2331/4).

(3) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير (ص 746) بتصرف.

* جبل سيناء : جبل كثير النبت في سيناء وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ويسمى أيضاً طور سينين قال الأخفش: السينين شجر واحدتها سينية، ياقوت : معجم البلدان (271/5).

وقوله تعـــالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ (التين : 1-3).

❋ بيان أهمية الصلاة وإقامتها وبيان علة ذلك وهو ذكر الله تعالى فهـــي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين وعليها مناط السعادة في الدارين.

❋ على الإنسان أن يبقى دائماً على استعداد وحذر من مفاجأة المـــوت[1] فإن الله تعالى لم يحدد وقت الساعة.

وختمت الفقرة الثانية بتحذير بعد التقرير :

(فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا) أي: لا يمنعنك عن هذه القضايا الثلاث الكبرى، وهي معرفة الله تعالى بكماله ووحدانيته، وطاعته بإقامة الصلاة والتزام دينه وشـــريعته، والإيمـــان بالمسئولية أمامه سبحانه يوم القيامة من لا يؤمن بها وأصبح تبعاً لهواه.

(فَتَرْدَىٰ) أي تهلك هلاك الشقاء والتعاسة والعذاب في الدنيا والآخرة.

وهذا التحذير وجهه الله تعالى إلى موسى عليه السلام لأنه المخاطب والمكلَّم، والمـــراد الإنسان المكلف، فكأنه سبحانه يقول لهذا الإنسان في هذه القضايا الثلاث الأساسية سبيل سعادتك وسلامتك ونجاتك، وفي إعراضك عنها شقاؤك وعناؤك وعذابك فـــي الدنيا والآخرة.

علاقة الفقرة الأولى والثانية بالافتتاحية:

هناك ارتباط وثيق بين الافتتاحية والفقرتين الأولى والثانية، فقد ذكر الباحث أن الافتتاحية اشتملت على قضايا تمثل سعادة الإنسان في ظل منهج الله تعالى واتباع شرعه.

ولقد اشتملت الافتتاحية على هداية القرآن الكريم الذي أنزله الله تعـــالى لخيـــر البشرية وسعادتها، فالقرآن سماه الله روحاً تحيا به الأمة وتمـــوت بدونـــه، وكـــذلك سعادتها بتوحيدها لله عز وجل ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وهذا نفس ما

(1) نائله صبري : المبصر لنور القرآن (134/16).

تجلى في مؤانسة رسول الله ﷺ بحديث موسى عليه السلام الذي تعرف على الله عز وجل بربوبيته وإلهيته **(إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ)** **(إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ)** وحمل إلى الناس رسالة، قد حملها الأنبياء جميعاً من قبله، قد قامت أسس هذه الرسالة على دعائم ثلاث قد فصلناها في الفقرة الثانية.

ويحسن الربط بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ثم تتويج ذلك بالعبادة الظاهرة والباطنة، وتخصيص الصلاة من بين العبادات لتضمنها عبودية القلب واللسان والجوارح.

"**والقرآن مملوء من تقرير توحيد الربوبية وبيانه وضرب الأمثال له ومن ذلك أنه يقرر ذلك ويبين أنه لا خالق إلا الله وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله فيجعل الأول دليل على الثاني**"[1].

"**أي أن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية**".

وهذا واضح في سورة طه حيث بدأ بتوحيد الربوبية أولاً **(إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ)** وثنّى بتوحيد الإلوهية **(إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ)** وثلث بالأمر بعبادة هذا الرب وهذا الإله فما أجمل هذا الترتيب وهذا التناسق العجيب.

جاء الحديث في الافتتاحية بتثبيت الرسول على التبليغ والتنويه بشأن القرآن بالنسبة إلى من أنزله، ومن أنزل عليه ثم أعقبه بذكر قصة موسى عليه السلام ليتأسى به في الصبر على تحمل أعباء الرسالة ومقاساة المصاعب، وتسلية له بأن الذين كذبوه سيكون جزاؤهم جزاء من سلفهم من المكذبين[2].

علاقة الحلقة الأولى بمحور السورة:

إن المتأمل في هذه الحلقة يجد أن حديث موسى عليه السلام لا زال يغطي آياتها ولازالت قصته تشنف آذاننا ونحن نلحظ كيف كانت مؤانسة الله له، سواء كان ذلك

(1) الطحاوي : أصول العقيدة الإسلامية (ص 17).

(2) ابن عاشور : التحرير والتنوير (193/8).

في جو الصحراء وقت المناجاة والمناداة وكلمات الأنس والتلطف تحيط به من كـــل جانب، أو كان بمؤانسته بالمعجزات **(العصا واليد)**.

وفي المعجزة الأولى **(لَا تَخَفْ)** وفي المعجزة الثانية **(مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ)** وهذه ألفاظٌ وكلمات مطمئنة تناسب جو الأنس الذي يخيم على القصة، ثم تأتي المـــنن الإلهيـــة والمنح الربانية بعد إجابة السؤل، تنتقل مع موسى خطوة خطوة منذ اللحظـــة التـــي خافت أمه عليه إلى حين اصطناعه للرسالة والدعوة مروراً بالفتون وقتل القبطـــي واللبث في مدين، وغطاء المحبة والسعادة قد ألقي عليه ؛ فيا لسعادة موســـى عليه السلام، وياالسعادة من سار في نفس الطريق وحمل نفس الرسالة.

إن معية الله لا تفارقه ولن يتخلى الله عنه حتى لو وقع في نارٍ محرقة أو أمواج مغرقة فلسوف ينجو كما نجى موسى ويخرج من المحن بالمنح حاملاً وسام السعادة والطمأنينة ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (الأنبياء : 33).

وهذا ليس خاصاً بموسى فحسب بل الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان تحرسهم عين الله وترعاهم عنايته ويشملهم عطفه ولطفه.

❖ الحلقة الثانية : مؤانسة الله لموسى عليه السلام ورعايته :

الفقرة الأولى: مؤانسته بالمعجزات:

لابد أن موسى عليه السلام وهو في موقف المناجاة في الواد المقدس طوى قـــد فـــوجئ بنداء الحق سبحانه له، ولابد أن وقْع المفاجأة أحدث عنده ذهـــولاً واســـتغراقاً فـــي الكلمات الأزلية الخالدة التي أسمعه الله إياها، فأراد الله أن ينزل عليه ســـكينته وأن يؤنس وحشته ويطمئن قلبه فقال:

(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ)[1] وكان عليه السلام راعي الغنم عوَّده عمله على حمل العصا، فالعصا آلة عمله ورفيقة دربه وسفره فأجاب عليه السلام بقوله (هِيَ عَصَايَ) وكانت هذه الإجابة تكفي، لكنه عليه السلام استغل الفرصة لما ازداد أنسه فلم يقطع الكلام ويكتف بكلمة واحدة بل استرسل في الإجابة بين التفصيل والإجمال.

ثم زاد أُنساً بمعجزة أخرى هي معجزة اليد المتلألئة التي أمره أن يضمها إلى جناحه ويدخلها في جيبه ثم يخرجها بيضاء ناصعة من غير سوء، ولعل معجزة اليد جاءت معضدة لمعجزة العصا ومساندة لتزيد الحجة ويقوي البرهان.

ونلاحظ أن موسى عليه السلام فصل في ذكر فائدتين من فوائد حمل العصا[2] في منتهى البلاغة والبيان.

الفائدة الأولى تخص الراعي والفائدة الثانية تخص الرعية، فقوله عليه السلام (أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا) يعتمد عليها لراحته هو، و(وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي) لخدمة الرعية، وفيها سياسة إدارة الرزق كلها للماشية وللناس، ورعي الغنم وسياستها تدريب على سياسة

---

(1) وقد يسأل سائل كيف يسأل الله موسى وهو أعلم بما في يمينه؟

والجواب : أن من أراد أن يظهر من الشيء الحقير شيئاً شريفاً فإنه يأخذه ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم هذا ما هو؟ فيقولون هذا هو الشيء الفلاني، ثم بعد إظهار صفته الفائقة فيه يقول لهم خذوا منه كذا وكذا. فالله تعالى –وله المثل الأعلى– لمّا أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة كانقلابها حية، وكضربه البحر حتى انفلق، وفي الحجر حتى انفجر منه الماء، وعرضه أولاً على موسى فكأنه قال له يا موسى هل تعرف حقيقة هذا الذي بيدك وأنه خشبة لا تضر ولا تنفع، ثم إنه قلبه ثعباناً عظيماً، الرازي : التفسير الكبير (22/22).

كذلك من فوائد السؤال: تأنيس موسى عليه السلام وتخفيف ما حصل عنده من دهشة الخطاب وهيبة الإجلال وقت التكلم، أبو يحي الأنصاري : فتح الرحمن (ص 260).

(2) ومنافع العصا كثيرة، فصّلها أعرابي للحجاج بن يوسف الثقفي عندما سأله قائلاً : ما في يدك؟ قال : عصاي أركزها لصلاتي، وأعدها لعداتي، وأسوق بها دابتي، وأقوى بها على سفري، وأعتمد بها في مشيتي لتتسع خطواتي، وأثب بها النهر، وتؤمنني من العثر، وألقي عليها كسائي فيقيني الحر، ويدفئني من القر، وتدني إلي ما بَعُدَ مني، وهي محمل سفرتي، وعلاقة إداوتي، أعصي بها عند الضراب، وأقرع بها الأبواب، وأتقي بها عقور الكلاب وتنوب عن الرمح في الطعان وعن السيف في منازلة الأقران، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (197/11، 198).

الأمم بأسرها؛ لذلك ما بعث الله من نبي إلا ورعى الغنم ليتعلم من سياسة الماشـــية سياسة الإنسان[1].

وفي الحديث الشريف : "**ما بعث الله من نبي إلا ورعى الغنم، وأنا كنـــت أرعاهـــا على قراريط لأهل مكة**"[2].

واكتفى موسى عليه السلام بذكر فائدتين اثنتين ولم يعدد بل قـــال: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾

وقد تكلف بعض المفسرين بقولهم: إنها كانت تضيء له في الليل، وغير ذلك، ولكن لم يأتنا أثر صحيح عن المعصوم ﷺ إنما هذه إسرائيليات ويكفي أن نقف مع القرآن حيث وقف، وندور مع السنة المطهرة حيث دارت.

وقفة مع معجزة العصا واليد:

وقد تُطرح بعض الأسئلة حول معجزة العصا واليد ومن هذه الأسئلة :

- **أيهما أكبر معجزة العصا أم اليد؟**
- **ما الفرق بين المعجزتين؟**
- **أي يد تلألأت اليمنى أم اليسرى؟**
- **هل كانت معجزة اليد في بياضها فحسب أم أن لها شأناً آخر؟**
- **هل استخدم موسى عليه السلام معجزة اليد في تحديـــه لفرعـــون والـــسحرة أم لا ولماذا؟**

كل هذه الأسئلة لو وقفنا على إجابتها فسوف نصل بإذن الله إلى فوائد جديدة لـــم يذكرها كثير من المفسرين ولم يتعرضوا لها.

أما بالنسبة للسؤال الأول وهو أيهما أكبر العصا أم اليد فإن الله تعالى يقـــول: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴾ وقد جاءت هذه الآية بعد ذكر المعجزتين مباشرة.

---

(1) تفسير الشعراوي (9251/15).

(2) أخرجه البخاري : الصحيح، (37) كتاب الإجارة، (2) باب رعي اغنم على قراريط (479/4)، برقم (2262) وابن ماجه: السنن، (12) كتاب الإجارات (5) باب الصناعات (727/2)، برقم (2149) من حديث أبي هريرة، والقيراط جزء من الدرهم أو الدينار.

قال القنوجي: نريك بهاتين الآيتين يعني اليد والعصا بعض آياتنـــا الكبـــرى علـــى رسالتك فلا يلزم أن تكون اليد هي الآية الكبرى وحدها حتى تكـــون أعظـــم مـــن العصا[1].

ونقل الرازي عن الحسن أن الإعجاز في اليد أعظم من الإعجاز في العصا وضعفه الرازي معللاً أن اليد ليس فيها إلا تغير اللون وأما العصا ففيه تغير اللـــون وخلـــق الزيادة

في الجسم وخلق الحياة والقدرة والأعضاء المختلفة وابتلاع الحجر والشجر[2].

وقال الخازن : قال ابن عباس –رضي الله عنهما– كانت يد موسى أكبر آية[3].

وقال ابن زمنين* : كانت اليد أكبر من العصا[4].

وقال الصاوي في حاشيته : اليد أكبر من العصا لأنها لم تعارض أصلاً وأما العصا فقد عارضها السحرة [5].

الرأي الراجح :

والذي يراه الباحث بعد ذكر أقوال المفسرين أن كلاً من العصا واليد معجزتـــان كبيرتان وبرهانان من عند الله تعالى كما قال تعالى:﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ (القصص: 32).

هذا من حيث كونهما من المعجزات الدالة على صدق موسى عليه السلام أما من حيث تأثير العصا فكان أكبر من اليد لأن العصا قد انقلبت إلى حية عظيمة والحية عدو للإنسان بخلاف اليد فكل ما هناك أنها تحولت من السواد إلى البياض.

---

(1) القنوجي : فتح البيان (226/8).

(2) التفسير الكبير (27/22).

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل (267/4).

* هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى ابن أبي زمنين المدي البيري، تفقه بقرطبة عند أبي إبراهيم وسمع منه ومن وهب بن مسرة وغيرهما له مصنفات كثيرة منها : المنتخب في الأحكام ومختصر تفسير ابن سلام للقرآن وأصول السنة وغير ذلك، توفى –رحمه الله– في إلبيرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائـــة (399هـــ)، الـــذهبي : ســـير أعـــلام النـــبلاء (189،188/17)، والسيوطي : طبقات المفسرين (90،89).

(4) تفسير ابن أبي زمنين (517/1).

(5) حاشية الصاوي على الجلالين (49/3).

وهذا يدفعنا للإجابة على السؤال الثاني وهو ما الفرق بين المعجزتين؟ يـــرى الباحث أن هناك فروقاً بين هاتين المعجزتين كما أن بينهما أوجه شبه:

أما الفروق :

فاليد جزء من جسم موسى عليه السلام وهي ليست خارجة عنه بخلاف العصا. أن العصا تحولت إلى حية تسعى وتتحرك، ثم إنها أخذت تلقف الحبـــال والعـــصي المزيفة وتتضخم ثم تعود إلى سيرتها الأولى.

أما اليد فلم يكن فيها سوى التحول من حالة إلى حالة كذلك كان للعصا أحـــوال مع السحرة ومع البحر الذي انفلق ومع الصخر الذي تفجر ولم يكن ذلك لليد.

أما أوجه الشبه بينهما:

فأرى أن المعجزتين تتشابهان في كونهما متحولتين متقلبتين من طبيعـــة إلـــى أخرى بحيث يعجز الخصم عن معارضتهما أو الإتيان بمثلهما.

أما سؤال أي يد تلألأت اليمنى أم اليسرى؟

أجاب على هذا السؤال بعض المفسرين أمثال الصاوي وابن عاشور وأبو بكـــر الجزائري[1] بأنها اليد اليمنى، ولم يخالفهم في ذلك أحد فيما أعلم.

لكن هذا يؤكد لنا بركة اليد اليمنى فهي التي كانت تحمل العصا، وهي التي أمر موسى عليه السلام بإدخالها في جيبه والله أعلم.

ويغلب على نظر الباحث أنها اليد اليمنى، وقد يستدل على ذلك بأن النبي ﷺ كان يحب التيامن في شأنه كله، وكان يستعمل اليد اليمنى في ما هـــو خيـــر واســـتعمال موسى للعصا كان للخير فهو يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه وهـــذه مـــن أمـــور الخير.

أما سؤال هل كانت معجزة اليد في بياضها أم كان لها شأنٌ آخر؟

الظاهر أن معجزة اليد كانت في بياضها فقط، فالقرآن لم يحدثنا عن شيء آخـــر غير هذا، ولعلها كانت زيادة في مساندة موسى عليه السلام لاحتمال أن يبقى عنـــد بعـــض

(1) حاشية الصاوي (49/3) والتحرير والتنوير (208/8) وأيسر التفاسير (ص 747).

المعارضين شك في عصا موسى أنها من أنواع السحر فجاءت معجزة اليد لزيـــادة الحجة والبرهان.

أما سؤال هل استخدم موسى عليه السلام معجزة اليد أمام فرعون والسحرة أم لا؟ ولماذا؟

فيجاب عليه بأن القرآن الكريم قد أخبرنا أن موسى عليه السلام قد عرض اليـــد أمـــام فرعون والملأ؛ وبيان ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ **(الأعراف : 108)**.

إلا أن ذلك لم يكن له ذكر أمام السحرة، والذي يبدو لي –والله أعلم– أن موسى عليه السلام قد أظهر لهم المعجزة الأولى، فلما ثبت عجزهم أمامها وانقلبوا صاغرين، لـــم يكن هناك ما يدعو إلى إبراز المعجزة الثانية، ثم إن موسى عليه السلام قد استخدم ما يضاد العصي والحبال بعصا مثلها وبقيت معجزة اليد مدخرة إلى حين لزومها، فتدرج مع الخصم بحسب نوع التحدي.

معجزة اليد:

تحدثنا من قبل عن تأييد الله تعالى لنبيه موسى بالمعجزات وها نحن نفصل القول....ثم أمره تعالى أن يدخل يده في فتحة جيب قميصه من قبل صدره ويضمها تحت إبطه وبعد أن يدخلها، وأمره أن يخرجها فقال تعالى: ﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴾**(طه : 22)**.

فلسوف تخرج متلألئة بيضاء من غير مرض ولا علة.

وهذه مؤانسة أخرى بمعجزة أخرى قد أجراها الله تعالى على يده ليستدل بها على صحة نبوته وصدق رسالته، ومعجزات موسى عليه السلام لا تقتصر على هـــاتين فحسب وإنما أيده الله بتسع آيات معجزات قال تعالى: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ ﴾ **(النمل : 12)**.

الآيات التسع :

اختلف المفسرون في المراد بالآيات التسع..

فقال ابن كثير: "**هي العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم**" قاله ابن عباس –رضي الله عنهما– وقال محمد ابن كعب "**هي اليد والعصا والخمس في الأعراف والطمس والحجر**"[1] **وقال الزمخشري** عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنها "**العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور**"[2].

وعن الحسن: "الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور".

ومنهم من ذكر حل العقدة من لسان موسى ﴿ **وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي** ﴾ **(طه : 27)**[3].

ومنهم من قال هي أحكام وتشريعات أمروا أن يأخذوا بها **(ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف...)**[4]

القول الراجح :

والذي يظهر لي –والله أعلم– أنه لا منافاة بين هذه الأحكام والأمور التي ذكرت ولا مانع أن تكون الآيات أكثر من تسع ويكون العدد تسعة ليس للحصر وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿ **إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً** ﴾ **(التوبة : 80)** فالعدد سبعون ليس مقصوداً.

---

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (66/3).

(2) الزمخشري : الكشاف (468/2).

(3) ابن جزي : التسهيل (498/1).

(4) الزمخشري : الكشاف (468/2).

وتدل كثرة المعجزات الحسية التي أيد بها موسى، على شـــدة عنـــاد الـــذين أرسل إليهم واستكبارهم، وإلا فآية واحدة لو أنزلت على الناس وكان لهم قلـــوب لكانت كفيلة بأن يهتدوا بإذن الله.

وزاده الله مؤانسة حيث قال: **(مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ)** لئلا يظن موسى عليه السلام أنه برص، أو بهق أو مرض[1].

تعقيب على معجزة العصا:

ويكفينا في هذا المقام أن نعرف أن هذه العصا قد قامت على رأســـها دعـــوة كاملة، وكان لها تأريخ، وسجل حافل، وهي رمز للقوة في وجه الطاغية الأكبر الذي قرع موسى بابه بهذه العصا دون خوف ولا وجل وكانت سبباً لنجاة المؤمنين وقـــت أن ضرب بها موسى البحر فانفلق.

لقد ذهب الخوف الذي اعترى موسى عليه السلام وقت إلقاء العـــصا وتحولهـــا عـــن طبيعتها إلى حية تسعى وهو الآن يتدرب ويتهيأ لقمع الظلم وإحلال العـــدل وإنقـــاذ شعب بأكمله من قبضة ذلك الطاغية الذي علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يـــذبح الأبناء ويستحيي النساء.

وهكذا لابد لكل داعية من عصا تؤنسه فمرة يتكئ عليها أي تكون فـــي وضـــع منخفض، دليل على خفض الجناح للمؤمنين ومساندة أهل الصلاح والتقـــى، ومـــرة يرفعها لتكون في حالة عليا مشهورة في وجه كل جبار عنيد والداعي المسلم مؤيـــد بتأييد الله ولسوف تكون المعركة لصالحه ويردّ إفك الأفاكين إن هو أحسن اســـتخدام العصا في وقتها.

---

(1) كان موسى عليه السلام أسمر اللون، كما وصفه النبي ﷺ حينما طلب منه أن يصف الرسل الذين لقيهم في رحلة الإســـراء والمعراج فقال : " أما موسى، فرجل آدم طوال، كأنه من رجال أزد شنوءة... " متفق عليه.

والآدم من الناس : الأسمر قال ابن الأثير : والأدمة في الناس السمرة الشديدة، وقيل : هي من أدمة الأرض، وهو لونها. قال وبه سمي آدم أبو البشر، ابن منظور: لسان العرب (104/1)، والبهق: بياض يعتري الجسد بخلاف لونه لـــيس مـــن البرص، ابن منظور: لسان العرب (533/1).

وهذا هو منهج المصلحين وطريق الصالحين على مر السنين فهذا ذو القـــرنين يحدثنا القرآن الكريم عن أسلوبه مع الناس ومعاملته لهم ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ (الكهف : 87،88).

فوائد تربوية من فقرة العصا واليد:

احتوت الفقرة السابقة على عدة مفاهيم هي أصول المنهج القويم في التعليم ومن تلك المفاهيم ما يلي:

❋ ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾(طـــه:17): استهلال الدرس بالسؤال بغـــرض التدرج في تعليم الطالب[1]، وهذا أسلوب تربوي يحتاجه المدرس في جـــذب انتبـــاه التلاميذ وإثارتهم لما سيلقى عليهم ومنه قال البخاري –رحمه الله– : "**بـــاب طـــرح المسألة على أصحابه يختبر ما عندهم من العلم**"[2] ثم ذكر حديث النبـــي ﷺ : "**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها....**".

❋ ﴿ فَأَلْقَىٰهَا ﴾: فيها إشارة إلى سرعة تنفيذ الأوامر الإلهية دون تردد أو نقاش أو تعطيل.

❋ ﴿ وَلَا تَخَفْ ﴾: الخوف يربك العملية التعليمية.

❋ ﴿ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾: تنويع الآيات والأدلة كحجة لإثبات التوحيد، يدل على أهمية تنويع الأمثلة والبراهين لإثبات المسائل المهمة.

❋ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾: أهمية الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، مع بذل الأسباب لاستكمال العمل التربوي.

❋ ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ : المعجزات هي من آيات الله الكبرى.

---

(1) السيوطي : معترك الأقران (367/2).

(2) ابن حجر : فتح الباري (62/1).

❋ ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ : محاربة الظلم بجميع صوره السياسية والاجتماعية من أهم مهام المصلحين قديماً وحديثاً، ولا تكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة.

❋ من اللطائف التربوية الرائعة للشيخ الشعرواي –رحمه الله– أنه أكد على أهمية التدريب في قصة عصا موسى ؛ إذ تدرب موسى على إلقاء العصا في الصحراء قبل مواجهة فرعون فيقول : "**هكذا يعلمنا الله أنه لا مهمة دون تدريب، ولا إنجاز موفق بغير إتقان للتدريب**"[1] فإذا كان موسى قد طلب الله منه أن يتدرب فلغيره من البشر يعتبر التدريب أكثر أهمية لأداء المهام وتجويد المهارات، وتنفيذ الأعمال بإحسان.

إن الغرور والكسل قد يدفعان الفرد إلى تجاهل أهمية التدريب واستعجال الأمور وتطبيقها دون التعود عليها والجلد على التمرين، وهو الأمر الذي ينبغي أن يحذر منه العاقل.

❋ أهمية الحوار في التربية.

❋ العلم والتعلم من أجل التطبيق هو أساس التربية الصحيحة.

❋ حمل الدعوة أشرف الأعمال.

♦ **الفقرة الثانية**: **رسالة موسى إلى فرعون وما صاحبها من تأييد**:

لما أظهر الله لموسى الآيات أمره بالذهاب إلى فرعون وبين العلة من ذلك وهي تجاوز الحد في التكبر والكفر والفجور والظلم فقد ادعى الربوبية ﴿ **فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ**

---

(1) حدثت معجزة العصا في ثلاثة مواقف : (تدريباً وترويعاً وتجميعاً)

الأول: وكان لدربة موسى ورياضته على هذه العملية، وكانت هذه المرة بين موسى وربه – عز وجل – تدريباً حتى إذا أتى وقت مزاولتها أمام فرعون لم يتهيب منها أو يتراجع بل باشرها بقلب ثابت واثق.

والثاني: كان مع فرعون بمفرده ترويعاً له.

والثالث: مع السحرة تجميعاً.

فكل موقف من هذه المواقف كان لحكمة وله دور، وليس في المسألة تكرار كما يدعي البعض، الشعراوي في تفسيره (9257/15) وأكد الشيخ أبو بكر الجزائري على أهمية التدريب على حمل السلاح قبل استعماله في المعارك مستنبطاً ذلك من إلقاء موسى عصاه في الواد المقدس أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير (ص 747).

﴿ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات : 24) وادعى أيضاً الإلوهية فيما حكى الله عنـــه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾(القصص : 38).

وبهذا بلغ غاية الطغيان والتكبر والتجبر، ولا شك أن موسى كان يعلـــم مـــدى طغيان فرعون وظلمه كيف لا؟ وقد نشأ في قصره وتربى في كنفه وابتلي بعد ذلك بقتل رجل من أعوانه وجنوده فخرج من مصر خائفاً يترقب، فأقام في مدين ســـنين في رعاية غنم صهره ثم عاد إلى مصر وفوجئ في الطريق بتشريف الله له بالنبوة وتكليفه بالرسالة إلى فرعون وملئه وبني إسرائيل[1].

يا لها من مهمة خطيرة وكبيرة، إذ كيف يواجه موسى هذا الطاغية الجبار؟ وأنى له أن يقف في وجهه وقد قتل منهم نفساً؟ هل يمكن أن ينسى فرعـــون أو يتجاهـــل ذلك؟ أم هل من الممكن أن يعفو عنه؟ ثم بعد كل هذا يأتيه فينزله عن عرش سلطانه ويزلزل ملكه وهو من ألّه نفسه!!!.

كل هذه التساؤلات تدلل على موقف موسى في استعداده لهذه المهمة العظيمـــة ولقد صرح موسى عليه السلام بخوفه من أن يُقتل ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾(القصص : 33،34).

وقولـــه تعـــالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ (الشعراء : 12ـ14).

إذاً هذه المهمة الصعبة بحاجة إلى مقومات كبيرة لإنجاحهـــا إن لـــم تتـــوفر هـــذه المقومات فلسوف تفشل هذه المهمة وتصاب بشلل تام.

فتوجه موسى عليه السلام إلى الله تعالى بطلب المعونة مظهراً افتقاره أمام الله تعالى، إذ لا غني لعبد من عباد الله عن معونة ربه وتأييده، وهذا نبي الله موسى، وهو من أولى

(1) في معنى كلام ، وهبة الزحيلي : التفسير المنير (213/16) .

العزم[1] من الرسل يتوجه إلى الله تعالى مستعيناً به في غاية الخـــضوع والخـــشوع والتـــذلل قـــائلاً: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴾(طه : 25–29).

فهذه أسئلة أربعة قد وفق موسى في طلبها من الله تعالى.

يقول السعدي : "وهذا يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته ومعرفته للأمـــور، وكمال نصحه وذلك لأن الداعي إلى الله، المرشد للخلق، خصوصاً إذا كان المـــدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان، يحتاج إلى سعة صدر، وحلم تام، على ما يـــصيبه من الأذى، ولسان فصيح يتمكن من التعبير به على ما يريده ويقصده، بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام من ألزم ما يكون لكثـــرة المراجعـــات والمرادفـــات، ولحاجته لتبيين الحق وتوضيحه بما يقدر عليه، ليحببه إلى النفوس، وإلى بيان قـــبح الباطل وتهجينه، لينفر عنه ويحتاج مع ذلك أيضاً، أن يتيسر أمره، فيأتي البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلـــة بـــالتي هـــي أحسن، يعامل الناس كلاً حسب حاله وتمام ذلك، أن يكون لمن هذه صـــفته أعـــوان ووزراء يساعدون على مطلوبه، لأن الأصوات إذا كثرت لابد أن تؤثر فلذلك ســـأله عليه الصلاة والسلام هذه الأمور فأعطيها"[2].

وزارة هارون عليه السلام:

إن الحكمة في اختيار الوزير من قرابته لأن الشأن في القريب (المؤمن) أن

---

(1) أولو العزم من الرسل خمسة: جاء ذكرهم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ [الأحزاب : 7] وقوله تعـــالى : ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾[النساء : 163] وقد أمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يصبر كما صبروا فقال (فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ).

وقيل أولو العزم من الرسل: المراد بهم جميع الرسل وتكون (من) في الآية بيانية وقد رجح الشنقيطي القول الأول: أضواء البيان (241/7).

(2) السعدي : تيسير الكريم الرحمن (12/2)، بتصرف.

يكون حريصاً على نجاح قريبه قال البقاعي : **(مِّنْ أَهْلِى)** لأني به أثق لكونه عليَّ أشفق[1].

فما كان لموسى أن يطلب أخاه محاباة أو لإيثاره بذلك المنصب دون غيـــره، لا وخاصة أن هذا المنصب محفوف بالمكاره والأخطار ويكفي أن هارون قد تعـــرض للقتل من بني إسرائيل ولعل اختيار هارون لهذا المنصب بسبب معرفته الواسعة في قومه فهو يستطيع أن يتعامل معهم لأنه يعيش بينهم، أما موسى فقد تـــركهم فتـــرة كانت كفيلة بإحداث فجوة بينه وبين قومه.

هذا بالإضافة إلى أن هارون يستطيع أن يُفهِم القوم ما يريده موسى فهو يـــسمع من أخيه ويعقل ما يقوله ويوصل ذلك للناس وهذا السبب قد بينه موسى حين قال : ﴿ **وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا** ﴾ **(القصص : 34)**.

والغاية النبيلة التي من أجلها اختار موسى آخاه هارون هي ﴿ **كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا** ﴾**(طه : 33-34)**.

يقول محمد العدوي : "**ولم يرد بها أن يؤازره على إذلال الناس وظلمهـــم، أو يعاونه على التنكيل بهم وتمكين قدم الغاصب في بلاده ؛ وإنما طلب أخاه وزيراً له لغاية التسبيح والذكر**[2]".

لكن أهل الباطل في هذا الزمان لا يضعون الرجل المناسب في المكان المناسب بل يختارون لمثل هذه المهمة من لا هم له إلا التسلط على رقاب العباد والإمعان في الرذيلة والبعد عن الخُلُق الفاضل، فتراه يسعى لجمع الأموال ليتمتع بـــسلطة كاذبـــة ونفوذ مستعار يعطي الغاصب بكلتا يديه ويمكن له في الأرض، ويـــذهب بمـــصالح البلاد ومقدرات الشعب.

هذه وزارة الباطل التي أساسها التعاون على الإثم والعدوان واضطهاد الأبريـــاء ومطاردة الأحرار وتضييع مقدرات الأمة في أوحال الشهوات والرذيلة.

---

(1) نظم الدرر (16/5)، بتصرف.

(2) دعوة الرسل (ص 237).

أما وزارة الرسل فقد قامت على الإيمان والإخلاص، عمادهـــا البـــر والتقـــوى وأساسها الحق والعدل قال تعـــالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ (ص : 26).

كما أنها تقوم على نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم لرده عن ظلمه، وشتان بين الوزارتين.

نسأل الله تعالى أن يهيئ للأمة وزارة عادلة تعيد لها كرامتها وترفع الظلـــم عنهـــا آمين.

لطيفة:

جاء ذكر الوزير في القرآن الكريم مرتين:

الأولى: في سورة طه في قوله تعالى:﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَـٰرُونَ أَخِى ﴾ (طه : 29،30).

والثانية: في سورة الفرقان في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴾(الفرقان : 35).

ومن الملاحظ أن لفظ الوزير إنما اختص به هارون عليه السلام ورغم أن فرعون قـــد كان وزيره هامان إلا أن ذكر الوزارة الحقة ومجيأها يزهق الوزارة الباطلة ويلغيها.

وهكذا لابد للحق من ظهور ولا بد من قوة حتى يعلو ويرتفع ولابد للباطـــل أن يندحر ويتلاشى وينتهي أمره.

هارون أخي :

موسى وهارون متعاونان في الرسالة يكمل كل منهما الآخر ويقال : إن هارون عليه السلام كان يمتاز على موسى في أمور أخرى، فكان به لين وحلم وكان موسى شديداً. ويتضح هذا حينما عاد موسى إلى قومه، وقد تركهم في صحبة أخيه هارون فعبدوا العجل فاشتد غضبه كما قال تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ﴾ (طه : 86).

ثم احتد على أخيه وجذبه من رأسه ولحيته. فماذا قال هارون؟

﴿ **قَالَ يَبْنَؤُمَّ** ﴾ ليستعطفه ويذكره برأفة الأم وحنانها: ﴿ **لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ** ﴾ (طه : 94) وفي آية أخرى: ﴿ **إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى** ﴾ **(الأعراف : 150).**

إذاً فالفصاحة في هارون تجبر العقدة في لسان موسى، واللين يجبر الشدة والحدة وأيضاً فإن موسى عليه السلام كان أسمر اللون أجعد الشعر أقنى[1] الأنف وسيم التقاطيع والملامح، ترتاح له الأبصار فمن لم يرتح لموسى ارتاح لهارون ولقد كان النبي ﷺ يحب أن ينزل الوحي عليه في صورة **(دحية الكلبي)***، وكان رضي الله عنه وسيماً، ترتاح العين لرؤيته، فكان جبريل عليه السلام ينزل عليه في هذه الصورة ليؤنسه.

من أهلي:

"وفيها أيضاً إشارة إلى أدب عال من آداب النبوة حيث إن موسى عليه السلام لا يريد أن يتعالى بالرسالة أو يفخر بها أو يطغى إنما يريد أن يقوم بها على أكمل وجه لذلك يحاول أن يكمل ما فيه من نقص بأخيه ليعينه على تبليغ رسالته، ولو أراد الاستئثار بالرسالة ما طلب هذا الطلب، وهذا نموذج يجب أن يحتذى به، فإن كلفت بأمر فوق طاقتك فلا غبار عليك أن تستعين عليه بغيرك فهذا دليل على إخلاصك للمهمة التي كلفت بها"[2].

فوائد من هذه الفقرة:

❋ قال العلماء: "ما نفع أخ أخاه كما نفع موسى هارون فقد طلب له من ربه أن

---

(1) قنى الأنف قنا : ارتفع وسط قصبة الأنف وضاق منخراه فهو أقنى وهي قنواء، نبيل عبد السلام هارون : المعجم الوجيز (مادة : قنا).

* صحابي مشهور أول مشاهده الخندق وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبريل ينزل على صورته وشهد اليرموك، وقد نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة (473/1).

(2) الشعراوي في تفسيره (9261/15).

يجعله وزيراً ويكرمه بالرسالة فاستجاب الله دعاءه وجعله نبياً مرسلا"[1].

❋ "في سؤال موسى ربه أن يجعل الوزير من أهله لأنه من باب البر، وأحق ببـــر الإنسان قرابته، وهذا يعطينا درساً في صلة الرحم التي أمر الإسلام بها وحـــث عليها و شدد النكير على من قطعها، بل جعلها قرينة الإفساد فـــي الأرض قـــال تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾(محمد : 22،23).

❋ في الفقرة دليل على فضل التسبيح والذكر إذ لولا أن موسى علم حب الله تعالى لهما لما توسل بهما لقضاء حاجته"[2].

❋ وفيها دليل كذلك على أنه ينبغي على الإنسان إذا أسدى الله إليه نعمة أن يقابلهـــا بالشكر، وذلك بمضاعفة طاعته وعبادته والإكثار من تسبيحه وذكره جل وعلا.

❋ الخُلُق الكريم الذي تحلى به موسى عليه السلام، فلم يحقد على أخيه الذي امتـــاز عنـــه ببعض الصفات، بل اعتبرها تكميلاً لصفاته والجميع من أجـــل أداء الرســـالة، وتبليغها على وجهها الأكمل، فلم ينظر إلى نفسه ونجاحه هو وإنما إلـــى نجـــاح المهمة التي كلفه الله بها.

ويجب أن يشيع هذا الخلق بين الناس، فإن رأيت خصلة خير في غيرك أو وجهاً من وجوه الكمال في غيرك، فاحمد الله عليها واعلم أنه سيعود عليك نفعها.

المناسبة بين هذه الفقرة والتي قبلها :

بعد أن ذكر تعالى معجزة العصا الدالة على صدق رسالة موســـى عليه السلام وهـــي المعجزة الأولى أردفها بذكر المعجزة الثانية وهي اليد البيضاء التي تنقلـــب مـــشعة كشعاع الشمس[3].

(1) الصابوني : صفوة التفاسير (235/2).

(2) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير (ص 748).

(3) وهبة الزحيلي : التفسير المنير (202/16).

وبعد هاتين الآيتين أمره بالذهاب إلى فرعون لتبليغ رسالة ربه ودعوته إلى عبـــادة الله، فدعا موسى عليه السلام ربه بأربعة أمور تمثل وسائل الدعوة وهي:

- شرح الصدر.
- تيسير الأمر.
- حل عقدة اللسان.
- اختيار الوزير.

وهذه الأربعة لتحقيق غايات أربع كذلك هي:

شد الأزر والمشاركة في الأمر والتسبيح والذكر.

إن المتأمل في وجه المناسبة بين هذه الحلقة والتي قبلها يجد تآلفاً بين الوســائل والغايات، والأسباب والنتائج، فالحلقة الأولى كانت تمثل إعــداداً روحيــاً ونفــسياً وجسدياً للداعي بإجابة سؤله وتلبية حاجاته واصــطناعه ليتحمــل مــشاق الــدعوة وتكاليف الرسالة، وقد أحيط بهالة عظيمة من التكريم والعطف والإينــاس مــزوداً بالمعجزات الكبرى مستعيناً بالله تعالى يلهج لسانه مع أخيه بالذكر والتسبيح.

والحلقة الثانية تصور الغاية التي من أجلها كان إكرام موسى بكل هذا الإكرام ؛ فإنه ذاهبٌ لمواجهة أقوى ملك في الأرض وأطغى جبار، إنه ذاهــب لخــوض معركــة الإيمان مع الطغيان، ذاهبٌ لإنقاذ قومٍ قد أذلهم الاســتعباد وأفــسد فطــرتهم حتــى استمرأوا التبعية والخنوع.

ولتنوع المهمات التي حملها موسى والأهداف التي يبغي تحقيقها لابد أن تتنوع معــه الأساليب ما بين ترغيب وترهيب وهذا ما سنلحظه في هذه الحلقة بمشيئة الله تعالى.

الحلقة الثالثة : منن الله تعالى على موسى :

استجاب الحق سبحانه لدعوات موسى عليه السلام وحقق سؤله وأخبره سبحانه عن ذلك بقوله :﴿ **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ** ﴾ (طه : 36) هكذا مرة واحدة أعطيت كل ما

سألت، وبكلمة واحدة فيها إجمال يغني عن التفصيل، وفيهـــا انجـــاز، لا وعـــد ولا تأجيل[1].

ثم ذكره سبحانه بسوابق فضله وإحسانه عليه، وأن موسى عليه السلام كـــان فـــي جميـــع مراحل حياته وتقلباته، موضع عنايته سبحانه، أحاطه بخفي ألطافه، وحفـــه بكـــريم إحسانه منذ بداية حياته وبواكير نشأته. وبهذا عادت الآيات الكريمة عوداً لطيفاً إلى قصة موسى عليه السلام من بدايتها، وظلت الآيات محافظة على أسلوبها اللطيف الرهيـــف مكتفية بالمرور السريع على الأطوار والمراحل التي تقلب فيهـــا موســـى عليه السلام دون استقصاء وتفصيل، اقتصرت فقط على تذكير موسى ببعض منن الفـــضل الإلهـــي عليه، والجود والإحسان الرباني وهو المنان يمن على عباده ولا أحد يمن عليه قـــال تعـــــــالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾[2] **(طه: 37-38).**

---

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن (2334/4).

(2) أصل الوحي : الإشارة السريعة الخفية، وهو شرعاً : إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه.
أو هو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[الشورى : 51].
فهذه الآية فيها بيان أنواع الوحي الذي يكرم الله به أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، أما الوحي إلى أم موسى فإنه يدخل في معنى الإلهام، وذلك لعدم ثبوت صحة نبوة لامرأة قط فيحمل ذلك على إلهامها بها ألقى الله تعالى في روعها.
والوحي يأتي بمعان متعددة يرجع إليها في مظانها مثل :
1- الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن مادة وحي (ص 858).
2- محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي (ص 34،35).
3- محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم (ص 70). وغيرها من كتب علوم القرآن.

أولاً : منة الله على موسى وليداً رضيعاً[1]:

ذكرت كتب التفسير والسيرة أن فرعون[2]قد سمع نبوءة تقول : إن واحداً مـــن أبناء إسرائيل سيسقط فرعون مصر عن عرشه، فأصدر فرعون أمره ألا يولد مـــن بني إسرائيل ذكر إلا قتله، وبدأ بتطبيق هذا النظام الجـــائر، ثـــم اســـتأنف الحكـــم باستشارة بعض مقربيه ليقتل في عام ويترك في الذي يليه وذلك كـــي لا تـــضعف مصر بقلة الأيدي العاملة.

وحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يقتل فيه الغلمان، ولما كـــان العـــام الذي ولد فيه موسى عام قتل خافت عليه خوفاً عظيماً، فأرشدها الله تعالى وبين لهـــا ما ينبغي أن تفعله وحكى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ (القصص : 7) وها هي عناية الله تحف موسى والأمواج تتقاذفه يميناً وشمالاً، لكن الأمواج مأمورة بأمر الله تعالى منقادة لسلطانه وإرادته.

ويلاحظ هنا في قوله تعالى: ﴿ **فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ** ﴾(طـه : 39) أن الخبر قـــد جاء بصيغة الأمر والخطاب لمياه النهر مما يدل على أن مشيئة الله ســـبحانه تامـــة نافذة في جميع الموجودات، وها هي مياه النهر تخضع لأمره سبحانه وتنقاد لمشيئته جل وعلا، فتؤدي الأمانة التي حملتها سليمة معافاة إلى الساحل حيث شاء الله تعالى وقدر.

---

(1) انفردت سورة القصص بالحديث عن إرضاع موسى عليه السلام، ولم تشر سورة طه إلى الإرضاع مطلقاً رغم أنها ذكرت القذف في التابوت والقذف في اليم، ولعل السر في ذلك هو الاكتفاء بما ذكر في سورة القصص فقد أغنى عن التكرار.

(2) فرعون علم كل من ملك مصر كافراً من العماليق وغيرهم، كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافراً وكسرى لمن ملك الفرس، وتُبَّع لمن ملك اليمن كافراً، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك الهند، ويقال كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان، وقيل مصعب بن الريان فكان من سلالة عمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوح، وكنيته أبو مرة ، وأصله فارسي من اصطخر وأياً ما كان فعليه لعنة الله، ابن كثيـــر : تفسير القرآن العظيم (90/1).

ثانياً : منة الله بإلقاء المحبة على موسى:

ويصل التابوت إلى ساحل الأخطار، ساحل قصر فرعون، الذي أمر بذبح أبناء بني إسرائيل، حملته مياه النهر بأمر الله تعالى إلى من كانت أمه خائفة عليـــه مـــن ظلمه وطغيانه، حتى أخذه عدو الله وعدوه الذي يبحث عنه، فما كاد موسى ينجو من خطر البحر حتى وقع تحت خطر السكين وأصبح في قبضة فرعون وسلطانه، ومع ذلك حماه الله سبحانه منه، فسلطان الله أقوى من سلطان فرعون.

وفي ظل هذه المخاوف كلها فماذا حدث للطفل الضعيف، الذي لا يملك القـــوة؟ وما الذي جرى للتابوت؟

وقى الله موسى من فرعون بفرعون وجعل قصره حرزاً وحصناً منيعاً حاميـــاً، وكان الحب جنداً مدافعاً عن موسى فما رآه أحد إلا أحبه، فعندما رأته سيدة القـــصر –امرأة فرعون المؤمنة– أوقع الله محبته في قلبها، فأنقذته من الذبح، بعـــد أن أمـــر فرعون بقتله دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (القصص: 9).

بهذه المقولة امتنع فرعون عن قتل موسى الذي عاش في كنف المحبة والرعاية قال تعالى: ﴿ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ [1] مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ (طه: 39).

قال قتادة وغير واحد من السلف : أي تطعم وترفه وتغذى بأطيب المأكل وتلبس أحسن الملابس بمرأى مني، وذلك بحفظي وكلاءتي لك فيما صـــنعت بـــك ولـــك. وقدرته لك من الأمور التي لا يقدر عليها غيري[2].

ثالثاً : منة الله تعالى على موسى بتحريم المراضع عليه:

إن ذكر إرضاع موسى عليه السلام قد اختصت به سورة القصص وأما طه فتحـــدثت عن الكفالة التي تضم الإرضاع والضم والتربية ولقد كان من سوابق نعم الله تعـــالى

(1) جاءت كلمة (محبة) نكرة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية، ثم حصلت من الله تعالى، فأضيفت لها فخامة أخـــرى، الألوسي : روح المعاني (89/6).

(2) ابن كثير : قصص الأنبياء (ص 226).

على موسى أن حرم عليه التقاط ثدي غير ثدي أمه وهذه حكمة عظيمة إذ أنه لو رضع من غيرها لاستغنوا عن أمه.

وتحقق وعد الله تعالى حين قال: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ[1] وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص:7) وكان رجوعه سبباً في قرار عين أمه وزوال حزنها وامتلاء فؤادها الذي أصبح فارغاً.

حِكَم وفوائد:

ويتبين للباحث أن الله تعالى حث الوالدات على إرضاع أولادهن، وحدد مدة الرضاع بعامين كاملين لمن أراد الإتمام لأن هذه المدة يستغني بها الطفل عن ثدي أمه، وليس هناك لبن يعادل لبن الأم، فهو أفضل غذاء باتفاق الأطباء بل ووقاية لكثير من الأمراض التي قد يتعرض لها الطفل في هذه المرحلة الأولى من حياته.

والولد قد تكون من دمها في أحشائها، فلما برز إلى الوجود تحوَّل الدم إلى لبن يتغذى منه، فهو اللبن الذي يلائمه ويناسبه لأنه قد انفصل من الأم، وقد قضت الحكمة الإلهية أن تكون حالة لبن الأم في التغذية ملائمة لحال الطفل بحسب درجات سنّه فإذا أرضعته مرضع لضرورة وجب التدقيق في صحتها ومعرفة أخلاقها وطبائعها، لأن لبنها يؤثر في جسم الطفل وأخلاقه وآدابه، إذ هو يخرج من دمها ويمتصه الولد، فيكون دماً له ينمو به اللحم وينشر العظم، فيؤثر فيه جسمياً وخلقياً.

ولعل الله تعالى لأجل هذا قد حرم على موسى المراضع ليكتفي بلبن أمه ويرضع معه الحنان والرحمة لأن الأم لا ترضع ولدها اللبن فحسب بل ترضعه الرحمة والشفقة فينشأ محباً للخير عطوفاً رحيماً.

---

(1) في سورة طه (**فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ**) وفي القصص (**فَرَدَدْنَٰهُ**) لأن الرجع إلى الشيء والرد إليه بمعنى واحد، ولفظ الرجع ألطف فخص "بطه" وخص القصص بقوله : "فرددناه" تصديقاً لقوله : "إنا رادوه إليك"، الكرماني : أسرار التكرار في القرآن (ص 174).

وعلى العكس حال أولئك الذين يحرمون عطف وحنان أمهاتهم يكونون معقدين، وتفتعل في نفوسهم نوازع القسوة والشر والانتقام، قال الصابوني*: وقد فطن علماء التربية والتهذيب في الأمم الراقية لهذا الأمر، حتى أصبح نساء القياصرة يرضـــعن أولادهن بأنفسهن ولا يرضين تسليمهم إلى المراضع.

فأين نحن مما نراه اليوم من التهاون في رضاعة الأولاد رضاعة طبيعية ربانية، والاستغناء عنها بألبان أخرى لا تفيد كثيراً إذا قورنت بالرضاعة الطبيعية.

بل لقد صار كثير من النساء في هذا الزمان يرغبن عن الإرضاع ترفعاً وطمعاً في السمن وبقاء الجمال وكل هذا مقاوم لسنّة الفطرة، ومفسد لتربية الأولاد[1].

تلك كانت منة الله تعالى على عبده موسى ورسوله ترعاه عـــين الله وتحرســـه عنايته ويصنع على عينه، فلقد تهيأت له أسباب السعادة بإرضاعه مـــن أمـــه التـــي فرحت بضمه إلى صدرها وإلقامه ثديها.

رأي الباحث :

قد يختلف الباحث مع الصابوني في هذه المسألة فإنه ليس ممنوعـــاً شـــرعاً ولا عرفاً أن يرضع الطفل من لبن غير أمه فلقد كان أهل مكة من العـــرب يلتمـــسون لأولادهم المراضع ابتعاداً لهم عن أمراض الحواضر ؛ لتقـــوى أجـــسامهم وتـــشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي[2] كما حدث للنبي ﷺ حين رضع من لبن غير لبن أمه.

ولعل الحكمة من رد موسى إلى أمه كانت لأجلها هي كي تطمئن وتقر عينها ولا تحزن لا لأجل موسى عليه السلام.

---

* هو الشيخ محمد الصابوني ولد بحلب سنة 1925ـــ وحصل على الإجازة العلمية في الشريعة الإسلامية وعمل مدرســـاً في المرحلة الثانوية بحلب ثم أستاذاً بجامعة أم القرى بمكة المكرمة. ومن أهم مؤلفاته : صفوة التفاسير وهو تفسير وسيط للقرآن الكريم، وروائع البيان في تفسير آيات الأحكام، والنبوة والأنبياء وقبس من نور القـــرآن الكـــريم. وهـــو دراســـة موضوعية للسور القرآنية، عبد القادر عياش : معجم المؤلفين السوريين (ص 296).

(1) الصابوني : روائع البيان (1/358،357) بتصرف.

(2) ذكر ذلك المباركفوري : الرحيق المختوم (ص 63).

عنصر المرأة في قصة موسى :

كان لعنصر المرأة في قصة موسى أثر غير قليل حيث ظهرت في هذه القـصة بشكل واضح، يعطينا أنموذجاً للمرأة من حيث نفسيتها وقـدراتها العقليـة وعملهـا الاجتماعي وحكمها على الأشياء، وأول ما يقابلنا في هذا أم موسى التي امتثلت أمر الله تبارك وتعالى، ولكن مع هذا الامتثال كانت عاطفة الحنان تهيمن عليها، ومع هذا فشخصيتها شخصية المرأة التي ربما لا تقوى على كثيـر مـن مرافقـة الأحـداث ومجابهتها، وبخاصة إذا طال أمرها، وهاهي يصبح فؤادها فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين، وها هي تقول لأخته قصيه، ويشير القرآن إلى هذا الملخص بقوله ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾(طه : 40).

وعدم الإشارة إلى أبي موسى في الآيات الكريمة يدلنا على أن الشأن إنما يتعلق بالمرأة نفسها لأنها هي التي قد تقوى على ما طلب منها أو تضعف.

والمرأة الثانية في قصة موسى هي أخته التي يدلنا القرآن على ما كان لها مـن دور يدل على بصر في الأمور وحسن مخرج في التغلب على ما يحرج، وهـاهي كما يقول القرآن الكريم ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (القصص :11) وقالت كلاماً لا يثير حولها شبهة، بل يبعد بها كل البعد عن أن يشار إليها بأصـابع الاتهام، والموقف حرج حقـاً ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴾(القـصص : 12) هكذا : (أَدُلُّكُمْ) (أَهْلِ بَيْتٍ) (يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ) كـل كلمة تشير إلى معنى.

وإني ألمح من أخت موسى وكأنها تعمل في جهاز استخبارات عسكرية، وقـد أتقنت عملها جيداً، بل لربما تتعرض لأسئلة مثل : كيف عرفتِ أن أهل هذا البيـت سيكفلون وينصحون؟ وكل ذلك قد أعدت له جواباً مقنعاً كي لا تقـع فـي الحـرج وينكشف أمرها فيُقتل أخوها فقالت: "**رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعته**"[1] إن

(1) ابن كثير : قصص الأنبياء (ص 297).

هذا الدور لو أحسنت المرأة المسلمة استخدامه في استكشاف أخبار العـــدو، وقـــص أثره، مع مراعاة السرية التامة والكتمان والدقة في التحري والنظـــرة الثاقبـــة فـــي عواقب الأمور، اعتقد أنه سيعود بنفع كبير على المسلمين وعلى الدعاة خاصة الذين يتربص العدو بهم الدوائر.

ولقد رأينا صوراً مشرقة[1]، وأمثلة رائعة لنساء ببلادنا يـــدافعن عـــن الرجـــال ويضللن أعين العدو عن المقاتلين، مما كان له أروع الأثر في نجاة الكثيرين من يد البطش والطغيان.

وإذا تركنا أمه وأخته عليها السلام وقد رأينا أن كلاً منهما تكمل ما للأخرى وجدنا امرأة ثالثة تفيض رحمة وحناناً مع عقل راجح واستعطاف مؤثر، كل ذلك يتفاعل مع تدين صادق غير مفتعل، وكأن فرعون أحس بأن هناك أمراً، وهناك ندرك ما للمرأة من تأثير في حياة الرجل حتى ولو كان جباراً، نعم لقد اســـتطاعت المـــرأة أن تـــؤثر، واستطاع الجبار أن يستجيب فماذا قالت امرأة فرعون : **(لَا تَقْتُلُوهُ)**، ولكن لمـــاذا؟ **(قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ)** تبدأ بهذه العبارة قبل أن تنهى عن قتله.

(لي) إنها تستعطفه أولاً كأنها تقول له عندك من الأحفاد والملك والعمل والمشاغل ما تملأ به وقتك، أما أنا فكما تعلم ليس لي من ذلك شيء أشغل به وقتـــي وأبهـــج بـــه نفسي، فمن أجلي أنا أولاً **(قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي)** ثم قالت **(وَلَكَ)** هكذا يعبر القرآن الكـــريم، ومن يدري فلعلها لو قالت **(قرة عين لك)** أولاً لقال: **(أنا أجد ما تقر عيني به فـــلا أريد)**، ولكن المرأة المؤمنة الحصيفة عرفت من أي مدخل تدخل.

وبقى في قصة موسى ابنتا الشيخ الكبير اللتان اتصفتا بمكـــارم الأخـــلاق فـــلا تزاحمان الرجال ولكن تذودان حتى يصدر الرعاء ثم تبينان بحصافة ولباقة الـــسبب الذي دعاهما لامتهان هذه المهنة مع أنها للرجال.

---

(1) من هذه الصور في فلسطين ما تفعله بعض النساء من المدافعة وتخليص الشباب من الأعداء وتخبئـــة المجاهـــدين، وإعانتهم في ضرب مواقع العدو وحصونه.

توضحان هذا السبب حتى لا يظن بهما شيء أخر ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ثم لا نجد منهما ثرثرة فلم يحدثنا القرآن عن شيء بعد أن سقى لهما موسى عليه السلام إنه الوقار بل إن حديثهما لأبيهما أولاً قد طواه القرآن الكريم كذلك كأنما هو حديث موجز تحدثتا به لأبيهما خجلتين.

ثم يبين القرآن هذا الحياء حينما جاءته إحداهما تمشي على استحياء ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾ (القصص : 25) ولكن يدعوك لماذا؟ تكمل ابنة الشيخ الكبير قولها لتبين سبب الدعوة ﴿ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ (القصص : 25) ليس لها ولأختها فقط بل للبيت كله، ثم تظهر منها تلك الحصافة ورجاحة العقل لقد رأت من موسى عليه السلام كل خير وهي فرصة سانحة لتقر المرأة في بيتها الذي اختاره الله لها فقالت: ﴿ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾(القصص : 26).

وأخيراً نجد في قصة موسى هذه الصفة من صفات المرأة ؛ الطاعة للزوج تظهر هذه الصفة جلية، وهاهو موسى عليه السلام لما قضى الأجل وسار بأهله وآنس من جانب الطور ناراً، وقال لهم ما قال يذهب ويتركها وحيدة، وكان يمكنها أن تطلب أن تكون معه، ولكنها الطاعة النابعة من الإيمان، والمزينة بالعقل والحصافة[1].

رابعاً : منة الله تعالى على موسى بإنجائه من الغم:

وكذلك أدركته عناية الله تعالى وحفت به ألطافه عندما ابتلي بقتل رجل من آل فرعون بطريق الخطأ وقد جاء تفصيل قصة القتل في سورة القصص واختُصرت هنا في طه بقوله تعالى: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾(طه : 40).

ونجاته من الغم الذي نزل به كان على وجهين:

(1) فضل عباس : القصص القرآني (ص 340،339).

❋ عقاب الدنيا وهو اقتصاص فرعون كما جاء في آية القصص ﴿ **فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ** ﴾ (القصص : 18).

❋ عقاب الله حيث قتل بغير إذن من الله، فغفرنا لك ذنبك حين قلت ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي** ﴾ (القصص : 16) ووفقناك للهجرة إلى مدين[1].

شبهات وردها :

الأولى: أن موسى عليه السلام قتل القبطي من أجل العبراني لأن العبراني من قبيله والقبطي من غير قبيله فجعلوا موسى الكليم عليه السلام متعصباً لأجل قبيلته وعشيرته، وليس الأمر كذلك وحاشاه من ذلك، فإن هذه حمية الجاهلية، وإنما مر موسى على السلام برجلين يقتتلان أحدهما يعرفه مؤمناً والآخر يعرفه كافراً، فاستغاثه المؤمن على الكافر فوكز الكافر ليحمي المؤمن فصادف مقتلاً من مَقاتِله بتلك الوكزة فمات.

فإن قيل من أين لكم أن تحكموا بإيمان أحدهما وكفر الآخر وإنما نطق الكتاب ب **(رجلين)** أحدهما من شيعته والآخر من عدوه؟

فنقول: ومن أين علمتم أيضاً أن أحدهما كان قبطياً* والآخر سبطياً* والكتاب إنما نطق برجلين؟.

فإن قالوا : لقوله تعالى ﴿ **هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ** ﴾ (القصص : 15) والشيعة : القبيل[2] والرهط، فمن أين نقلتم الحقيقة إلى المجاز، ومن أين صح لكم العلم بكفر أحدهما وإيمان الثاني؟! فنقول علمنا ذلك من ثلاثة أوجه:

---

(1) المراغي في تفسيره (111/16).

* القبط : المسيحيون (النصارى) أبناء الكنيسة المصرية القومية سكان مصر الذين ظلوا محتفظين بلغتهم القومية في مختلف لهجاتها، سموا بهذا الاسم تمييزاً عن العناصر الغربية التي استوطنت البلاد والتي استعملت اللغة اليونانية، مجموعة من اللغويين النصارى : المنجد في اللغة والأعلام (ص 433).

* السبط : اليهود من أولاد إسحق ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾. ابن منظور : لسان العرب مادة (سبط) (475/4).

(2) القبيل : الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعداً. ابن منظور : لسان العرب (231/7) مادة (قبل).

أحدها: أن شيعة الكافر قبيله ونسيبه وصنفه، وشيعة المؤمن إنما هو شريكه فـــي الإيمان، كان من قبيله أو من غير قبيله. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الصافات : 83).

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الأخوة تكون على حسب الإيمان، ولقد كـــان في بني إسرائيل وفي القبط مؤمنون يكتمون إيمانهم فكان هـــذا الرجـــل المـــستغيث بموسى منهم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ (غافر : 28).

الثاني: قول الله تعالى لأم موسى عليه السلام ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾(طه : 39).

ومعلوم قطعاً أن الله ما سمى فرعون عدواً له ولنبيه إلا لأجل كفره، فخرج من هذا أن هذا القبيل إنما كان عدواً لموسى عليه السلام من أجل كفره، ولو اجتزأنا بهـــذا الـــدليل لاكتفينا به عما سواه.

الثالث: القبيل يقابله قبيل مضاد ولا يقال عدو، وقد تكون عداوة مع وجود النسب وثبوته قال تعـــالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ (التغابن : 14) فيكون موسى قد وكز الكافر العدو لأجل كفره لا لغير ذلك.

- فإن قيل : فلمَ ندم على قتله وتحسر واستغفر ربه؟

نقول : إنَّ نَدَمَ موسى لم يكن على مباح، وإنما كان ندمه على فعل لم يؤمر بـــه، والأنبياء يندمون ويستغفرون على ترك الأولى.

- فإن قيل كيف يعاتبه ربه على قتل كافر؟ ويقصدون عند المناجاة حين قـــال : ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾(طه : 40).

نقول: إن الله لم يعاتبه عند المناجاة، وإنما عدد عليه نعمهُ السالفة عليـــه وآلاءه العميمة.

- وأما قول موسى عليه السلام ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الشعراء : 20).

فالضلال هنا بمعنى الغفلة عن الشريعة فإنه عليه السلام لم يكن مكلفاً وهي كقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّاً فَهَدَىٰ ﴾ (الضحى : 7) ويفسر ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾[1] (الشورى : 52).

يقول الألوسي*: "**وكأنه عليه السلام بعد أن وقع منه ما وقع تأمل فظهر له إمكان الدفع بغير الوكز، وأنه لم يثبت في رأيه لما اعتراه من الغضب، فعلم أنه فعل خلاف الأولى بالنسبة إلى أمثاله، فقال ما قال على عادة المقربين في استعظامهم خلاف الأولى...**"[2].

ويقول الدكتور أبو النور الحديدي : "**وما ترتب عليه من القتل غير مقصود، إنما المقصود رفع الظلم عن القبطي بوسيلة رآها موسى مناسبة فلم يجد معه أقل منها ولا تؤدي في أصلها إلى القتل، فهذا الفعل من موسى عليه السلام خلاف الأولى لأن أمثاله عليه السلام إنما الأولى بهم أن يفصلوا بين خصمين يبغي أحدهما على الآخر ويكفوا الباغي عنها بالنصيحة والموعظة الحسنة**"[3].

ومع ما ذكرناه في هذه الشبه والرد عليها، فإن قتل هذا الكافر لم يكن بطعنة حديدة ولا برمية سهم ولا بضربة سيف ولا بغيره وإنما هي وكزة، وقد جرت العادة أن الوكزة لا تسبب موتاً في الغالب إلا نادراً والنادر لا يحكم به، فقد تبرأ موسى عليه السلام من الذنب في قتل الكافر.

---

(1) هذه الشبهة قد أوردها ابن خمير في كتاب تنزيه الأنبياء وردّ عليها (ص 121-126).

* هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني أبو المعالي. وهو مؤرخ، وعالم بالأدب والدين، ومن الدعاة إلى الإصلاح. من مصنفاته "روح المعاني" وهو تفسير كبير مملوء بالعلوم، وفيه نزعة صوفية. ولد في رصافة ببغداد سنة 1273 هـ وتوفي فيها سنة 1342 هـ. الزركلي: الأعلام (7/173،172).

(2) روح المعاني (20/54).

(3) عصمة الأنبياء (ص 338، 339).

وقفة مع حديث الفتون ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾:

الفتون من فتن وأصل الفتن : إدخال الذهب النار لتظهر جودته وهو هنا بمعنـــي الاختبار ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ وجُعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً[1].

وحديث الفتون أثر يتضمن قصة موسى مبسوطة من أولها إلى أخرهـــا أورده ابـــن كثير في تفسيره وكذا في قصص الأنبياء نقلاً عن النسائي فـــي الـــسنن الكبـــرى، وملخصه أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس رضي الله عنهما عـــن الفتـــون، فقـــال نستأنف له نهاراً يا ابن جبير ثم لما أصبح أخذ ابن عباس رضي الله عنهمـــا يقـــرأ عليه الآيات الواردة في شأن موسى عليه السلام من ابتداء أمره، فذكر قصة فرعون وقتله أولاد بني إسرائيل ثم قصة إلقاء موسى عليه السلام في اليم، والتقـــاط آل فرعـــون إيـــاه وامتناعه من الارتضاع من الأجانب ثم قصة موسى حين أخذ لحية فرعون ووضع الجمرة في فيه، ثم قصة قتل القبطي، ثم هربه إلى مدين وصيرورته أجيراً للشيخ ثم عوده إلى مصر وأنه أخطأ الطريق في الليلة المظلمة واستئناسه بالنار من الـــشجرة وكان عند تمام كل واحدة فيها يقول هذا من الفتون يا ابن جبير[2].

خامساً: منة الله تعالى على موسى في مدين*:

ذكر الله تعالى مدة مكث موسى عليه السلام في مدين على أنها من مننه عليه مـــع أنـــه كان فيها أجيراً إلا أنه قد تمتع بحصانة ذلك الشيخ الكريم الذي أحسن مثواه وأكرمه،

---

(1) الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن وأقوال السلف في معنى (فتناك) الطبري : جامع البيان (125/16-128)، و الماوردي : النكت والعيون (14/3).

(2) بعد أن ساق ابن كثير الحديث قال : "وهكذا رواه النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر ابن جرير وابن أبـــي هاشم في تفسيرها كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس = = رضي الله عنهما وليس منه مرفوع إلا قليل وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبـــار أو غيـــره والله أعلم، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (153/3).

* مدين: قال أبو زيد: مدين على بحر القُلزُم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك، وبها البئـــر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب، يقوت الحموي: معجم البلدان (224/7).

بل وأرخى عليه أستار الطمأنينـــة وآنـــسه بقولـــه ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص : 25).

ولم يقتصر الأمر على تأمين موسى من الخوف وتحصينه من عـــدوه، وإنمـــا زالت غربته وانقشعت وحشته بمصاهرة الشيخ والسكن إلى جواره.

فمقومات الحياة قد أصبحت مهيأة لموسى عليه السلام فهذا بيت يؤويـــه وصـــهر يحميـــه وزوجة تعينه وتواسيه وهو مع ذلك ليس عالة على أحد فهو يرعى الغـــنم ويهـــش عليها بعصاه ليكون ذلك مهراً لزوجته.

ولقد اختلفت أقوال المفسرين في المدة التي لبثها موسى عليه السلام في أهل مدين.

منهم من قال عشر حجج، ومنهم من قال عشرة وزاد عليها ثماني عشرة سنة أمـــا العشرة التي قال له صهره ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ (القـــصص : 27) فقـــد أتمها موسى، وهذا الأمر ثابت بدليل أثر روي عن سعيد بن جبير قـــال: "**ســـألني يهودي من أهل الحيرة، أي الأجلين قضى موسى؟ قال لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس رضي الله عنهما فقال : قـــضى أكثرهمـــا وأطيبهما، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل**"[1].

وليس في تحديد مدة إقامته في مدين كبير فائدة لأن القرآن قـــد اكتفـــى بقولـــه: ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ (طـــه : 40) ولو كان لتحديد المدة كبير فائدة لبين ذلك القرآن كما بين المدة التي لبثها أصحاب الكهف قال تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ (الكهف : 25) فنقف حيث وقف القرآن.

سادساً: منة الله تعالى على موسى باصطناعه على عينه ولنفسه:

من الملاحظ أن سورة طه خاصة دون باقي السور التي تحدثت عن موسى عليه السلام قد ذكرت آيتين في اختصاص موسى بالعناية خالصاً مستخلصاً.

---

(1) البخاري : الصحيح (2684).

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ **(طـه : 39)** وقد جاءت هذه الآيـــة لبيان العناية الإلهية التي حظي بها موسى في مرحلة الطفولة وقد نشأ فـــي قـــصر فرعون ترعاه عين الله وتحرسه من كل سوء.

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ **(طه : 41)** أي ممحضاً لرسالتي ولدعوتي، ليس بك شيء من الدنيا، إنما للمهمة التي صـــنعتك علـــى عينـــي لهـــا، واصطنعتك لتؤديها على الوجه الذي ارتضيته لك.

فالصنع الأول في مرحلة الطفولة والاصطناع الثاني في الرجولة لأداء الرسالة ومن الملاحظ كذلك أن لفظ الاصطناع الذي يدل على المبالغة في إصلاح الـــشيء ولفظ الصنع الذي يدل على إجادة الفعل[1] قد اختص بهما موسى عليه السلام من بين سائر الأنبياء.

ولعله قد حظي بهذه المرتبة الفائقة من الملاطفة والمؤانسة لكثرة ما تعرض لـــه من الأخطار من فرعون ومن بني إسرائيل.

الحلقة الرابعة: أساليب موسى عليه السلام في دعوته لفرعون:

تمهيد للحلقة:

سأكتفي -بمشيئة الله- بذكر الأساليب التي استخدمها موسى عليه السلام فـــي دعوتـــه لفرعون بما ورد في سورة طه فقط أما ما جاء في غيرها من السور فقد أعرض له بدون تفصيل إن لزم الأمر.

أما الأساليب فهي محصورة في ثلاث نقاط رئيسة:

1- أسلوب الجدل العلمي.

2- الأسلوب العملي الميداني.

3- الأسلوب الحربي العسكري.

وقبل البدء في تفصيل هذا الأسلوب لا بد أن نعلم أن دعوة موسى عليه السلام كانت متوجة باللين والرفق لأن القول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيئ الكبرياء الزائف الذي

(1) الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن، مادة صنع (ص 493).

يعيش به الطغاة ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان.

وهذا ما أمر الله به موسى وهارون، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه : 44).

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران : 159).

قال ابن الجوزي أثناء تفسيره لهذه الآية: "قال قتادة ومعنى (لِنتَ لَهُمْ) : لان جانبك وحسن خلقك وكثر احتمالك"[1].

ولا يظن أحد أن ما نحن بصدد الحديث عنه من ضرورة تحلي الداعية باللين والرفق يقتضي أن يكون **(مداهناً)** حيث يلقي الفاسق المعلن بفسقه فيؤلفه ولا ينكر عليه ولو بقلبه[2]، أو يرى منكراً ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلة مبالاة في الدين[3]،أو ينافق أو يرائي بعض ما هو عليه من أمر الدين مما لا يرضاه الناس مصانعة لهم، لا وإنما يبدأ الداعي باللين أولاً فإن لم ينجح فآخر العلاج الكي لذلك فقد جاءت دعوة موسى وهارون خوفاً من بطش فرعون بهما فطمأنهما الله بأنهما لازالا ينعمان بمعية الله تعالى وتحت سمعه وبصره ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه : 45،46).

أولاً : أسلوب الجدل العلمي:

ولقد كانت رسالة موسى عليه السلام ممثلة في أمرين:

- دعوة فرعون إلى الإسلام.
- تحرير بني إسرائيل.

---

(1) زاد المسير (486/1).

واللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلق وغيره.

الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن (ص 752)، والجوهري: الصحاح مادة (لين) (2198/6).

(2) العيني: عمدة القاري (17/22).

(3) الجرجاني: التعريفات (ص 265).

الأول : دعوة فرعون إلى الإسلام:

فقد تحولت مصر في حياة يوسف عليه السلام إلى بلاد توحيد وهي الرسالة التي جـــاء بها جميع الرسل إلى أقوامهم لكن بعد وفاته عاد أهل مصر إلى ضلالهم وشـــركهم، كما قال تعـــالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ** ﴾ (غافر: 34) أما أبناء يعقوب **(إســـرائيل)** فقـــد اختلطـــوا بالمجتمع المصري فضّل منهم من ضل وبقي على التوحيد من بقي، وتكاثر أبنـــاء إسرائيل وتزايد عددهم، ثم حكم مصر ملك جبار كان المصريون يعبدونـــه، فكـــان إرسال موسى إليه دعوة لدخوله في الإسلام بمعناه العام.

وتفصيل ذلك فيما يلي:

أ ـ تأكيد رسالة موسى وهارون عليهما السلام:

وقد اتضح ذلك باستخدام موسى وهـــارون **(إنّ)** المؤكـــدة بقولهـــا **(إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ)**[1] **(طه: 47).**

وبقول موسى وهارون **(إِنَّا رَسُولَا)** إثبات أنهما لم يأتياه بمحض إرادتهما وإنمـــا ذلك بأمر الله تعالى الذي هو رب العالمين.

وقوله **(ربك)** نفي للربوبية التي ادعاها فرعون لنفسه واســـتطاع أن يـــوهم النـــاس فصدقوه وأطاعوه بغير هدى ولا كتاب منير.

---

(1) في الشعراء : (إنا رسول رب العالمين) والتوفيق بينهما من وجهين :

الأول : أن معنى قوله (إنا رسول رب العالمين) أي : كل واحد منا رسول.

الثاني : أن أصل الرسول مصدر. كالقبول فاستعمل في الاسم فجاز جمعه وتثنيته نظراً إلى كونه بمعنى الوصف، وصاغ إفراده مع إرادة المثنى والجمع.

محمد الأمين الشنقيطي : دفع إيهام الاضطراب (ص 176).

ب ـ عرض الأدلة والبراهين:

وقد عرض موسى عليه السلام ما عنده من الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة قائلاً **(قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ)** ويعيد موسى مرة أخرى **(رَّبِّك)** ليبرهن لفرعون أن هذه المعجزات من عند الله تعالى وليست سحراً كما زعم فرعون، وليذكره كذلك أن الله هو ربك ورب العالمين ولا يجوز لك أن تشارك الله تعالى في ربوبيته[1].

ج ـ تحذيره من الكفر والتكذيب:

بعد أن دعاه إلى التزكية من الكفر والشرك والمعاصي، وبعد أن أرشده إلى طريق الدين القيم شرع هنا في ذكر عاقبة المتبع لهذا الطريق وعاقبة المخالف له المتكبر على الله واستخدم في ذلك أسلوبين كما يلي:

1 ـ **أسلوب ترغيب** :

إذ رغبه أولا بذكر عاقبة المهتدين وذلك في قوله: ﴿ **وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ** ﴾ (طه : 47) أي السلامة والعافية والسعادة في الدنيا والآخرة لمن اتبع دين الله تعالى وتمسك بطاعته وشريعته وجئ بحرف الجر **(عَلَىٰ)** للإشعار بأن السلام يكون لهم كمظلة واقية، تحميهم من أسباب الشقاء والتعاسة والعذاب وفي تفسير هذه الآية قال الزجاج : أي من اتبع الهدى سلم من سخط الله عز وجل وعذابه.

قال : وليس بتحية، والدليل على ذلك أنه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب.

ويلاحظ هنا أن موسى عليه السلام لم يسلم على فرعون لأنه ليس أهلا لذلك ولم يترك رد السلام كذلك لاحتمال وجود مؤمنين من آل فرعون يكتمون إيمانهم في مجلس فرعون.

وهذا أسلوب في غاية اللباقة والفطنة لا بد للداعي أن يقف عنده طويلا ولقد استخدمه سيد الدعاة في رسائله كما سيأتي ــ إن شاء الله ــ قال أبو حيان في تفسير هذه الآية

(1) الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير (229/8).

وفيه تنبيه على أن فرعون ليس ممن اتبع الهدى.

2 ـ **أسلوب ترهيب**:

ثم يرهبه موسي ثانيا بذكر عاقبة المكذبين المعرضين عن طريق الهدى وذلك قوله ﴿ **إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾ (طه : 48).

وللمرة الثانية يستخدم حرف الجر (**على**) الذي أفاد أن خيمة العذاب تظلهم والعياذ بالله وأفاد كذلك في بيان المقابلة اللطيفة بين (**وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ**) و (**ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**).

وهذا أيضا يفيد الدعاة في استخدام أحسن الأساليب وتنويعها لتكون أكثر تأثيرا في المدعوين إضافة إلى أن قوله (**عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**) فيه تلميح بالعذاب على فرعون دون تصريح مباشر وهذا التلطف واللين.

الثاني : **تحرير بني إسرائيل** :

وهذا غرض كبير من أغراض الرسل أن ينقذوا الناس من ظُلم أقوبائهم على ضعيفهم أو استعباد كبيرهم صغيرهم، ومن أغراضهم أن يوزعوا العدالة بين الناس على السواء، ويتمتع الجميع بحقه الطبيعي في هذه الحياة، وقد عني القرآن الكريم بدعوة الناس إلى العدل وتنفيرهم من الظلم، ولو لم يكن من آثار التدين سوى الإقلاع عن الظلم، وإنقاذ الإنسان من مخالب الإنسان لكفى.

ولذلك كان من أهداف رسالة موسى وهارون : ﴿ **فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ** ﴾ (طه : 47).

فلقد كان بنو إسرائيل يعيشون في مستنقع من الذل والقهر والاستعباد الفرعوني حيث القتل والذبح والتسخير في الأعمال الشاقة فأراد الله أن يخلصهم على يد موسى من هذا التعذيب.

مناقشة:

يرى الشيخ المراغي* أن موسى عليه السلام قد بدأ دعوته لفرعون بطلب إرسال بنـــي إسرائيل وأخر دعوته إلى الإيمان.

فقال ما نصه : "**وإنما بدأ بهذا المطلب دون دعوة هذا الطاغية وقومه إلى الإيمان لأنه أخف وأسهل من ذلك، لما فيه من تبديل الاعتقاد وهـــو عـــسر شـــاق علـــى النفس**"[1].

قال هذا الكلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ** ﴾(طه : 47).

ولعل الباحث يختلف مع المراغي -رحمه الله- لأمور منها:

أولا : أن دعوة المرسلين جميعا كانـــت تبـــدأ بالتوحيـــد أولا، والآيـــات القرآنيـــة والأحاديث النبوية تؤكد هذا فمثلا :

قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾ (هود : 25،26).

فبدأ نوح مع قومه بدعوتهم إلى عبادة الله، وكذا هود عليه السلام قال تعالى: ﴿ **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ** ﴾ (هـــود : 50)، وكذا صالح قال تعالى : ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ** ﴾ (هود : 61)، وكذا شـــعيب عليه السلام قـــال تعالى: ﴿ **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ** ﴾ (هود : 84).

---

* هو أحمد بن مصطفى المراغي تخرج من دار العلوم وعمل بها مدرساً وعمل أستاذاً للغة العربية والشريعة الإســـلامية بالخرطوم.. له مؤلفات متعددة منها : الوجيز في أصول الفقه، والحسبة في الإسلام، وعلوم البلاغة، إلى جانب تفـــسيره توفى (رحمه الله) سنة 1371هـــ الموافق 1952م.

الزركلي : الأعلام (258/1).

(1) المراغي في تفسيره (111/16).

ولما أَرسل رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له : "**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ...**" [1].

ثانيا : أن ذكر الرسالة في الآية التي فسرها الشيخ (رحمه الله) وكونهما مرسلَين من عند الله فيه إشارة إلى التوحيد الذي أرسلا به.

ثالثا: إن أكثر من آية تحدثت عن إتيان موسى فرعون لم تتعرض لقضية تخليص بني إسرائيل ومن ذلك مثلا:

قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ (يونس : 75،76).

والحق المقصود في هذه الآية : هو دعوة فرعون إلى الإيمان وليس في الآيات ذكر لإنقاذ بني إسرائيل.

كذلك قوله تعالى في سورة النازعات : ﴿ **ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ** ﴾ (النازعات : 17-20). وليس في الآيات ذكر بني إسرائيل وإرسالهم مع موسى وفي الآيات دعوة واضحة إلى تزكية النفس بالتوحيد والهداية إلى الإيمان.

رابعاً : إن أول سؤال سأله فرعون (**فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ**) مما يدلل على أن رسالة موسى قد وصلت إليه وفهم المقصود.. والله أعلم.

وخلاصة القول:

أن رسالة موسى إلى فرعون جاءت بأمرين أولهما دعوته إلى الإيمان، وثانيهما تخليص شعب بني إسرائيل من قيده واستعباده ليتحرروا ويقيم فيهم موسى شرع الله ودينه.

---

(1) البخاري: الصحيح (97) كتاب التوحيد (1) باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، (397/13)، رقم (7372).

وبذلك يتضح لنا أن إعطاء الناس حريتهم في اختيار الدين شيء مهم فإنهم حتما سوف يختارون الإسلام، وإن هم أبوا واختاروا غيره فلسوف يتحملون عاقبة اختيارهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ **(البقرة : 256).**

خامساً : الإفحام دون ملام: إن فرعون سأل سؤالاً فقال : ﴿ **قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ** ﴾**(طه : 49)** وهذا سؤال محرج إن قال موسى ربي الله، فربما يقول له فرعون وهل هناك إله غيري، وإن قال له : يا قليل الدين والمروءة هذا سؤال سخيف جرح شعوره، والله تعالى يقول: **(فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ)** وإن قال له: الله الذي خلقك، ربما يزري به أمام الحاضرين، لكنه قال: **(رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ)** فلله دره من جواب ما أحسنه.

وكأنه يقول إن كنت أنت الذي أعطيت كل شيء خلقه ثم هديت فأنت إله، وإن كنت لا تخلق ولا تصنع فلا ندري.

ولذلك أفحم فرعون بهذا الجواب، وهذا من الجدل العلمي وقد تميز الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالحجة والمنطق السليم بحيث لا يستمرون في نقطة واحدة إذا جحدها الخصم وأنكرها بل ينتقلون معه إلى حجة غيرها حتى يستسلم.

سادساً : تفويض العلم إلى الله في السؤال عن القرون الأولى : وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ** ﴾**(طه : 51)** فقد انتقل هنا فرعون انتقالاً سريعاً من النقيض إلى النقيض، فبعد أن كان يسأل عن الرب صار يسأل عن المربوب، وبعد أن كان يسأل عن حي لا يموت صار يسأل عن أموات اندثروا تحت الثرى وقد اختلف المفسرون في معنى سؤال فرعون هذا على ثلاثة أقوال :

أحدها: أنه سأله عن أخبارها وأحاديثها ولماذا لم تعذب وهذا قول مقاتل.

والثاني: أن مراده من السؤال عنها: لم عبدت الأصنام، ولمَ لَمْ يعبد الله إن كان الحق ما وصفت؟.

الثالث: أن مراده ما لها لا تبعث ولا تجازى؟

والى الرأي الأول ذهب الرازي[1] والألوسي[2] ومال إليه القرطبي[3] و أبو حيّان[4] والى الرأي الثاني ذهب الطبري وابن كثير، وذكر القول الثالث في تفسيره[5].

ولعل جميع هذه الأقوال قد أرادها فرعون من سؤاله الذي يشعر بخبثه فإنه لم يحدد في سؤاله شيئاً معيناً، بل جاء سؤاله عاماً، وهذا العموم يحتمل كل ما يتعلق بالأمم السالفة من حيث أخبارها ودينها و مآلها.

ولعله كذلك أراد أن يصرف موسى عن كلامه وأن يشغله بالحكايات لما رآه يبرهن

بالحجة على وجود الخالق، ويريد أن يظهر صدقه وفساد مراد موسى أمام الحاضرين.

لكن موسى عليه السلام لم يلتفت لما قال فرعون وأجابه بإجابة مختصرة في غاية البلاغة مفوضاً ذلك العلم إلى الله تعالى فهو غيب والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى.

يقول ابن عاشور في تفسيره : "**والحاصل أن موسى تجنب التصدي للمجادلة والمناقضة في غير ما جاء لأجله لأنه لم يبعث بذلك، وفي هذا الإعراض فوائد كثيرة، وهو عالم بمجمل أحوال القرون الأولى وغير عالم بتفاصيل أحوالهم وأحوال أشخاصهم**"[6].

---

(1) التفسير الكبير (58/22).

(2) روح المعاني (296/9).

(3) الجامع لأحكام القرآن (186/6).

(4) البحر المحيط (340/7).

(5) صفوة التفاسير: (237/2).

(6) التحرير والتنوير (234/8).

وهذا الأسلوب كذلك يفيد الدعاة عند مجادلتهم لأهل الباطل فينبغي على الـــداعي أن يكون فطناً حكيماً لا يدع خصمه يشغب عليه ويحاول أن يعجزه ويغلبه.
وهذا الذي حدث بين موسى وفرعون ليس من الجدل الذي نهـــى عنـــه النبـــي ﷺ والجدل منه محمود ومنه مذموم.

ثانياً: الأسلوب العملي الميداني:

لم يقتصر موسى عليه السلام على بيان الحجة القاطعة والبراهين الـــساطعة لفرعـــون وملئه إنما كان مستعداً للقاء المرتقب الذي طلبه فرعون ظاناً أنه ســـيغلب موســـى فاختار موسى يوم الزينة واختار وقت الضحى لأنه يعلم أن النصر سيكون له.

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾(طه : 59).

وفي قوله: (وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى) تحديد حتى لا يتخلف أحد أو يتأخر إلى وقـــت الظهيرة مثلاً، وكأن عيدهم كان يستغرق معظم اليوم، فأراد موسى اجتماعهم جميعاً في ساعة واحدة.
وكان اختياره عليه السلام ليوم الزينة، ولوقت الضحى على وجه التحديد اختياراً موفقاً يدل على عظيم حكمته، كيف لا وهو الذي قـــال الله عنـــه: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (القصص : 14).

والحكمة من هذا الاختيار كما يراها الباحث نفصلها فيما يلي:

1) تعليق الاختيار بيوم الزينة لأنه يوم عيدهم وتفرغهم من أعمالهم واجتمـــاعهم جميعاً لمشاهدة ظهور الحق.

2) تعليق الاختيار بالضحى ليتكامل ضوء الشمس واجتماع الناس فيكون أبلغ في الحجة وأبعد عن الريبة، وهذا بخلاف الصباح الباكر بحيث لم يكتمل ارتفاع الشمس وكذلك الظهيرة فقد يعوقهم الحر والجوع وكذلك المساء فقد يمـــنعهم الظـــلام مـــن التجمع ووضوح الرؤية.

3) يريد إظهار الحق وزهق الباطل وفضيحة فرعون على رؤوس الأشهاد وسط هذا الجمع الغفير والعدد الكبير[1].

4) تشجيع الراغبين في اتباع الحق وتثبيط ودحر المتبعين للباطل.

وهذا منهج النبي ﷺ فقد كان يعرض دعوته في التجمعات.

وفي هذا فوائد للدعاة من بعد موسى فلا بد لهم من استغلال الأوقات وانتهاز الفرص ونشر الحق بين التجمعات الكبيرة وإزهاق الباطل وتعريته أمام الجميع.

وكذلك استغلال الأعياد والمناسبات والعطل في بث الدعوة وتمييز الخبيث من الطيب.

ولما حان موعد اللقاء وجمع فرعون السحرة أخذ يعدهم بالوعود البرّاقة ويمنيهم الأماني الخلابة قال تعالى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ (الشعراء : 38-42).

واستخدم فرعون سلاح الإغراء بالمال والمنصب، ولَكَمْ سال لعاب الكثير من ضعاف الإيمان أمام هذه المغريات فسقطوا في شَرَك الظلمة وباعوا دينهم بعرض من حطام الدنيا الزائل.

ووقف موسى عليه السلام في وسط الميدان حاملاً عصاه في مواجهة عدد كبير من السحرة الحاملين حبالهم وعصيهم ووسائل سحرهم.

وعلى أرض الميدان وقبل بدء المبارزة أخذ موسى عليه السلام يوجه الدعوة إلى السحرة ويحذرهم من عذاب الله وغضبه إذا أصروا على الوقوف بجانب الطاغية ومساعدته على طغيانه وظلمه : ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴾(طه : 61).

(1) الجمل : الفتوحات الإلهية (80/5).

ولقد حوت هذه الآية من الأساليب البلاغية ما حوت:

قول موسى عليه السلام **(وَيْلَكُمْ)** فيه ترهيب وتهديد بالويل والهلاك.

(لَا تَفْتَرُوا) أسلوب نهي والافتراء هو تعمد الكذب.

(عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا) وذلك أشنع أنواع الكذب قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ** ﴾ (الزمر : 60).

(فَيُسْحِتَكُم) يعني يستأصلكم وفيها تهديد بالعذاب في الدنيا قبل الآخرة.

(بِعَذَابٍ) وقد جاءت نكرة لتهويل الأمر عليهم.

(وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ) ذكر مصير المفتري الخيبة والخسران[1].

يقول سيد قطب: "إن الهيبة التي ألقاها الله على موسى وهارون هي التي جعلت جملة واحدة لطيفة توقع الارتباك في صفوف السحرة المدربين فتحوجهم إلى التناجي سراً وإلى تجسيم الخطر، واستثارة الهم والدعوة إلى التجمع والارتباط والثبات"[2].

جميع هذه الجوانب التي استخدمها موسى وإن كانت من الأسلوب العلمي الجدلي إلا أن الباحث قد عدها من الأسلوب العملي الميداني لأنها كانت مقدمة للمبارزة وصواعق مرسلة قبل المنازلة تحمل طابع التحذير والتهديد والتخويف من بطش الله وعقابه.

ولقد آتت موعظة موسى أُكلها وأفاد الوعظ ونجحت الذكرى فبعد أن كان السحرة أعداءه أصبحوا من أنصاره وأعوانه كما سيأتي بيانه.

ثالثا : الأسلوب الحربي العسكري:

حتى إذا أزف موعد المنازلة وتواجه معسكر الإيمان ممثلاً في موسى وأخيه هارون، ويقابله معسكر الكفر والإلحاد ممثلاً في فرعون وملئه والسحرة الذين

(1) انظر: الميداني: معارج التفكر (161/8)

(2) سيد قطب : في ظلال القرآن (2341/4).

ألهمهم الله أن يخيروا موسى بين أن يلقى هو أو يلقـوا هـم، أو لعلهـم لمـا رأوا اجتماعهم وحشدهم انبثت الثقة في نفوسهم فأقبلوا على موسـى مخيِّـرين: ﴿ **قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ** ﴾ (طه : 65).

وهنا يأتي دور موسى الذي تدرب على حمل العصا وإلقائها عـدة مـرات أن يختار الجولة الثانية إذ أنه لو ألقى هو أولاً فلسوف تنقلب عصاه إلى حيـة تـسعى وتتحرك ويظن السحرة أنها حية سحرية كحياتهم المزيفة فليس ثمة فائدة حينئذٍ.

إذن لا بد من شيء يميز عصا موسى كمعجزة عن سحر السحرة وشعوذتهم لـذلك اختار موسى أن يلقي هو آخراً بإلهام من الله حتى تلقف عصاه ما يأفكون.

والقائد الناجح هو الذي يستطيع أن يقيس مدى قوة الخصم حتى يهيئ لـه الـسلاح المناسب.

ونلاحظ هنا أن موسى عليه السلام قد قلّ كلامه واكتفى بالرد على سؤال السحرة بقولـه: **(بل ألقوا)**، ولعل السر في ذلك أن الموقف ليس موقف كلام بقدر ما هـو موقـف أفعال فإذا ما تكلمت ألسنة المعجزات والبراهين العملية كان وقعها أكبـر وتأثيرهـا أعظم من الجدال والحوار.

كما نلاحظ أيضاً أن موسى عليه السلام قد أوجس في نفـسه خيفـة حينمـا رأى الحبـال والعصي وخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وهذه هي المرة الثالثة التي يخاف موسى عليه السلام وهذا من طبائع البشر.

يقول الدكتور عائض القرني: "أوجس موسى عليه السلام في نفسه خيفة ثلاث مرات:

❋ **الأولى :** عندما دخل إيوان الطاغية فقـال : ﴿ **قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ** ﴾(طه : 45).

ويرى الباحث: أن موسى عليه السلام إنما استحضر الخوف قبـل دخـول إيـوان الطاغية، وليس كما قال القرني عندما إيوان الطاغية.

❋ **الثانية :** عندما ألقى السحرة عصيهم فأوجس في نفسه خيفة.

❋ **الثالثة :** لما أتبعه فرعون بجنوده خاف من بطش فرعون"[1].

وقد جاء على لسانه في القرآن الكـــريم: ﴿ **فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ (الـشعراء : 21)، والله تعالى دائماً يطمئنه ويؤانس وحشته قائلاً : ﴿ **لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ** ﴾(طه : 77)، ونجد أن موسى قـــد اطمـــأن فعلاً، وأخذ يطمئن أصحابه الخائفين الذين قـــالوا: ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ (الشعراء: 61- 62).

ولعل خوفه هذه المرة لئلا يضيع الحق أمام هذا الباطل الذي وصـــفه الله بأنـــه عظيم حيث قـــال ســـبحانه: ﴿ **سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ** ﴾ (الأعراف : 116) وإلا فموسى واثق بما عند الله تعالى لكن خوفه كان للحظـــة وبعدها طمأنه الله وآنسه وتلطـــف معـــه بقولـــه: ﴿ **لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ** ﴾ (طه: 68) كما قال له عند المناجاة: ﴿ **خُذْهَا وَلَا تَخَفْ** ﴾(طه : 21).

ومرة أخرى يشير تعالى إلى يمن العصا وبركتها بقوله :

﴿ **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ** ﴾ (طه : 69) ومن قبل قد سأله ﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ** ﴾ (طه : 17) وهذا من الترابط الجميل بين آيات السورة الكريمة.

ومن هنا ندرك من خلال قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران : 139) الحالة الدائمة التي ينبغي أن يكون عليهـــا شـــعور المؤمن وتصوره وتقديره للأشياء والأحداث والقيم والأشخاص سواء.

الاستعلاء بالإيمان على قوى الأرض الحائدة عن منهج الإيمان وعلى قـــيم الأرض التي لم تنبثق من الإيمان وعلى تقاليد وقوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان.

"**إن المؤمن هو الأعلى... الأعلى سنداً ومصدراً... وهو الأعلى إدراكاً وتصوراً**

(1) لا تحزن (ص 234).

لحقيقة الوجود الإيمانية بالله حين يقاس إلى ذلك الركـــام مـــن العقائـــد الوثنيـــة والكتابية المحرّفة وما اعتسفته المذاهب المادية الكالحة وهـــو الأعلـــى ضـــميراً وشعوراً وتصوراً وخلقاً وسلوكاً ... وهو الأعلى شريعة ونظاماً..."[1].

ثم تحدث المفاجئة التي لم يكن يتوقعها فرعون وآمن السحرة وخروا لله ساجدين وأخذ فرعون يتوعدهم وهم لا يبالون بتهديداته في حينه.

لكننا نستمر الآن في الحديث عن أساليب موسى العسكرية حيث خرج بـــأمر الله ووحيه مع عباد الله المؤمنين ليلاً إلى البحر في ظل الطمأنينة والأنـــس والـــسعادة تغمر قلوب المؤمنين ليلاً الذين صرخوا بأعلى أصواتهم ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾(طه : 73).

وللمرة الرابعة يطمئن الله رســوله قـــائلاً : ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾(طـــه : 77) ويطمئن موسى فعلاً ويُطمئن من معه من المؤمنين الذين شعروا أن جيش فرعون سيدركهم.

﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾

(الشعراء : 61 -62).

ويجوز أن يكون سبب إيحاء الله تعالى لموسى بالهجرة ما يلي :

1ــ "أن عدو الله فرعون أمعن في الإيذاء بعد حادث الـــسحرة لأن إيمـــانهم غاظه ولذلك تهددهم بتقطيع الأيدي والأرجل وتصليبهم في جذوع النخل.

وفي هذا دلالة أن السّنة العامة مع كل رسول (يؤذى ويضطهد) أن يـــأذن الله لـــه بالهجرة فراراً من الاضطهاد وليخلص بدين المؤمنين من أمته من الفتنة.

2ــ تقدير الله تعالى وتدبيره بإنجاء موسى ومن معه من المؤمنين وإغـــراق فرعون ومن معه من الكافرين"[2].

وقبل أن يصل موسى إلى بر الأمان وينجو مع المؤمنين ويغشى الموج فرعون

(1) سيد قطب : معالم الطريق (ص 178) بشيء من الاختصار.

(2) محمد أحمد العدوي : دعوة الرسل (ص 247).

وجنوده نعود قليلاً إلى الوراء بعد أن تعرفنا على أساليب موسى عليه السلام في دعوته لفرعون نعود ونتعرف على طبيعة فرعون وأساليبه في التصدي للحق وأهله.

ولقد آثر الباحث أن يقدم موسى عليه السلام في شرفه ومكانته العالية وأن يؤخر ما أخره الله متأسياً بقوله تعالى: ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (القصص : 3) فقدم موسى وأخر فرعون.

ولربما يرى القارئ الكريم أن الآيات الكريمة لم تفصل وتقسم هذه المواقف والأحداث كلاً على حدة ولكن طبيعة التفسير الموضوعي تقتضي أن نقسم هذا التقسيم لنربط بين السابق واللاحق وقبل أن نبدأ في الحلقة الثالثة نذكر:

علاقة الحلقة الثانية بمحور السورة :

لازال الحديث متصلاً عن قصة موسى عليه السلام ولقد كان التركيز في الحلقة الثانية على الأساليب التي استخدمها موسى عليه السلام في دعوته لفرعون والسحرة ولازال ينعم في حماية الله ورعايته وهو مقبل على أعتى وأظلم جبار ورغم المخاوف المتعددة التي شعر بها موسى وتوجس منها إلا أن الله تعالى يهدئ نفسه ويزيل عنها شعور الخوف والخشية.

ولعل سائلاً يسأل لِمَ لمْ يقتله فرعون وقد قال: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ.....﴾ (غافر: 26) ولما لم يحبسه رغم أنه قد هدده بالسجن ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء : 29).

لماذا يسمح فرعون لنفسه وهو الجبار العنيد أن يقابل موسى ويدخل معه في محاورات وجدال؟.

كل هذه التساؤلات وأشباهها يجاب عليها أن من كان تحت سمع الله وبصره فهل تستطيع قوى الأرض ولو اجتمعت أن تنال منه؟.

وتلك هي مؤانسة السعداء التي تمثل محور السورة وعبارات اللطف والمؤانسة تملأ جنبات هذه الحلقة ومن هذه الألفاظ والعبارات:

❋ ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ (طه : 44).

نفي الخوف عن موسى عدة مرات كما مر معنا.

❋ ﴿ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾(طه : 47).

❋ ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾(طه : 53).

❋ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(طه : 68).

وغير ذلك من العبارات المشعرة بالأنس ثم يأتي فوز السعداء في المبارزة والنزال وقامت الحجة وظهرت المحجة وألقى السحرة سجداً مطمئنين بالإيمان سعداء بما هو خير وأبقى.

الحلقة الخامسة : **فرعون والسحرة وتصديهم للحق** :

بعد أن دعا موسى عليه السلام فرعون إلى الإيمان وحذره من الكفر والطغيان كان موقف فرعون موقف المكذب الذي يأبى الانصياع إلى الحق وأخذ يقلب الحقائق ويشكك في موسى ويهدد المؤمنين ويتوعدهم مستخدماً أساليب نفصلها فيما يلي :

1ـ التكذيب والإباء:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ (طه : 56).

فقد أرى الله فرعون آياته المعجزات والدلالات البينات فلم يؤمن بل كذب موسى وهارون وأبى أن يؤمن بالحق.

وبذلك يكون فرعون قد وقع في نوعين من أنواع الكفر الأكبر الذي يخرج صاحبه من الإسلام وهما:

❋ **كفر التكذيب:** ودليله قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾

(العنكبوت : 68).

❋ **كفر الإباء والاستكبار:** وهو عدم الانقياد للحق مع الإقرار به ككفر إبليس

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة : 34).

❋ **اتهام موسى بالطمع في السلطان:** "اتهم فرعون موسى عليه السلام بأن هدفه انتزاع حكم مصر من فرعون وآله وأنصاره فوصف الآيتين اللتين جاء بهما أنهما من أعمال السحر وأنه اتخذهما ليأذن له بإخراج بني إسرائيل من مصر وليعد منهم جيشاً ثم يعود بهذا الجيش فاتحاً مصر ومنتزعاً ملكها بالقوة"[1].

وأخذ يشيع بين الناس قائلاً في سورة طـــه: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾(طـــه : 57) وقـــائلاً : ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الشعراء : 35) ولو تتبعنا قصة موسى مع فرعون في القرآن كلـــه فلـــن نجد آية واحدة تشير إلى هذا الافتراء فمتى كان موسى يريد سلطاناً؟ وهـــل نطـــق موسى بكلمة الأرض في دعوته حتى يتهم بهذا؟ إن دعوة موسى واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار ولقد بينا أهدافها من قبل فلا داعي للإعادة.

لكن فرعون يعلم أن الناس يحبون أوطانهم ويرتبطون بها وهذه فطرة فـــي جميـــع البشر وهم يكرهون كل من حاول أن يخرجهم منها فاستخدم فرعون هذا الأســـلوب الخبيث في التشويش على موسى وتأليب الناس عليه حتى يبغضوه.

2ـ تأليب العامة على موسى:

وهذا أسلوب منبثق من الذي قبله وحتى يبقى فرعون على كرسيه ومملكته الظالمـــة أخذ يحرض الجماهير والملأ على موسى، ومن العبارات التي استخدمها في تأليـــب العوام على موسى قال تعالى حكاية عن فرعون ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ (الشعراء : 25).

أي هل يعجبكم ما يقوله هذا الرجل هل أنتم راضون به؟؟.

(1) عبد الرحمن الميداني : معارج التفكر (149/8).

ثم ينتقل إلى الملأ المقربين ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الشعراء : 34- 35).

وقد قال هذا الكلام أمام السحرة ومما يؤكد ذلك أن عبارة السحرة جاءت موافقة لما قاله فرعون تماماً.

فرعون يقول : ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾(طه : 57).

والسحرة يقولون : ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾(طه : 63).

ولعل في هذا إشارة إلى أمرين :

الأول: أن فرعون قد لقن السحرة أن يقولوا مثل قوله فإنهم قد اجتمعوا معهم **(واسروا النجوى)**.

الثاني: أن الخوف الشديد الذي يسيطر على السحرة والطاعة العمياء لفرعون جعلتهم يرددون نفس كلامه بنفس الألفاظ وهذا من الاستخفاف الذي ذكره تعالى في قوله: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ (الزخرف : 54) دون تفكير في حقيقة ما يقولون.

تعقيب:

والخلاصة أن الطغاة والظالمين في جميع العصور يتهمون كل داعية ومصلح يعارض طغيانهم وظلمهم، بأنه يريد لنفسه الحكم والسلطان وأنه لا يريد إصلاحاً ولا عدلاً، فدعوة موسى في نظر فرعون دعوة سياسية، بحسب المصطلح الدارج في العصر الحاضر، وقد يكون من بين الدعاة والمصلحين من يتطلع إلى الدنيا ورُتبها ومراتبها وزخرفها وزهرتها، ويكثر هذا في عصور الفتن كما أخبر النبي ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل**"[1].

لكن الأنبياء عليهم السلام لا يكون منهم شيء من هذا أبداً فدعوتهم منزهة عن

(1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (51) باب الحث على المبادرة بالأعمال (410/1)، رقم (ح186).

جميع الأغراض الدنيوية خالصة لله تعالى فهم معصومون بعصمة الله تعالى لهم، وهـــو سبحانه الذي اصطفاهم واختارهم وهو أعلم حيث يجعل رسالته وقد مر معنا قوله تعـــالى في موسى عليه السلام: (وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ) (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ) (وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى).

وسيأتي معنا في آخر السورة قوله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾[1](طه : 131).

كذلك لا نعجب من تلك الجماهير المضللة التي تحمل في نفسها كرهاً أو حقداً علـــى الدعاة ذلك أن هذا الكره والحقد راجع إلى الإشارة المقنعة من قبـــل الطواغيـــت الـــذين عجزوا عن دفع الحق بالحجة فلجأوا إلى إثارة الأتباع مستغلين سذاجتهم وجهلهم في الكيد للدعاة.

فإذا ما زالت هذه السذاجة وهذا الجهل بالعلم النافع، فإن تلك الجماهير ســـرعان ما تنقلب على طواغيتها وتتبع الدين الحق.

3ـ اتهام موسى بالسحر*:

ولقد صدرت هذه التهمة من ثلاثة:

أما فرعون فقال : ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه : 57).

---

(1) عبد الحميد طهماز : سبيل السعادة (ص 52،53).

* السحر لغة :

قال الأزهري هو عمل تُقُرِّبَ به إلى الشيطان وبمعونة منه... وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيـــره. ابـــن منظور : لسان العرب (4/ 509،510).

واصطلاحاً:

قال ابن قدامة: هو عقد ورمي، وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله مـــن غيـــر مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجـــه، ومـــا يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين، ابن قدامة : المغني (10/104).

والسحر موجود والأدلة على وجوده كثيرة في الكتاب والسنة ويعد من الموبقات.

وقد برع به الفراعنة وكان قدماء المصريين يتعلمونه في مدارسهم العالية مع سائر العلوم، وكان كذلك عند أقرانهم مـــن البابليين والهنود وغيرهم... والسحر صنعة تتلقى بالتمرين والتعليم ويروج لها بين جهلة الناس أما من أنار الله بـــصيرته بالعلم فلا يلتفت لخداعهم.

أما المعجزة فهي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة على وفق مراده تصديقاً له في دعواه مقروناً بالتحدي مع عدم معارضته وذلك كله في زمن التكليف، عبد السلام اللوح : الإعجاز العلمي في القرآن (ص 60).

وأما الملأ فقد حكى القرآن عنهم: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ [1] مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الأعراف : 109 -110).

وأمـــا الـــسحرة: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ﴾(طه : 62 -63).

ولقد ذكرت سورة طه ما قاله فرعون وما قاله السحرة، وذكرت سورة الأعراف ما قاله الملأ.

والحاصل أن التواطؤ واضح والتآمر بيّن وكأن فرعون قد أوصاهم بهذا وهـــذه التهمة قديمة بقدم الدعوة قال تعالى:

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الذاريات : 52ـ53).

وكأنهم قد تواصوا فيما بينهم أن يتهموا الرسل بهذه التهمة الشنيعة ولكن الذي حملهم على هذا هو الطغيان وهل هناك أطغى من فرعون؟.

ويتضح لنا من خلال هذه التهمة ما يلي:

1ـ أن فرعون قد عجز عن الإتيان بالحجة والبرهان فلجأ إلى أسلوب الاتهام.

2ـ في قول فرعون : **(إن هذا لسحر علـــيم)** إقرار بعظمة المعجزة التي جاء بهـــا موسى وإن كان يسميها سحراً، إلا أنه قد ذعر منها وتأثر لدرجة جعلته يقول لقومه **(فماذا تأمرون)** ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون[2]؟!.

3ـ إلصاق التهم بالآخرين دليل الضعف ولو كان فرعون قوياً لواجه الحجة بالحجة ولكن أصر على الباطل كي لا يسقط عنه الكبرياء والتجبر.

وهكذا يتبين لنا أن أهل الباطل لا ينفكون يدافعون عن باطلهم ويصرون عليـــه

(1) "الملأ يطلق على كبراء القوم وسادتهم، كما يطلق ويراد به عامة القوم، وفي هذه الآية يراد بالملأ قوم فرعون" ابـــن عطية : المحرر الوجيز (190/7).

(2) سيد قطب: في ظلال القرآن (2594/5).

ففرعون مستمسك بطغيانه يقتل الرجال ويستحيي النساء ومع هذا فهو يتهم موســـى بتهم هو منها براء.

وفراعنة اليوم لا يختلفون عنه كثيراً فتراهم يتهمون الـــدعاة المخلـــصين بـــتهم مختلفة لصرف أنظار الناس عنهم وتشويه صورتهم أمام الجماهير.

هل دافع موسى عن نفسه في رد هذه التهمة؟

لم تشر سورة طه إلى رد موسى على اتهامه بالسحر، إنما جاء الرد في ســـورة يونس في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ** ﴾ (يونس : 77) وهذا رد صريح.

وفي سورة القصص قوله تعـــالى: ﴿ **رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾ (القصص : 37) وهذا تلميح وتلويح بأنه على الهداية وأنهم هم الظالمون المفترون.

ولعل السر في استبعاد الرد عن سورة طه أن السورة تدور آياتها حول التلطف والتأنيس فلا مجال فيها للردود التي لا تتناسب مع اللين الذي أمر به موســـى فـــي دعوته لفرعون.

أو لعل موسى عليه السلام قد اعتبر الرد الفعلي أكثر تأثيراً من الرد القولي وذلك حين طلب فرعون منه تحديد موعد للمباراة والذي انفردت به سورة طه كما أسلفنا.

4ـ التناجي بالإثم والعداون:

قال تعالى : ﴿ **فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى** ﴾(طه : 62).

والتنازع فيه تجاذب وعنف ومجادلة واختلاف في الرأي مع شيء من المخاصـــمة والذي يظهر –والله أعلم– أنهم انقسموا إلى فريقين:

فقال بعضهم : إن ما جاء به موسى لـــيس مـــن نـــوع الـــسحر وســـيغلبكم وتفتضحون وتسقطون من أعين الناس صاغرين، فجمهور المشاهدين كثير جداً.

وقال الفريق الآخر: بل ما جاء به موسى هو من نوع السحر، وإننا بكثرتنـــا سنغلبه مهما كان عمله السحري قوياً.

وبعد التنازع في الرأي تغلب أصحاب الرأي الثاني على أصحاب الـــرأي الأول واعتمدت إقناعاتهم على الإطماع بالأجر الكبير الذي سينالونه من فرعون إن كانوا هم الغالبين، وعلى الإقناع بترديد مقالة فرعون التي رددها ملؤه من بعده ثم شاعت بأسلوب دعائي بين جمهور المصريين بأن موسى وهارون يريدان الاستيلاء علـــى الحكم، وطرد كل أنصار الملك بعد قتله أو إلجائه على الفرار والاستيلاء على كـــل ممتلكاتهم.

(وأسروا النجوى): النجوى: الإسرار في المحادثة وجاء فعل **(أسروا)** للدلالة علـــى شدة إخفاء تناجيهم، فلقد حرصوا على التكتم بسرية بالغة[1].

ولعل هذا التناجي كان بين السحرة دون علم فرعون لوحدهم ولربما كان معهـــم مشاركاً في التناجي والآية لم تبين هذا ولا يهمنا هذا كثيراً ؛ المهم أنهـــم خرجـــوا أخيراً بالرأي الثاني القائل بأن موسى وهارون ساحران يريدان بسحرهما الاستيلاء على ملك مصر بجيش يعدونه من الإسرائيليين.

عبر وعظات:

إن التناجي بالإثم والعدوان هو دأب الكافرين والمنـــافقين علـــى مـــر الزمـــان يخططون للنيل من الإسلام وأهله باجتماعاتهم السرية ومـــؤامراتهم الخبيثـــة ضـــد المسلمين.

ولقد كان اليهود والمنافقون يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول فنهاهم الله عن ذلك[2] فلم ينتهوا قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ** ﴾ (المجادلة : 8).

(1) عبد الرحمن الميداني : معارج التفكر (162/8).

(2) ابن عطية : المحرر الوجيز (344/14).

وقد أمر الله المؤمنين بالتناجي بالبر والتقوى قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ (المجادلة : 9).

ولعل في الحديث عن تناجي فرعون والسحرة بالإثم والعدوان تسلية ومؤانسة لرسول الله ﷺ وهو في مكة وسهام المكر تتجه إليه ويتناجى المشركون بإثم قتله والعدوان عليه حتى سجل القرآن هذا المكر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال : 30).

كأن القرآن يقول يا محمد إن كان المشركون قد مكروا لك واجتمعوا في دار الندوة يدبرون ويخططون ليوقعوا بك المكروه فها هو أخوك موسى قد مُكر به وطعن به ورمي بتهم شتى ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾(الأحقاف : 35).

وأنتم أيها الدعاة في كل بقاع الأرض ؛ إن الدسائس التي تحاك ضدكم من أهل البغي والظلم والعدوان، والاضطهاد الذي يحيط بكم من كل جانب ما هو إلا غيم وقد حان أن ينقشع وانظروا إلى السحرة الذين جاءوا متكاتفين متراصين وأجمعوا الكيد حتى وقفوا صفاً واحداً ليكون أمكن لعملهم وأهيب لهم في القلوب حيث قالوا: ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴾(طه : 64) فأنتم أولى منهم بالوقوف صفاً واحداً في وجه العدو فإن الله يحب التعاون على البر والتقوى الذي من أهمه قتال أعداء الله قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾ (الصف : 4).

وشتان بين صف الأتقياء السعداء وصف الأشقياء.

5ـ ترهيب المؤمنين:

لقد شن فرعون حملة تهديد واسعة ضد السحرة الذين خروا ساجدين لله رب العالمين وأخذ يزمجر ويتوعد بأنواع البطش المختلفة التي لا تراعي قيماً ولا خلقاً ولا إنسانية ولا شفقة ولا رحمة.

إن اليد التي تذبح الأطفال الأبرياء دون ذنب قد عملوه ولا جرم اقترفوه هي نفس اليد التي تتسلط الآن على الأجسام والأبدان حين عجزت عن قهر القلوب والأرواح ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾(طه : 71). إنها قوة الاستعلاء الغاشمة ومنطق الغاب الذي لا يعرف إلا لغة الناب.

وسؤال يطرح هنا:

هل أنجز فرعون وعيده في السحرة؟

لا ندري على وجه التحديد إن كان فرعون قد أنجز وعيده في السحرة فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل أم لا، والآيات تنتقل من هذا المشهد الرهيب إلى مشهد آخر دون أن تخبرنا بشيء وقع على السحرة من جهة فرعون.

ومن الممكن أن يكون فرعون قد ألقى بالسحرة في السجن وانتظر تنفيذ حكمه فيهم حتى يفرغ من موسى وقومه، كما يمكن أن يكون قد أمضى فيهم حكمه وذلك ليس بمستبعد.

اختلفت أقوال المفسرين في ذلك على رأيين نفصلهما فيما يلي:

❋ ذهب فريق من المفسرين إلى أن فرعون قد نفذ وعيده في السحرة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف : 103) روى هذا عن ابن عباس –رضي الله عنهما– وقتادة والسدي ومجاهد وغيرهم[1].

(1) الطبري : جامع البيان (25/9 ط2).

❋ ذهب فريق آخر إلى أنه حيل بينه وبين ذلك فلم يقدر عليهم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (القصص : 35)

وهذا قول أبي حيان وغيره[1].

ورجح الشقنيطي (رحمه الله) أنه لم يقتلهم وأن الله عصمهم منه لأجل إيمانهم الراسخ بالله تعالى ؛ لأن الله يقول لموسى وهارون: ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (القصص : 35) والعلم عند الله تعالى[2].

والباحث يميل إلى الرأي الثاني لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : 74) فالمقاتل المسلم بين أمرين إما أن يُقتل فيكون شهيداً أو يغلب فحينئذ لا يكون قد قتل بدليل **(أو)** التي أفادت وقوع أحد الأمرين كما عند جميع المفسرين.

ثم إن أحداً لم يقل بأن موسى وأخاه قد قتلا وإنما نجاهما الله تعالى من بطش فرعون ولِمَ لا يكون قد أنجى السحرة كذلك وهم أتباع موسى وهارون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (القصص : 35).

إن الأمرين يستويان فإن يكن السحرة قد هلكوا بيد فرعون فليسوا هم أول أو آخر المستشهدين في سبيل العقيدة، وإن يكونوا قد نجوا من هذا البلاء فقد نجا كثير غيرهم من المؤمنين، وأفلتوا من يد البغاة والمتجبرين، فليس المهم إذن هو أن يهلك المؤمنون أو يسلموا وإنما المهم هو أن يثبتوا على إيمانهم ويوطدوا النفس على احتمال البلاء وملاقاة الشدة.

وعلينا أن لا نشغل أنفسنا بالبحث عما طواه القرآن عنا ؛ لما في ذلك من شغل بما لا خير فيه، ولا طائل تحته، ولو كان فيه خير ما طواه الله عنا.

---

(1) أبو حيان : البحر المحيط (262/6) والألوسي : روح المعاني (28/9).

(2) الشنقيطي : أضواء البيان (65/4).

وهناك أمور سترها القرآن عنا رحمة بنا، فلا نعرض أنفسنا للـــسؤال والبحـــث عنها.

وهناك أمور وكل علمها إلى قرائحنا ، لعلمه أننا نستطيع أن نفهمها أو نحـــصل على أسرارها بالقرائن الملفوظة أو الملحوظة.

و لا يخفى ما في ذلك من شحذ الأذهان و وتدريب للعقول على فهـــم اللطـــائف القرآنية والدقائق العلمية، فتسعد كل ذي لب حصيف بما وقع له من العلم والمعرفة بأعمال الفكر وإمعان النظر[1].

وعودة إلى الحملة المسعورة التي شنها فرعون على السحرة المؤمنين فقد هدد تهديدا مجملاً ومفصلاً.

أما المجمل في قوله: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ كما في آية الأعراف ثم فصلها بقوله: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾(طه : 71) أي من كل شق طرفـــاً ثـــم لأعلقنكم و أيديكم ممدودة على جذوع النخل كهيئـــة الـــصليب أو حتـــى يتقـــاطر صليبكم[2] : دهنكم، تفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم، وإني فاعل ذلك بكم جميعاً[3].

وبهذا يكون قد استخدم العقاب الجماعي ولازال الطغاة حتـــى اليـــوم يعـــاقبون شعوباً بأسرها بهذا العقاب الفرعوني الآثم.

ويقال إن التقطيع من خلاف لا يميت فوراً، "وهذا بعكس التقطيع من جهة واحدة إذ أنه يميت فوراً، والسبب في ذلك أن التقطيع من خلاف يبقي المرء بنصف نصفه العلوي، أو نصف نصفه السفلي المخالف له، وبهذا الخلاف تتم الحركة الدمويـــة، و يظل القلب عاملاً بشريان واحد من شرياني الحياة"[4].

---

(1) محمد بكر إسماعيل: قصص القرآن (ص 187).

(2) ابن منظور: لسان العرب مادة : صلب (371/5).

(3) البيضاوي: أنوار التنويل (440/1).

(4) رجع الباحث للتأكد من صحة هذا الكلام مسترشداً بأقوال الأطباء المختصين بالدم والدورة الدموية فلم يثبتوا ما قاله الشيخ الخطيب.

ولهذا جمع فرعون بين الصلب والتقطيع ليظل المصلوب زماناً ينزف ويعـــاني آلام وسكرات الموت[1].

وقد رجع الباحث إلى عدد من الأطباء المختصين بالقلب والدورة الدمويـــة فلـــم يثبتوا ما قاله الشيخ الخطيب*.

وقد زاد فرعون في توعده وتهديده ، فأعلن لسحرته أنه سيتركهم مقطعي الأيدي والأرجل من خلاف زمناً يعذبون فيه ، ثم ليصلبنهم أجمعين تصليباً عنيفـــاً شـــديداً يكون بعد تعذيبهم وموتهم صبراً بعد ذلك[2] وهذا واضح من لفظة **(ثم)** التي جاءت في سورة الأعراف والتي تفيد الترتيب مع التراخي.

ولقد انفردت سورة طه ببيان مكان الصلب وتحديده بجذوع النخل وذلك للتشهير بهم ، أمام الغادين والرائحين من الشعب المصري وغيره ليكونوا عبرة لكـــل مـــن تحدثه نفسه بمخالفة دين الملك ونظام حكمه.

استخدم فرعون فعل **(لأقطعنَّ)** وفعل **(لأصلبنَّكم)** مُشدَّدَين للدلالة على العنف في التعذيب.

وقد يكون الصلب بشد أطراف جسم المصلوب بالحبال مشدودة علـــى الـــشيء المصلوب عليه ، وقد يكون بضرب مسامير في أطراف المصلوب إمعانا في تعذيبه وإدخالها في الشيء المصلوب عليه وعلى هذا المعنى يمكن حمل عبارة **(في جذوع النخل)** أي مثبتين بمسامير في جذوع النخل أي: سوقها.

وفي استخدام القرآن حرف الجر **(في)** بدل **(على)** أسلوب بياني رفيـــع ويـــضرب الشعراوي له مثلاً فيقول لو أنك تربط عود كبريت على إصبعك ، ثم تـــشد عليـــه الرباط بقوة ، سوف تجد أن العود يدخل في اللحم ، ساعتها تقول: العود في إصبعك

---

(1) عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن (459/9).

* مفكر إسلامي خريج كلية العلوم سنة 1937م له مؤلفات كثيرة منها التفسير القرآني للقرآن، إعجاز القرآن، الإنسان في القرآن، القصص القرآني، قضية فلسطين.

تراجع ترجمته في كتاب عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية للسيد أبو ضيف المدني ط. دار الفكر العربي 1979م.

(2) عبد الرحمن الميداني : معارج التفكير (184/8،183).

لا على إصبعك ، إذن **(في)** هنا جاءت على معناها الأصلي للدلالة على المبالغة في الصلب بحيث يدخل المصلوب في المصلوب فيه كأنه ليس عليه بل داخل فيه[1].

وهكذا كان فرعون يهدف من وراء هذا الحكم البشع إلى إرهاب الناس حتى لا يقتدوا بالسحرة ، ذلك أن الحكم بالقطع والصلب سينتشر خبره في أنحاء مملكته ، مما سيدخل الرعب والذعر في قلوب الناس مما يجعلهم يقلعون عن مجرد التفكير في ذلك.

ومن ذلك يتبين لنا أن الطاغية فرعون بعد ما هزم وأعلن السحرة إيمانهم لجأ إلى أسلوب الفتك معتزاً بسلطانه وقوته.

إذن المعركة مع فرعون كانت تهدف إلى تركيع الشعب كله المؤيِّد والمخالف دون اعتبار للحجة والبرهان ، فهو لا يرعوى[1] عن استخدام أشد أنواع العذاب والفتك والشدة في مقابل الحفاظ على جاهه وملكه.

كما يتضح لنا أن الطاغية يعتز بقوته وسلطانه ويتبجح في استفهامه.

وفي قوله **(أينا)**: ويقصد هو ورب موسى لأنه علم من قولهم : **(ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ)** أن الذي حملهم على الإيمان به تلك الموعظة التي هدد فيها موسى بالعذاب.

(فيسحتكم بعذاب) أي ستجدون عذابي أشد من هذا العذاب الذي حذرتموه[2].

الحلقة السادسة الإيمان بالله أساس السعادة:

﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ

(1) الشعراوي : تفسيره (9326/15).

(1) ارعوى : ارتدع. الفيومي : المصباح المنير (ص 248).

(2) ابن عاشور : التحرير والتنوير (265/8).

لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾(طه : 72ـ82).

لم يأبه السحرة الذين ملأ الإيمان قلوبهم لتهديد فرعون ووعيده وردوا عليه: ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾(طه : 72).

وهذا يدل على أن إيمانهم لم يكن نزوة عاطفية آنية ، كردَّة فعل عكسي لمشاهدتهم معجزة العصا ، ولكنه إيمان راسخ قائم على البراهين القطعية ، فكأن المعجزة أيقظتهم من غفلتهم ، وجعلتهم يستعملون عقولهم، وينظرون فيها نظر المتفكر الباحث عن الحقيقة ، فوجدوها وعرفوها من خلال النظر والتفكير الموضوعي الصحيح.

ثم أكدوا تمسكهم بإيمانهم وثباتهم عليه، فأقسموا بالله تعالى الذي فطرهم **(وَٱلَّذِى فَطَرَنَا)** [1].

---

(1) في قوله تعالى: **(وَٱلَّذِى فَطَرَنَا)** وجهان ذكرهما الفراء والزجاج : احدهما أن المعنى: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات وعلى الذي فطرنا.

الثاني : أنه قسم تقديره وحق الذي فطرنا، ابن الجوزي : زاد الميسر (307/5).

"هكذا تحدى إيمان السحرة طغيان فرعون، بعد أن كانوا قبل الإيمان خاضعين له يَستجْدون ما عنده من حُطام الدنيا ، ويطلبون منه شيئاً من فُتاتها أجراً إن كانوا هـــم الغالبين. ثم كرروا تحديهم لطغيانه وجبروته و فصرخوا في وجهه قائلين:

﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾(طه : 73)

وهذا يدل على أن فرعون قد أكرههم على تعلم السحر ليستعين بسحرهم عنـــد الحاجة في تضليل الجماهير وجعلهم يصدقون ادعاءه صفة الألوهية والربوبية"[1].

ويمثل هذا المشهد في تاريخ البشرية إعلاناً لحرية القلب البشري باستعلائه على قيود الأرض وسلطان الأرض وعلى الطمع في المثوبة، والخوف من السلطان، وما يملك القلب البشري أن يجهر بهذا الإعلان القوي إلا في ظل الإيمان[2].

فالإيمان أساس السعادة والإيمان يصنع العجب ولأجل الإيمان نقم عليهم فرعون كل هذا النقم، ولنفس السبب عورضت دعوة الرسل وتعرضـــوا لـــلأذى والتقتيـــل والتعذيب، قال تعالى حكاية عن السحرة ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف : 126).

ولذلك يتضح لنا أن معارضة الطواغيت لأهل الحق نابع من إيمان أهل الحـــق بحقهم وتمسكهم بدينهم.

كما يتضح لنا أن المؤمنين يهرعون إلى الله ويلتجئون إلى حماه طـــالبين منـــه العون و الصبر على البلاء متضرعين إليه بأن يحسن خاتمتهم وأن يتوفاهم مسلمين. ونحس كذلك أن السعادة تغمر المؤمنين رغم المحن والـــشدائد إلا أنهـــم يمزجـــون حلاوة الإيمان بمرارة العذاب فتغلب حلاوةُ الإيمان ويتضح هذا جلياً في الألفاظ التي استخدمها السحرة والتي منها قولهم: لن نؤثرك – لا ضير اقضِ ما أنت قاض.

هذه الألفاظ وغيرها تشعر بجو السعادة الذي كان يعيشه السحرة وهم يطلبون من الله أن يفرغ عليهم صبراً مستخدمين لفظ **(أفرغ)** "وكأنه ماء بارد يطفـــئ حـــرارة

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن (2343/4).

(2) سيد قطب : في ظلال القرآن (2343/4).

التعذيب فلا يكون معه شعور بالألم ، وهذا الماء البارد موضوع في إناء واسع كبير ويكون إنزاله إفراغاً بسرعة تدفع حرارة التعذيب.

ولا يكون على طريقة إلقاء قطرات فقطرات ، أو حفنات فحفنـــات"[1]، وهـــذا يتناسب مع عظم الابتلاء الذي تعرضوا له.

سبب إيمان السحرة:

أ- الطمع في مغفرة خطاياهم:

وقد جاء ذلك صريحاً في سورة طه في قولـــه تعـــالى ﴿ **إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ** ﴾(طه : 73).

وفي سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (الشعراء : 51).

وهنا سؤال مطروح:

إذا كان السحرة مكرهين على السحر لماذا يقولون: (**أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا.....**) التـــي تدلل على حبهم للسحر وعمله؟.

ذكر العلماء عدة أقوال لإزالة هذا الإشكال نفصلها فيما يلي:

- أن الملوك كانوا في ذلك الزمان يأخذون البعض من رعيتهم ويكلفونهم تعلـــم السحر فإذا شاخ بعثوا إليه أحداثاً ليعلمهم فيكون مكرهاً فـــي حـــال تعلمـــه وتعليمه[2].
- أن السحرة قد اقتنعوا بأن ما جاء به موسى ليس ضرباً من ضروب الـــسحر ورفضوا المنازلة فأكرههم فرعون على ذلك.

(1) عبد الرحمن الميداني : معارج التفكر (185/8).

(2) الرازي : التفسير الكبير (77/22).

❋ إن السحرة أكرهوا في الحضور من المدائن ليعارضوا موسى ، وربما كانوا مكرهين أيضاً في إظهار السحر[1].

❋ إن دعوة السلطان بحد ذاتها تمثل إكراهاً إذا اقترنت بالخوف.

والأرجح: الذي يميل إليه الباحث هو الرأي الثالث والرابع ، إذ أن دعوة السلطان بواسطة حكومته ورجال دولته من شرطة وعساكر تمثل إكراهاً وإرهاباً في حد ذاتها، بدليل عدم قدرة السحرة على مخالفة أمر سلطانهم.

ثم إن حشر السحرة من الأقاليم يفوت عليهم مصالح كثيرة من مفارقة أهلهم و أوطانهم، إضافة إلى مشقته وتكاليفه وكل ذلك إلى جانب خوفهم الشديد مما سيتعرضون له في حالة هزيمتهم[2].

أما الرأي الأول: فلا دليل عليه يثبته فهو مجرد احتمال والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

أما الثاني: فإن سياق الآيات التي تتحدث عن الحوار الذي دار بين فرعون والسحرة ليس فيه شيء من ذلك فيبقى ضعيفاً.

بـ الخوف من جهنم:

لقد شعر السحرة بعظم الذنب وأيقنوا أنه من يدخل جهنم فسوف يخلد فيها لا يموت ولا يحيا فقالوا: ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ** ﴾ (طه : 74) على اعتبار أن هذا تكملة لكلام السحرة وقيل: "**هو ابتداء كلام من الله عز وجل موافقاً لهم**".

ولعل تحذير موسى السابق لهم قد ظل مؤثراً فيهم حين قال لهم: ﴿ **لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ** ﴾(طه : 61).

---

(1) الرازي : التفسير الكبير (77/22).

(2) هذا ما أكده ، د. جمال الهوبي : معالم الصراع الإيماني (ص 122).

ومن الجدير بالذكر أن التحذير من عذاب الله تعالى سواء أكان في الدنيا بأنواع الابتلاءات المختلفة أو في الآخرة من الأمور المهمة في حياة الدعاة بل إن الأنبيـــاء قد أخبرنا الله تعالى أن عبادتهم كانت خوفاً من النار وطمعاً في الجنـــة كمـــا قـــال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (الأنبياء : 90).

كذلك تذكُّر الموت وعذاب القبر وما إلى ذلك يجعل الداعية خائفا من الله وخائفاً من ذنوبه ومعاصيه مقبلاً على طاعة الله وعلى نشر دعوته.

وإثارة الجماهير بهذا الباب من الترهيب تارة والترغيب تارة أخرى يجعلها تقلع عن المعاصي ، وتقبل مندفعة لنصر الحق وأهله ، ولذلك لا عجـــب أن وجـــدنا أن القرآن الكريم يكثر من ذكر الجنة والنار في كثير من آياته وخاصة المكية منها.

ج ـ الطمع في الجنة:

وعلى اعتبار أن الكلام لازال للسحرة فقد قـــالوا: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (طـــه : 76 -75) وهكذا ألقى السحرة الذين آمنوا السبب الأخير لإيمانهم على مسامع فرعون ، والذي يتمثل في طمعهم فـــي دخـــول الجنة ، والتنعم والتمتع في جنات عدن التي تجري من تحتها الأنهار.

فالجنة ونعيمها تعتبر من أعظم المرغبات في عمل الصالحات، وهي أيضا مـــن أعظم المحقرات للدنيا ونعيمها الزائف الزائل.

ولذلك لا عجب أن يكثر القرآن من ذكر الجنـــة ووصـــف أنهارهـــا ومنازلهـــا ودرجاتها وتفصّل السنة ما أجمله القرآن الكريم.

ما يستفاد من قصة موسى عليه السلام مع فرعون للدعوة والدعاة:

1ـ **﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾** (الشرح: 6) على الدعاة أن يعلموا أن الله جاعل بعد الشدة فرجاً وبعد الضيق مخرجاً وبعد العسر يسراً، وقد يأتي الفرج سريعاً وقد يأتي بعد حين وكل ذلك بمشيئة الله وحكمته فهو الذي يدفع الضر عن الإنسان، فما على المسلم إلا التوجه إلى الله تعالى بكافة الطاعات والقربات، ولا يستعجل الفرج أو يوقت له وقتاً لأن المحنة قد تكون طويلة كمحنة يوسف عليه السلام، وقد تكون قصيرة كمحنة موسى عليه السلام حين ألقي في اليم[1].

2ـ **إن الفرج بعد الشدة غير مقصور على الأفراد بل يشمل الجماعات المسلمة أيضاً:** فقد أنجى الله موسى عليه السلام ومن معه أجمعين قال تعالى: ﴿ **وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ** ﴾ (الشعراء : 65،66).

وكذا الإهلاك لا يكون مقصوراً على الظالم فحسب وإنما يشمل جنوده الذين أعانوه على ظلمه ولم يمنعوه قال تعالى: ﴿ **فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ** ﴾ (الذاريات :40).

3ـ **على المستضعفين أن يتحلوا دائماً بالاستعانة بالله تعالى ويتزودوا بالصبر:** عسى ربهم أن يهلك عدوهم ويورثهم أرضهم وأرضاً لم يطأوها قال تعالى: ﴿ **قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا** ﴾ (الأعراف : 128-129).

4ـ **يجب نصرة المظلوم ومؤازرته لأن الداعي لا يستطيع وحده أن يواجه الظالمين:** ولا بد من التأكيد على أن دفع الظلم عن المظلوم يكون بقدر ما يندفع به الظلم لا بأكثر من ذلك.

---

(1) روى ابن كثير في تفسيره أنها كانت يوماً وليلة أو نحوه (384/3).

5ـ **لا يجوز معاونة الظالم على ظلمه بأي لون من ألوان المعاونـة:** قال القرطبي : "**فلا يحل لأحد أن يعين ظالماً، ولا يكتب له وأنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معينـاً للظالمين**".

وينبغي على الداعية أن يبصر الأمة بما ورد في النهي عن معونة الظـالمين مـن الآيات والأحاديث والآثار.

6ـ **جواز الخروج من الديار فراراً من العـدو:** ولا يعد هذا جبناً إن كان المقصد هو التقّوى والاستعداد واستخدام أساليب الكر والفر مع الأعداء والداعي إذ يفعل ذلـك لينجي نفسه من الهلاك إبقاءً لخدمة دين الله لا حباً في العيش والبقاء، فلقـد خـرج موسى عليه السلام إلى مدين وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة متخفياً من قريش.

7ـ **خوف الداعي المسلم مما جرت العادة بأذاه لا يقدح في إيمان الداعي المـسلم:** فقـد خاف موسى عليه السلام من العصا عندما أمره الله بإلقائها فانقلبت إلى حية وهـذا خـوف فطري لا يزعزع الإيمان ولا يقدح فيه.

8ـ **لا مانع من ذكر حال الداعي وبيان عذره واقتراح ما يعينه على الدعوة**: إذا كُلِـف للقيام بعمل معين أو مهمة خاصة فلقد سأل موسى ربه أموراً تعينه فأجاب الله سؤاله وحقق له ما يريد.

9ـ **الخوف من السلطان لا يمنع الداعي من أن يدقّ بابه ويدعوه ويقيم عليـه الحجـج**: بالأدلة والبراهين الساطعة ويجادله بالتي هي أحسن.

10ـ **الحرص على إنجاح الدعوة بشتى الوسائل:** ولو بإشراك الآخرين لأن مجالات الدعوة متنوعة ولا يكفي واحد بمفرده، ولا بد من اختيار الكفء المناسب وتوكيلـه في المناصب القيادية ليُصلِح ولا يتبعْ سبيل المفسدين. ولقد اختـار موسـى أخـاه هارون لهذه المهمة الصعبة.

11ـ **التحاسد بين الدعاة شر بل أشر ما تبلى به الدعوة من أصحابها:** لأنه يؤدي إلى الفرقة والاختلاف، وعلى الدعاة ألا ينظروا إلى رغبات من حب الظهور والإمـــارة مظهرين حرصهم على مصلحة الدعوة فإن موسى عليه السلام قد اختار أخـــاه ووصـــفه بميزات ليست موجودة في موسى ومع ذلك لم يحسده بل شـــفع لـــه ورغـــب فـــي مشاركته حتى اختاره الله رسولاً.

12ـ **على الدعاة أن يتلطفوا بالمدعوين ويسلكوا معهم سبل الإقناع:** بالجدال والحوار خاصة إن كانوا في موقع المسئولية مع توضيح القول لهم وبيان الحق الذي تـــدعو إليه.

13ـ "**على الداعي ألا يظهر أمام المدعوين بأنه طالب مال أو جاه أو سلطان أو منصب:** أو أنه يريد قلب النظام القائم فهذا الأمر يأتي تبعاً ولكن عليه أن يسلك طريق الأنبياء ومنهجم في الدعوة إلى الله بالحكمة والعقل فلا أحد يحب لملكه أن يزول ولـــسلطانه أن يتزعزع فلا يؤتى من هذا الباب"[1].

14ـ **الناس مختلفون في الاستجابة للحق:** فمن الناس من لا يتردد في قبول الحق والانصياع له ومنهم من يتباطأ حتى إذا رأى المعجزات آمن وحسن إيمانه كـــسحرة فرعون ومنهم من ختم على قلبه فلا يخضع للحق ولا يستجيب وعلـــى الـــداعي ألا ييأس من الاستجابة حتى من أعتى الناس وأشدهم مقاومة للدعوة.

15ـ **يحسن من المؤمن إظهار إيمانه حيث يحسن الإظهار**، كما لو كان في هذا الإظهار مصلحة للدعوة إلى الله أو كان فيه تشجيع للآخـــرين علـــى الإيمـــان بالدعوة وهكذا فعل السحرة، فإنهم آمنوا لما تبين صدق دعوة موسى ولـــم يكتمـــوا إيمانهم، وأظهر الرجل الذي كان يكتم إيمانه لما علم بتآمر القوم **(فرعون والمـــلأ)** على قتل موسى فبين لهم سوء ما عزموا عليه.

---

(1) ربيع المدخلي : منهج الأنبياء في الدعوة (ص 118).

قال ابن كثير –**رحمه الله**– : وكان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط فلـــم يظهره إلا في هذا اليوم حين قال فرعون : ﴿ **ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ** ﴾ (غافر : **26**)[1].

16ـ **إن كان للداعي صلة بذي سلطان عليه أن يستغلها لمصلحة الدعوة والـدعاة:** كمـــا استغل مؤمن آل فرعون إذ كان ابن عم له[2]، فانطلق يتكلم بكـــل صـــراحة أمـــام فرعون وملئه مبيناً لهم أحقية دعوة موسى.

17ـ **الدعوة في أول نشأتها بحاجة إلى جو من الهدوء وعدم المجابهة والمخاصمة مع ذوي السلطان:** والقوة في المجتمع ليتمكن الداعي من نشر دعوته بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ويفهم هذا المعنى من قول موســـى عليه السلام: ﴿ **وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ** ﴾ (**الدخان : 21**).

قال ابن كثير: "أي لا تتعرضوا لي ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة إلـــى أن يقضي الله بيننا"[3].

18ـ **أعوان الطاغية يزينون له ما يحبه ويهواه ليزدادوا عنده حظوة ومكانـة**: وهـــذا أسلوب قديم وعادة متبعة من قبل هؤلاء الأعوان الذي يتحسسون ما يهواه الطاغيـــة فيشيرون عليه بما يوافق هواه.

وعلى الدعاة أن يعرفوا ذلك ويعرفوه للناس.

19ـ **السياسة التي اتبعها فرعون وسائر الطغاة مع الدعاة في الماضي يتبعها الطغـاة في الحاضـر:** فهي سياسة لا تتغير ولا تتبدل وتقوم على البطش والتنكيل والحبس والقتل

(1) ابن كثير : تفسيره (77/4).
(2) ابن كثير : تفسيره (77/4) والزمخشري : الكشاف (162/4).
(3) ابن كثير : تفسيره (141/4).

واستخدام لغة القوة دون لغة المنطق والحجة والبرهان مستغلين ســـلطانهم وتبعيـــة الناس لهم.

وعلى الدعاة أن يفقهوا ذلك وأن يكونوا على حذر شديد منهم.

20ـ **أخذ العبرة بما حل بفرعون وجنوده**: فقد نجّى الله بدنه ليكون آية لمن خلفـــه ولكل من تسول له نفسه أن يلبس ثوب الربوبية ويدعي الألوهية ويتمرد على أوامر الله.

أن تكون هذه الحادثة عبرة لطواغيت اليوم فلا يجترئون على ما اجترأ عليه فرعون إذا علموا بما آل إليه أمره.

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴾ **(يونس : 92)**.

قال القاسمي* –رحمه الله– في تفسيره: "لا يتعظون بها ولا يعتبـــرون بهـــا فهـــم معرضون عنها وعن التأمل والتفكير فيها"[1]، حتى لا ييأسوا من هـــلاك أعـــدائهم وحتى لا يغتروا بهم إذا رأوا نفاذ خصمهم وتقلبهم في البلاد.

21ـ (**والعاقبة للمتقين**) **سنة إلهية لا تتخلف مطلقاً**: وهـــي أن العاقبـــة الحـــسنة للمتقين في الدنيا والآخرة أما في الدنيا بانتصارهم على أعدائهم واسترداد حقـــوقهم وعزتهم وكرامتهم، وفي الآخرة بدخولهم جنة ربهم ورفع درجاتهم.

وهي كلمة قالها موسى عليه السلام للمستضعفين من قومه : ﴿ **قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ **(الأعراف : 128)**[2].

---

(1) جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل (75/9).

* من كبار علماء عصره، له مصنفات كثيرة ومشهورة منها: تفسيره محاسن التأويل وكتابه دلائل التوحيد وكتب أخـــرى في الحديث والفقه والوعظ، توفى بدمشق سنة 1332هـــ.

الزركلي : الأعلام (131/2).

(2) عبد الكريم زيدان قصص القرآن (362/1) مع بعض الاختصارات والزيادات.

المقطع الأول

أولاً : موقف موسى عليه السلام من عباد العجل

1- التعجل لمرضاة الله تعالى

2- الغضب إذا انتهكت حرمات الله

فتنة السامري.

من هو السامري ؟

ما هي حقيقة العجل الذي عبده بنو إسرائيل ؟

ثانياً : موقف موسى عليه السلام من أخيه هارون.

إجابة هارون على أخيه موسى عليه السلام.

ثالثاً : موقف موسى من السامري.

جزاء السامري.

الدروس والعبر من قصة السامري.

المقطع الثاني

أولاً : موقف موسى عليه السلام من عباد العجل:

﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾(طه : 83ـ98).

عرض عام لهذا المقطع:

في هذا المقطع بيان لتحرك قلب موسى عليه السلام بدافع الرغبة في الحضور بسرعة ابتغاء مرضاة ربه إلى الوادي المقدس بناءً على موعد من الله له بالحضور، وكانت مدة الميعاد ثلاثين ليلة قد أتمها الله بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة.

ورأى موسى عليه السلام أن يَعجل ويأمر قومه أن يلحقوا به متبعين أثره إلى الـــوادي المقدس بجانب الطور.

وولى أخاه هارون على قيادة قومه، وقال له كما في سورة الأعراف ﴿ **ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ** ﴾ **(الأعراف : 142)**.

لكن جمهور بني إسرائيل لم يطيعوا هارون عليه السلام في اللحاق بموسى عليه السلام الـــذي ظن أنهم سائرون في أثره بقيادة أخيه هارون.

وخشي هارون عليه السلام أن يتبع أخاه مصطحباً الـــذين أطـــاعوا دون ســـائر بنـــي إسرائيل، أن يحاسبه موسى عليه السلام ويقول له: **(فرقت بين بني إسرائيل ولـــم ترقُـــب قولي)** إذ جئت ببعضهم وتركت سائرهم لا راعي يرعاهم.

فاجتهد هارون ورجح البقاء في بني إسرائيل لئلا يحدث الفرقة بينهم وخلال فتـــرة غياب موسى عن بني إسرائيل لعب الشيطان في نفوسهم وظهر أن أذهانهم ما زالت متشبثة بإله وثني.

وكان بينهم رجل يقال له: السامري قد صاغ لهم من حلي استعاروها عجلاً جسداً له خوار كخوار العجول، وأوحى إليهم السامري أن هذا إلهكم وإله موسى قد حل فـــي العجل وأن موسى لما ذهب لمناجاته نسى مكانه، فهو تائه عنه.

واجتمع جمهور بني إسرائيل يعكفون على العجل ويعبدونه، فنهـــاهم هـــارون عليه السلام، وقال لهم: **(يا قوم إنما فتنتم به)**، وذكرهم هارون بالله تعالى رب العالمين، لكنهم لم يستجيبوا له وكادوا يقتلونه ورجع إليهم موسى بعد نهاية الأربعين ليلة غضبان أسفاً وحين رأى العجل الذهبي معبوداً لهم ازداد حزناً وقال لهم: ﴿ **بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ**

﴿ بَعۡدِيٓ ﴾ (الأعراف : 150) وأخذ يحاسب أخاه هارون ويجره من رأسه ولحيته، واعتذر هارون عليه السلام بأعذار صحيحة قبلها موسى ودعا ربه أن يغفر له ولأخيه وأن يدخلهما في رحمته.

أما السامري فقد طرده موسى من بين قومه ودعا عليه بمرض جلدي لا يستطيع معه أن يمسه أحد وأن يقول معه لمن يصادفه من الناس ما بقي من حياته. لا مساس. لا مساس.

وأما العجل فأمر موسى عليه السلام بإحراقه ونسفه في اليم حتى لا يبقى له أثر وإليك بيان ذلك:

أولاً التعجل لمرضاة الله تعالى :

خلق الإنسان مجبولاً على التعجل في الأمور كما قال الله تعالى: ﴿ **خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ** ﴾ (الأنبياء : 37).

وقد تتبعت آيات العجلة في القرآن الكريم فوجدتها تزيد على ثلاثين موضعاً وهي في مجملها إما نهي عن الاستعجال وإما استنكار على الذين يستعجلون بالعذاب وإما ذم للعجلة، وذلك لضعف الإنسان وجهله بعواقب الأمور فإنه يستعجل فيطلب الشيء قبل أوانه بمقتضى الشهوة[1].

وقد مُدحت العجلة في القرآن في موضعين:

الأول : في قوله تعالى: ﴿ **وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ** ﴾ (الفتح : 20) وذلك لأن التعجل هنا هو تقريب الخير من الله للمؤمنين، **وموضع آخر** فيه إباحة التعجل في قوله تعالى: ﴿ **فَمَن**

(1) هكذا عرفها الراغب: قال العجلة : طلب الشيء وتحريه قبل أوانه من مقتضى الشهوة المفردات (ص 548).

﴿ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ (البقرة : 203) وذلك أيام منى أيام التشريق وقد جـــاء في الحديث: "**التأني من الله والعجلة من الشيطان**"[1].

وبعد هذه التوطئة الموضوعية عن العجلة نعود إلى سورة طه وقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ** ﴾ (طه : 83).

سؤال من الله تعالى لموسى وهو سبحانه أعلم بـــالجواب ولكـــن أراد أن يعلـــم موسى آداب السفر وهو أنه ينبغي تأخير رئيس القوم عنهم في المسير ليكون نظره محيطاً بطائفته ونافذاً فيهم ومهيمناً عليهم، وهذا المعنى لا يحصل في تقدمه علـــيهم، ألا ترى الله عز وجل كيف علـــم هـــذا الأدب لوطـــاً؟ فقـــال: ﴿ **وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ** ﴾ (الحجر : 65) فأمره أن يكون أخيرهم، على أن موسى عليه السلام إنما أغفل هذا الأمر مبادرة إلى رضى الله عز وجل ومسارعة إلى الميعاد، وذلك شأن الموعود بما يسّره يود لو ركب إليه أجنحة الطير، ولا أسر[2] من مواعدة الله تعالى له ﷺ[3].

فالعجلة وإن كانت مذمومة إلا أن موسى عليه السلام قد برَّر ذلك بأن الذي دعا إليها أمـــر محمود وهو طلب رضا الله تعالى[4].

ثانياً : الغضب إذا انتهكت حرمات الله:

"**الغضب هو ثوران دم القلب إرادة الانتقام**".

وإذا وصف الله به فالمراد الانتقام دون غيره[5].

واليهود مغضوب عليهم كما جاء في الحديث:

---

(1) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان. وحسنه الألباني : السلسلة الصحيحة برقم (1795) وفي صحيح الجامع برقم (3011).

(2) أسّر : أفعل تفضيل من السرور.

(3) أحمد بن محمد الإسكندري : الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (549/2).

(4) الراغب الأصفهاني : المفردات (ص 548).

(5) الراغب الأصفهاني : المفردات (ص 608).

قال رسول الله ﷺ : "**إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى**"[1].

وقد تتبع الباحث موضع ذكر الغضب في القرآن الكريم فوجد الآتي :

1- أن ذكر الغضب قد جاء في أربع وعشرين موضعاً.

2- أن أغلب ما يقع من ذكر الغضب في القرآن الكريم على اليهود.

3- أن النبيَّين الذَين ذكر القرآن غضبهما هما: يونس وموسى عليهما السلام.

أما يونس عليه السلام فقد جاء ذكر غضبه في قوله تعالى: ﴿ **وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ** ﴾ **(الأنبياء : 87)**، قال الشوكاني : مغاضباً : من أجل ربه[2].

وأما موسى فكل ما ذكر في القرآن من غضبه كان بسبب عبادة بني إسرائيل العجل الذهبي ومعاتبة هارون في ذلك.

4ـ أن صيغة المبالغة من الغضب **(غَضْبَانَ)** على وزن فعلان اختص بها موسى عليه السلام في موضعين في **(الأعراف وفي طه)**.

أما الأول: فقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ...** ﴾ **(الأعراف : 150)**.

والثاني: ﴿ **فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَـٰنَ أَسِفًا** ﴾ **(طه : 86)**.

ولعلنا ندرك من خلال هذه النظرة الموضوعية أن الغضب لابد أن يكون لله تعالى إذا انتهكت حرماته، وأي ذنب أعظم من عبادة غير الله في الأرض، وهذا ما أغضب موسى عليه السلام وحُق له ذلك بل ولكل مؤمن أن يغضب لغضب الله تعالى.

---

(1) أخرجه الترمذي، السنن، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله -ﷺ-، باب ومن سورة فاتحة الكتاب، (201/5)، رقم (2953)، وقال حديث حسن وغريب، وفي (204/5)، رقم (2954)، وأخرجه أحمد، المسند (378/4)، ومن طريقه ابن حبان، الصحيح، باب ذكر البيان بأن أهل الكتاب هم الذين ضلوا...، (139/14)، رقم (6246)، كلهم من طريق عدي ابن حاتم ﷺ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث حسن لغيره، وجمع الألباني طرقه في (السلسلة الصحيحة) ج7، القسم الثاني، ص781-785، رقم (3263).

(2) فتح القدير (522/3).

ولعلنا ندرك كذلك سر اقتران غضب موسى عليه السلام بالأسف في قوله تعالى **(غَضْبَـٰنَ أَسِفًا)** فإن الأسف انفعال للنفس ينشأ من إدراك ما يحزنها وما تَكرَهُه مع انكسار الخاطر[1].

وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى لأنه يسوؤه وقوع ذلك في أمته وهو الحريص على إيمانهم وهدايتهم.

وقد حزن أيضاً لأنه ذاهب للقاء ربه يأمل أن يكون في مناجاته سبب –رضي الله– عن قومه فإذا بهم أتوا بما لا يرضي الله فانكسر خاطره بين يدي ربه.

فتنة السامري:

وتتلخص هذه الفتنة في ذلك العجل الذي صنعه السامري وعبده بنو إسرائيل في فترة غياب موسى عليه السلام لمناجاة ربه.

ولقد كان لموسى موقف من هذه العبادة الباطلة أبينه فيما يلي:

أولاً: موقفه من قومه:

بدأ موسى عليه السلام يوجه اللوم إلى قومه أولاً لأنهم المسئولون عن هذه المتابعة الباطلة رغم أن صاحب الفتنة هو السامري إلا أنه لم يجبرهم على متابعته ولم يضرب على عقولهم، إنما أغواهم فغووا.

ويمكننا أن نتعرف على بعض طبائع بني إسرائيل من خلال الفتنة التي سقطوا فيها بمجرد خروجهم ناجين من البحر.

1ـ إن اليهود ـ غالباً – لا يصلحون لخلافة الله في الأرض ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ﴾ (الأعراف : 150) فقد سقطت الإمامة من أيديهم بسبب مخالفتهم أوامر الله وأوامر رسله وعنادهم واستكبارهم.

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير (281/8).

2ــ إن اليهود أهل جحود للنعم فقد نجاهم الله تعالى من بطش فرعون ورأوا بأعينهم ما حل بهم من الانتقام ورأوا معجزة انفلاق البحر وما كادوا يخرجون إلى شاطئ الأمان حتى عبدوا العجل.

3ــ إن اليهود يتعجلون في أمورهم غالباً كما قال ربنا عنهم على لسان موسى ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ والعجلة من الشيطان ــ كما مر معنا في الحديث ــ إلا إن كانت لمرضاة الله وهم ليسوا كذلك، بل كانوا عجلين مسرعين في عبادة العجل من دون الله تعالى.

4ــ قسوة قلوب اليهود ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة:74) وقد استحقوا بذلك غضب الله عليهم وكأنهم أرادوا ذلك قال تعالى: ﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (طه : 86).

5ــ خلف الموعد:

وهو من أخلاق اليهود السيئة وهو آية من آيات المنافق قال ﷺ: "**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**"[1].

وهذا مُشاهد في واقع اليهود فكم وعدوا أهل فلسطين بوعود براقة ومنوهم بالأماني ثم تراهم يخلفون الميعاد.

ولذلك قال لهم موسى عليه السلام : **(فأخلفتم موعدي)**.

6ــ إن اليهود كان عندهم الغلول[2] فقد استعاروا الحلي من القبط، وأوهموهم أنهم سيجتمعون في عيد لهم أو وليمة[3]، ثم أرادوا أن يتخلصوا منها فأعطوها السامري، وأقل ما يقال في هذا أنه عذر أقبح من ذنب فقد أرادوا التخلص من الحلي المسلوبة فقذفوها لتصاغ لهم عجلاً يعبدونه.

---

(1) البخاري : الصحيح (2) كتاب اليمان (24) باب علامة المنافق، (112/1)، رقم (ح33).

(2) الماوردي : النكت والعيون (418/3) والغلول : الخيانة في الغنيمة وغيرها، الجوهري : الصحاح مادة غلل (1330/2).

(3) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (250/11).

7ــ سرعة وقوع بني إسرائيل في الخطيئة فبمجرد أن صنع السامري لهـــم العجل عبدوه وقالوا : **(هذا إلهكم)**، قال البقاعي : "**إن السامري قال فتابعـــه عليه من أسرع في الفتنة أول ما رآه**"[1].

8ــ وقع بنوا إسرائيل في شرك الحلول بزعمهم أن إله موسى قد حل فـــي جسد العجل وصاروا يعكفون عليه ويقربون له القرابين.

9ــ اتهام الأنبياء ورميهم بأشنع التهم فقد رموا موسى عليه السلام بالكفر بعبـــادة العجل ونسيانه ربه ﴿ **فَقَالُواْ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمۡ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ** ﴾ **(طه : 88)**.

10ــ سخافة عقول اليهود حيث عبدوا إلهاً لا يتكلم ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع فهو في درجة أقل من درجة الحيوان[2].

11ــ عدم قبولهم النصيحة وتماديهم في الغي، فقد حذرهم هارون من هذه الفتنة وذكرهم بربهم ونصحهم بإتباعه لكنهم لم يستجيبوا وتملَّصوا من نصحه قائلين ﴿ **قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ** ﴾ **(طه : 91)**.

12ــ استخفافهم بالأنبياء إذ كيف ساغ لهم أن يعبدوا حيواناً مصنوعاً مـــن المعدن والأنبياء بين ظهرانيهم وكيف حجروا على عقولهم وتفكيرهم بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير.

من هو السامري؟ :

اختلفت أقوال المفسرين في هذا الرجل وهل الياء نسبة إلى قبيلة أو إلـــى بلدة أم ياء أصلية؟

قال البيضاوي في أنوار التنزيل:

"**السامري نسبة إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها الـــسامرة**[3] أهـــــ. وردّ الطاهر ابن عاشور القول بأنه من بني إسرائيل معللاً ذلك : أن السامرة أمـــة مـــن

(1) نظم الدرر (40/5).
(2) سيد قطب : في ظلال القرآن (2348/4).
(3) البيضاوي : أنوار التنزيل (55/2).

سكان فلسطين في جهة نابلس في عهد الدولة الرومية **(البيزنطية)**، وكانوا في فلسطين قبيل مصير فلسطين بيد بني إسرائيل، ثم امتزجوا بالإسرائيليين واتبعوا شريعة موسى عليه السلام مع تخالف في طريقتهم عن طريقة اليهود، فهو ليس منسوباً إلى مدينة السامرة القريبة من نابلس لأن مدينة السامرة بناها الملك **(عَمْري)** ملك مملكة إسرائيل سنة 925 قبل ميلاد المسيح، وجعلها قصبة مملكته، وسماها **(شـومیرون)** لأنه بناها على جبل اشتراه من رجل اسمه **(شامر)**، فعربت في العربية إلى سامرة، وكان اليهود يعدونها مدينة كفر وجور، لأن **(عمري)** وابنه **(آخاب)** قد أفسدا ديانة التوراة وعبدا الأصنام الكنعانية.

ويحتمل أن يكون السامري نسبة إلى قرية اسمها السامرة من قرى مصر كما قال بعض أهل التفسير فيكون فتى قبطياً اندس في بني إسرائيل لتعلقه بهم في مصر أو لصناعة يصنعها لهم[1].

وذكر الزمخشري[2] والقرطبي[3] خليطاً من القصة : أن السامري اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من أهل **(باجرما)*** وقيل من أهل **(كرمان)***. وزاد بعضهم تفاصيل لا يفيد ذكرها.

وجدير بالذكر أن السامريين لقب لطائفة من اليهود يقال لهم أيضاً السامرة أو السامرية، لهم مذهب خاص مخالف لمذهب جماعة اليهودية في أصول الدين.

قال ابن حزم: "إنهم يبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع عليهما السلام، فيكذبون نبوة شمعون وداود وسليمان واليسع وإلياس وعاموس وحبقوق وزكريا وأرمياء وغيرهم، ويقولون أن مدينة القدس هي نابلس، وهي من

---

(1) ابو بكر الجزائري : أيسر التفاسير (ص 757).

(2) الزمخشري : الكشاف (549/2).

(3) القرطبي : الجامع (249/11).

* باجراما : قرية من أعمال البليخ قرب الرَّقة من أرض الجزيرة ياقوت الحموي: معجم البلدان (250/2).

* كرمان : ولاية مشهورة تقع بين فارس ومكران وسجستان وخرسان مشهورة بالنخيل، قيل سميت كرمان بكرمان بن فارك بن سام بن نوح عليه السلام لأنه نزلها، فتحت كرمان على يد عثمان بن العاص في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ياقوت الحموي : معجم البلدان (132/7).

بيت المقدس على بعد ثمانية عشر ميلاً ولا يعرفــون حرمـــة لبيـــت المقـــدس ولا يعظمونه، وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها"[1].

رأي الباحث:

بعد استعراض هذه الأقوال المختلفة في تحديد هوية السامري يرى الباحث أن لا تعارض بين هذه الآراء ويمكن التوفيق بينها بالقول أن السامري لم يكن مـــن بنـــي إسرائيل أصلاً وبما أنه كان في مصر جاز أن يكون من قرية بمصر تسمى ســـامرة ثم سكن فلسطين ونسبت السامرة إليه ومازالت إلى اليوم بهذا الاسم ويقرنها اليهـــود بيهودا فيقولون **(يهودا و السامرة)**.

ما هي حقيقة العجل الذي عبده بنو إسرائيل؟

جمهور المفسرين على أن العجل الذي عبده بنو إسرائيل كان مصوغاً من الذهب الذي استعاروه من المصريين وجحدوه وسولت للسامري نفسه بطريقة مـــا فجعلـــه يخور خوراً كباقي العجول ولعله كما قال بعض المفسرين إذا وضع في مهب الريح ودخلت الريح في تجويفه خرج منه ذلك الصوت والذي يحسبه الباحث أنه قد يكون نوعاً من السحر أو خفة الصنعة.

وقال الحسن وقتادة والسدي[2]: "**إن الذهب صار عجلاً جسداً ذا لحـــم ودم لـــه خوار، واختلفوا في القبضة التي قبضها السامري من أثر الرسول وهل الرســـول جبريل أم موسى اختلافات تجدها عند المفسرين ولكل منهم دليله وحجته**".

والذي يراه الباحث صواباً كون العجل من ذهب مصاغ على هيئة عجـــل حقيقـــي والذي يؤكد ذلك حديث صحيح عند الحاكم جاء فيه "**... فعمد موسى إلـــى العجـــل فوضع عليه المبارد فبرده بها ، وهو على شفى نهر ، فما شرب أحد مـــن ذلـــك الماء ممن كان يعبد ذلك العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب...** "[3].

---

(1) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل (82/1).

(2) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (250/11) والماوردي : النكت والعيون (419/3).

(3) الحاكم : المستدرك، برقم (3434)، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وهذا الحديث يؤكد أن العجل كان من ذهب لأنه قد بُرد بالمبارد ولو كان من دم ولحم لما احتاج إلى ذلك وأكتفي بهذا دليلاً على صحة مـــا ذهـــب إليـــه جمهـــور المفسرين ورجحته، فإن في كلام رسول الله ﷺ غُنية عما سواه.

ثانياً: موقف موسى عليه السلام من أخيه هارون:

اشتد لوم موسى على هارون عليهما السلام بعد أن حاور بني إسرائيل فثبت أن نفوسهم كانت مريضة بل مهيأة للوثنية مسرعة لغضب الله وسخطه.

﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ (الأعراف : 150).

وهذا يدلل على أمور عدة أبينها ما يلي:

- الغضب الشديد الذي انتاب موسى عليه السلام فجعله يلقي الألواح التي كتـــب فيهـــا التوراة.
- اختلاف شخصية موسى عن شخصية هارون وقد مر معنا شيء من هذا لكن ظهر الاختلاف واضحاً في هذا الموقف فموسى يظهر الشدة والعنف وهارون يظهر اللين والاستعطاف وفي ذلك يقول صاحب تفسير المنار ولا شـــك أن سياسة الأمم تختلف باختلاف أحوال رعاتها وسائـــسيها[1] فـــالقوي الـــشديد الغضب كموسى يشعر به من يغلب عليه الحكم ولين العريكـــة[2] كهـــارون عليه السلام[3].
- أن موسى عليه السلام قد كان محقاً في غضبه ولو كان خطأ لوعظه الله وحذره منه وعاتبه عليه.
- لا محاباة مع أحد ولو كان أخاً إذا اعتدي على حدود الله وانتهكت حرماته.
- أخذ موسى عليه السلام بالعزيمة في تغيير المنكر باليد فلم يكتفِ بالإنكار باللسان لا بالقلب واختار أعلى المراتب.

---

(1) سائسيها: من ساس الرعية يسوسها سياسة إذا أمرها ونهاها، الفيروز أبادي : القاموس المحيط (ص 710)، الفيومي: المصباح المنير (ص 177).

(2) لين العريكة: أي سلس الخلق، الرازي : مختار الصحاح (ص 237).

(3) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (201/9).

إجابة هارون على أخيه موسى:

كانت إجابة هارون رقيقة جداً لينة تنم عن أدب رفيع وأخـــوه صـــادقة قـــال البقاعي : "**قال**" مجيباً له مستعطفاً بذكر أول وطن ضمهما بعد نفخ الروح مع مالـــه من الرقة والشفقة[1].

ويغلب عليها التلطف والاستعطاف واستجلاب الحنان من أخيه ﴿ **قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي** ﴾ **(طه : 94).**

وفي هذه الإجابة الحانية فوائد منها:

1- العلاقة الحسنة بين الأخوين رغم الشدة التي استخدمها موسى إلا أن هارون لم يقابلها بشدة مماثلة إنما كان رفيقاً لينا هادئاً ، وهذا ما ينبغي أن يكون بين المسلمين ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ **(المائدة : 54).**

2- في قوله (**يَبْنَؤُمَّ**) ادعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب. و لأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هي التي قاست منه المخاوف والشدائد فذكره بحقها[2].

3- هارون يمتص غضب أخيه ويهدئ من ثورته ويسكت غضبه وفي هـــذا تعلـــيم لخلق كريم اتصف به هارون وهو الحلم والأناة.

4- ندم موسى على ما فعله مع أخيه جعله يدعو له بالمغفرة والرحمـــة ﴿ **قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ** ﴾ **(الأعراف : 151).**

وفي هذا إرضاء لأخيه وإظهار لأهل الشماتة رضاه عنه واستغفار لنفسه ممـــا فرط منه ولأخيه إن عسى فرّط في حسن الخلافة.

5- تبرير موقف هارون يدل على أن المسلم يجوز له أن يدافع عن نفسه و أن يأتي بالأدلة والبراهين التي تقنع الآخرين بوجهة نظره بما يراه حقاً.

---

(1) البقاعي : نظم الدرر (41/5).

(2) الزمخشري : الكشاف (119/2).

6- كما يتضح لنا من حجة هارون عليه السلام أن على الداعية إذا أحدق به الخطر وخشي على نفسه الموت عند تغيير المنكر أن ينجو بنفسه وفي ذلك يقول القرطبي: "**فبين هارون أنه إنما قام خوفاً على نفسه من القتل فدلت الآية على أن لمن خشي على نفسه القتل تغيير المنكر أن يسكت**"[1].

7- يدل قول هارون عليه السلام **(استضعفوني)** على أنه عليه السلام لم يقصر في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بل بذل قصارى جهده لنصحهم وإرشادهم لكنهم لم يستمعوا إليه وكادوا يقتلونه لولا أن الله سلمه ونجاه منهم.

8- في إنكار موسى على هارون دليل على أن القضاء على الكفر ولو على حساب وحدة الأمة هو الإصلاح، وليس الإصلاح هو المحافظة على وحدة الأمة مع الكفر[2].

ثالثاً : موقف موسى من السامري:

التفت موسى بتوجيه الخطاب إلي السامري الذي كان سببا في إضلال القوم بقوله: ﴿ **قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى** ﴾ (طه : 95،96).

ولماذا لم يغلظ موسى له القول كما أغلظ لهارون؟

يجاب على ذلك بما يلي:

"لأنه كان جاهلاً بالدين فلم يكن في ضلاله عجب ، ولعل هذا يؤيد ما قيل : أن السامري لم يكن من بني إسرائيل ولكنه كان من القبط أو من كرمان فاندس في بني إسرائيل ، ولما كان موسى مبعوثا لبني إسرائيل خاصة ، ولفرعون وملئه لأجل إطلاق بني إسرائيل ، كان اتباع غير الإسرائيليين لشريعة موسى أمراً غير واجب

(1) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (290/7).

(2) سعيد حوى : الأساس في التفسير (3383/7) .

على غير الإسرائيليين ولكنه مرغب فيه لما فيه من الاهتداء ، فلذلك لم يعنفه موسى لأن الأجدر بالتعنيف هم القوم الذين عاهدوا الله على الشريعة"[1].
وهذا ما أيده صاحب الظلال كذلك[2].

جزاء السامري:

ويتلخص في عقوبات ثلاث:

1- عزله عن مخالطة الناس في الدنيا.
2- الوعد الحق في الآخرة بالعقوبة.
3- إبطال ما افتتن به وفتن غيره وإهدار سعيه وهدم مكره.

الدروس والعبر من قصة السامري:

1- أهل الباطل يستخدمون الحيل الماكرة والطرق الخفية ليضلوا بها الرعاع كما فعل السامري بإخراج العجل الجسد ، ولعلنا نلحظ ما في كلمة **(أخرج)** أي صَنَعَهُ بحيلة مستورة عنهم حتى أتمه.
فلا بد لأهل الحق أن يفطنوا لمثل هذه الحيل حتى لا يُخدعوا فيقعـــون فريـــسة للماكرين.
2- استغلال سذاجة الشعوب والاستخفاف بهم وإقحامهم في مهاوي الردى ويقع ذلك من الذين لا يرجون لله وقارا فإنّ هذا غش وخـــداع والمـــسلمون نـــصحه والمنافقون غششه.
3- "النفس الأمارة بالسوء قد تزين المعصية وتحببها لصاحبها وتحسنها في عينه فيرى الباطل حقا والظلام نورا كما وقع للسامري ولعله أراد بذلك أن يكـــون ذا مكانه وسيادة دينية باعتباره صاحب فكرة العجل ليكون ســـادنه فيحظـــى بهـــذه المنفعة"[3].

(1) الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير (294/8).
(2) سيد قطب : في ظلال القرآن (2348/4).
(3) ابن عاشور : التحرير والتنوير (286/8).

4- إذا وقع المجرم تحت المسائلة والتحقيق فقد يعترف بجريمته ولكنـــه ربمـــا يتملص بحجج واهية ويتذرع بذرائع ضعيفة.

5- لابد من معاقبة المجرمين وتضييق الخناق عليهم ومحاصرتهم ونفـــيهم -إن كانوا يستحقون النفي- جزاء وفاقاً.

وفي ذلك يقول القرطبي: "**هذه الآية أصل في نفي أهل البـــدع والمعاصـــي وهجرانهم وألا يخالطوا وقد فعل النبي ﷺ ذلك لكعب بن مالك والثلاثـــة الـــذين خلفوا...** "[1].

6- يجوز استئصال المنكر وتصفية جميع آثاره ولذلك أحرق موسى عليه السلام العجل بالنار وألقى رماده في البحر ولم ينتفع بذهبه.

7- طوى موسى عليه السلام من تاريخ بني إسرائيل واقعة عباده العجل التي طرأت في فترة زمنية قصيرة الأمد وقرر مبدأ التوحيد ، وأوجب عبادة الله وحده لا إله إلا هو[2].

(1) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (256/11).

(2) الزحيلي : التفسير المنير (277/16).

المقطع الثالث

مواقف يوم القيامة.

المناسبة بين المقاطع الثلاثة.

أحوال الأشقياء المعرضين عن ذكر الله تعالى.

النفخ في الصور.

نسف الجبال.

الشفاعة.

وقفة مع عربية القرآن وعدم تعجل قراءته.

المقطع الثالث

مواقف يوم القيامة

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾

(طه: 99-114).

المناسبة بين المقاطع الثلاثة:

لمقطع يمثل درسا من دروس السورة وهو موصول بالدرس الأول، **ففي الدرس الأول** بيان عن القرآن المجيد ووظيفته التعليمية والتذكيرية وبيان عن وظيفة الرسول محمد ﷺ المتعلقة بالقرآن ، ويلحق به كل داع إلى الله وكل ناصح ومرشد و آمـــر بالمعروف وناه عن المنكر وجاء في هذا الدرس تحذير شديد من سوء المصير يوم

الدين لمن يعرض عن آيات القرآن الحكيم ، الذي أنزله الله على رسوله محمـــد ﷺ ليكون ذكراً للعالمين جميعاً ، فمن أعرض عنه كان من المجرمين.

وجاء فيه عرض لقطة من لقطات أحوال المجرمين يوم الدين وهم الكافرون أهل العذاب الأبدي الخالد في الحريق بنار جهنم.

وجاء في الدرس الثاني ذكر لأهل الشقاوة من عباد العجل وما آل إليه أمـــرهم فكان هذا المقطع بمثابة الكلام المستأنف لتحقيق الحق إثر إبطال الباطـــل، وتـــسلية لرسول الله ﷺ وتكثيرا لمعجزاته بقصص أحوال السابقين وزيادة فـــي علـــم أمتـــه ليعرفوا أحباب الله فيحبونهم وأعداء الله فيبغضونهم ليزدادوا رفعـــة وشـــأنا حيـــث اطلعوا على سير الأوائل[1].

وتظهر المؤانسة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين من أهل السعادة في مطلع هذا المقطع بقولـــه تعـــالى: ﴿ **كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا** ﴾ (طه : 99)؛ أي لتسليتك ومؤانستك وإذهابا لحزنك وليعتبر السامع ويـــزداد المستبصر في دينه بصيرة[2].

نلاحظ قصة موسى جاءت بعد قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾ (طه : 7). كما أن في ذكر قصة موسى التي هي تكليف بالتوحيـــد ودعـــوة وحماية له بعد قولـــه تعـــالى: ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ** ﴾ (طـــه : 8) أنموذج على أن ما يدعو إليه القرآن من التوحيد هو دعوة كل الرســـل، ومـــن ثـــم فالصلة بين قصة موسى ومقدمه السورة من الوضوح بما لا يزيد عليه.

كما يلاحظ أيضا أن هذا المقطع الذي نحن بصدد الحديث قد جاء بعد عرض قـــصة موسى عليه السلام وأنه يربط بين القصتين برباط من الوعيد لمن أعرض عـــن ذكـــر الله وبيان أهوال يوم القيامة التي تنخلع لها القلوب ويرتجف لها الكون.

---

(1) الصاوي : حاشية على الجلالين (60/3).

(2) البقاعي : نظم الدرر (44/5).

نلاحظ أيضا أن السورة بدأت بقوله تعـــالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾(طه : 1-3) وفي هذا المقطع قوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴾(طـــه : 99) فلاحظ الصلة بين الذكر والتذكرة **ثـــم لاحـــظ** الصلة بين الآية ﴿ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرٗا ﴾ (طه : 100) وبين: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ (طه:2) فليس الشقاء في إتباع القرآن بـــل فـــي الإعراض عنه ، ثم لاحظ كيف أن قصة موسى كانت تذكرة وذكراً لمن يخـــشى ، وهذا كله يشير إلى أن سياق السورة سائر على نسق واحد[1].

نلاحظ ورود كلمة **(كذلك)** في أكثر من آية وأُولى هذه الآيـــات قولـــه تعـــالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴾ (طه:99) التي جاءت بعد قصة موسى مباشرة والآية الثانيـــة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾ (طه:113).

"وما بين ذلك جاء التذكير العالي، والإنذار المخيف، والوصف المـــدهش لليـــوم الآخر، وما يكون فيه، فكان ذلك نموذجاً عن الذكر في هذا القرآن حقيقة التقوى، أو التذكر بهذه العظة الرائعة، ومن الآيتين ومما ورد بينهما نرى بعض خصائص هذا القرآن، من كونه ذكراً ومذكراً ومنزلاً ومن كون هذه الخصائص موجـــودة فيـــه، والنموذج الذي بين هاتين الآتين دليل على ذلك.

وكتاب جاء ليفصل كل شيء، وآياته كلها فيها هذه الخصائص مجتمعـــة دليـــل على أنه من عند الله، ومن ثم فإننا نلاحظ أن الآية التي بعد الآية الأخيرة بدأت بقوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾ (طه: 114).

(1) البقاعي : نظم الدرر (44/5).

إن من عرف خصائص هذا القرآن، عرف علو الله وعظمته وإحاطة علمـــه"[1]

أما الآية الثالثة فقولـــه تعـــالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه : 126).

وقد جاءت هذه الآية بعد قصة آدم مباشرة، وهي كذلك لبيان مصير المعرضين عن ذكر الله تعالى وأنهم سوف يحشرون عميا يوم القيامة، والجـــزاء مـــن جـــنس العمل، فهم قد تركوا آيات الله وراء ظهورهم فتركهم الله في ذلك اليوم العظيم الذي يحتاج كل إنسان فيه إلى رحمة الله وعفوه.

ولتأكيد هذا المفهوم ترددت كلمة كذلك في الآية مرتين فالأولى لترك المعرضين العمل بآيات الله في الدنيا والثانية لتركهم دون عناية يوم القيامة ثـــم جـــاءت الآيـــة الرابعة بعد الثالثة مباشرة وهي قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (طه : 127)، وكأن هذه الآية تمثل نتيجة لما قبلها وبيان جزاء هؤلاء المعرضين عـــن الذكر، ففي الدنيا بالشقاء وضنك العيش وفي الآخرة بالعذاب الشديد المستمر، نسأل الله العافية.

أحوال الأشقياء المعرضين عن ذكر الله تعالى:

لما كانت سورة طه تدور حول معاني الـــسعادة الحقيقيـــة وأهلهـــا وأحـــوالهم، والتماس السعادة في مظانها كان لابد من بيان أحوال الأشقياء كذلك ومالهم وأحوالهم ليمتاز الخبيث من الطيب، والسورة على طبيعتها المكية ترغيب في جانب وترهيب في جانب آخر.

(1) ذكر سعيد حوى –رحمه الله– كلاماً في سياق الآيات حول كلمة (كذلك) في آيتين من السورة (3388/7) فقط، ورأى الباحث إتماما للفائدة أن يتحدث حول الآيتين الأخريين اللتين ورد بهما نفس الكلمة.

وهذا بيان لما جاء فيها من ترهيب يفصل أحوال هؤلاء الأشقياء:

❋ **أولا :** المعرضون يحملون الأوزار والوزر هو **(الحمل الثقيل)** ولما كان ارتكاب الذنب وحمل الإثم مما يتحمل به الإنسان ما يشبه الحمل الثقيل أطلق لفظ **(الوزر)** على الذنب الكبير يرتكبه الإنسان.

❋ **ثانيا:** خلود المعرضين عن ذكر الله في جهنم بدلالة قوله تعالى: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا** ﴾**(طـه : 101)** والخلود في الوزر كناية عن الخلود في العذاب الذي قضى الله به على الكافرين المجرمين.

❋ **ثالثا:** حشر المجرمين يوم القيامة زرقا وقد جاء فيها ستة أقوال:

أحدها: عُمياً قاله الفراء.

الثاني: عطاشا قد ازرقت عيونهم من شدة العطش قاله الأزهري.

الثالث: تشويه خلقتهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم.

الرابع : أنه الطمع الكاذب إذا تعقبته الخيبة وهو نوع من العذاب.

الخامس: شخوص البصر من شدة الخوف[1].

وزاد الميداني سادسا: احتقان الدم تحت الجلد نتيجة ضرب الملائكة لهم[2].

رأي الباحث: ويرى الباحث أنه لا تنافي بين هذه الأقوال جميعاً، فقد يحشر المجرمون عمياً، عطاشاً، مشوهين، خائبين، شاخصة أبصارهم، مزرقة جلودهم، عافانا الله من أحوالهم.

النفخ في الصور:

إذا أذن الله جل جلاله وعظم سلطانه بفناء الكون، وانتهاء الحياة الأولى أمر ملكا يدعى إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة الفناء فينفخ فيه فيصاب الكون كله بخلخلة عنيفة فتتزلزل الأرض وتنفطر السماء وتدك الجبال وتنطفئ النجوم ويحدث انقلاب كبير في الكون والنفخات ثلاث:

---

(1) الماوردي : النكت والعيون (424/3) والشوكاني : فتح القدير (479/3).

(2) عبد الرحمن الميداني : معارج التفكر (315/8،314).

❋ **الأولى:** نفخة الفزع.

❋ **الثانية:** نفخة القيام لرب العالمين.

❋ **الثالثة:** نفخة الصعق[1] وقد فصلت كتب التوحيد والعقيدة ذلك بما يغني عـــن إعادته لكن أراد الباحث أن يتناول قضية **(النفخ في الصور)** مـــن الناحيـــة التفسيرية الموضوعية، وبالرجوع إلى الآيات التي تتحدث عـــن الـــنفخ فـــي الصور تبين ما يلي:

أولاً: أن الآيات التي عرضت لهذه القضية عددها أحد عشر آية.

ثانياً: جميع هذه الآيات قد جاءت في سور مكية.

ثالثاً: جاء فعل النفخ فيها جميعاً مبنياً للمجهول بالماضي والمضارع **(نفخ ــ ينفخ)**.

رابعاً: كل ما ورد في آيات النفخ إما مقترنا بجمع الناس وإخراجهم من قبورهم، إما بتلاشي الإنسان وعدم التساؤل وإما بالفزع والصعق وإما بـــدك الجبـــال والأرض، وامتازت آية طه باقترانها بحشر المجرمين زرقاً والتخافت السري بينهم.

نسف الجبال :

بناءً على سؤال كبراء مشركي قريش رسول الله ﷺ عن الجبال كيـــف يكـــون حالها يوم القيامة جاء في هذا الدرس بيان المسئول عنه في قـــضية وأتبعـــت هـــذه القضية ببيان قضايا تتعلق بيوم القيامة وما يجري فيه وحشر الناس جمعاً وَسَوْقَاً وما يكون فيه من حقائق ومشاهد.

أن نسف الجبال وتذريتها متناثرة الأجزاء كالرمال ، ودقيق التراب حْدثٌ مـــن أحد عشر حدثاً يجري في الجبال قبيل الساعة وعند قيامها وقد جاء تفـــصيل هـــذه الأحداث مع ما يدل عليها من القرآن.

وهذه الأحداث تأتي على مراحل وهي بإيجاز :

1ــ مرحلة الدك للتكسير.

2ــ مرحلة جعل الجبال لينة كالعهن أي كالصوف المصبوغ ألواناً.

---

(1) الحافظ الحكمي : معارج القبول (800/2).

3ــ مرحلة جعل الجبال كالعهن المنفوش ، أي كالصوف المندوف الذي أنــتفخ بالفراغات الكثيرة التي تخللته.

4ــ مرحلة بس الجبال وهو ما يكون به تفتيتها إلى أجزاء صغيرة كناعم التراب أو ناعم الرمل.

5ــ مرحلة جعل الجبال بالبس كالكثيب المهيل أي كالرمال الذي يتساقط بتــدافع من الأعلى إلى الأسفل بأدنى حركة.

6ــ مرحلة سير الجبال وتذريتها متناثرة.

7ــ مرحلة مرور الجبال كمر السحاب.

8ــ مرحلة تسيير الجبال بقوة وشدة.

9ــ مرحلة نسف الجبال وتذريتها متناثرة، وهذه هي المرحلة التي تحدثت عنها سورة طه.

10ــ مرحلة تسيير الجبال تسييراً كلياً حتى لا يرى من أثارها إلا مثل الــسراب أي كبقايا غبار.

11ــ المرحلة الأخيرة مرحلة لا يبقى منها من الجبال أثر ما و لا مثل السراب.

هذه المراحل قد جاءت ببيانها نصوص قرآنية إلا أن ترتيبهــا علــى هــذا النحــو اجتهادية من الشيخ عبد الرحمن الميداني (رحمه الله) فقد ذكرها ثم **قال معقباً** : "**وقــد يوافق الواقع الذي سوف يكون وقد يكون الواقع مخالفاً لها مخالفة ما ، والعلــم الحق عند الله جل جلاله وعظم سلطانه وأحاط علمه بكل شيء ، ما كان وما هــو كائن وما سيكون**[1]".

والذي يعنينا على وجه التحديد هو **(النسف)** ولقد جاء ذكره في القرآن الكــريم في ثلاثة مواضع، اثنان منهما عن الجبال وواحدة عن نسف العجل الذهبي أما اللتان عن الجبال ﴿ **فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا** ﴾(طه : **105**).

(1) الميداني : معارج التفكر (324/8).

وأما الثانية ففي المرسلات وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ (المرسلات : 10)

ولعل من التناسق العجيب في كلمات سورة طه وآياتها ما جاء من حديث عن نسف الجبال نسفاً وما جاء عن نسف العجل بعد احتراقه في اليم نسفاً.

وكأن فيه إشارة إلى بني إسرائيل الذين لا يؤمنـــون بالغيـــب ولا يـــصدقون إلا بالواقع وبما يرون بأعينهم ، أن هذا العجل الذي هو من حليكم ولمـــسته أيـــديكم ، وعكفتم على عبادته ها هو ينسف أمامكم وأنتم تنظرون ومثله سيكون يوم القيامـــة نسف الجبال نسفاً فهل لكم في ذلك عبرة؟ وهل من مدكر؟.

وقد جاء التعبير القرآني في كلا الآيتين بالمفعول المطلق المؤكد للفعل في نسف الجبال إشعاراً بالقوة التي تفتت هذه الجبال وتذروها حتى تصبح الأرض ملـــساء لا معلم فيها ولا أثر، و في العجل لشدة إهانة هذا المعبود مـــن دون الله حتـــى غـــدا حصيداً ولم يكن شيئاً مذكوراً.

الشفاعـة:

الشفاعة لغة واصطلاحاً: أصل الشفع: ضم الشيء إلى مثله[1].

هي كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره.

وتأتي بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (البقرة : 255) وقد تكرر ذكر الشفاعة في القرآن والسنة فيما يتعلـــق بـــأمور الـــدنيا والآخرة وهي السؤال في التجاوز عند الذنوب والجرائم[2].

جاء في قرة العيون والشفاعة نوعان:

النوع الأول: شفاعة منفية في القرآن وهي الشفاعة للكافر والمـــشرك، قـــال تعـــالى: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ (البقرة : 254).

والنـوع الثـاني: الشفاعة التي أثبتها القرآن وهي خالصة لأهل الإخلاص وقيدها تعالى بأمرين:

(1) الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن (ص 457).

(2) ابن منظور : لسان العرب، مادة شفع (145/5).

الأمـر الأول: إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعـــالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ (البقرة : 255).

الأمر الثـاني: رضاه عمن أذن لشافع أن يشفع فيه كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ (الأنبياء : 28)، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد[1].

لا أريد أن أُفصّل القول في موضوع الشفاعة فهو من المسلمات عند أهـــل الـــسنة والجماعة و إن خالف بعض المبتدعة وأنكروا ذلك ، لأن كتب التوحيـــد والتفـــسير تزخر بالحديث عن الشفاعة وأنواعها وعن الشفعاء والمشفوع لهم وغير ذلك.

لكني أطرق ــ كما هو طبيعة بحثي ــ الناحية الموضوعية للشفاعة ومن الملاحظ:

أولاً: أن الشفاعة قد جاءت منفية في سورة طه باستثناء من أذن له الـــرحمن ورضي له قولاً.

وقد ذكر العلماء قيوداً ثلاثة لا تتم الشفاعة لعبد من عباد الله تعالى إلا بعد توافرهـــا له وتلك القيود هي:

1ــ أن لا يشفع أحد إلا بعد إذن الرب تبارك وتعالى له، وذلك لقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾(البقرة : 255).

2ــ أن لا يشفع أحد في آخر إلا إذا كان الله تعالى قد رضي عـــن المـــشفوع فيـــه بارتضاء قوله وعمله ، وذلك لقوله تعـــالى : ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ (الأنبياء : 28)؛ فإنه صريح في نفي الشفاعة عن أحد لم يرتضيه تعالى لذلك.

3ــ أن لا يشفع أحد فيمن مات على الشرك والكفر ، وذلك لحكم الله تعـــالى بخلود الكافرين ، المشركين في النـــار بقولـــه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ (البينة : 6)[2].

---

(1) عبد الرحمن بن حسن : حاشية على كتاب التوحيد (ص105،104).

(2) هذه الشروط ذكرها أبو بكر الجزائري : عقيدة المؤمن (ص 128).

ويستثنى من ذلك شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب وهي شفاعة خاصة.

ثانياً: العلاقة الوطيدة بين الكلام عن الشفاعة وما قبله ، فإن ما قبله خـــشوع الأصوات للرحمن والتخافت والآن الإذن بالقول المرضى ، ورد على الكفار الـــذين يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم.

ثالثاً: أن كلمة التوحيد "**لا إله إلا الله محمد رسول الله**" تكفى و لـــو كانـــت مجردة عن العمل للشفاعة لصاحبها وذلك قوله تعـــالى: ﴿ **وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلاً** ﴾ (طـــه : **109**) قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو قول "**لا إله إلا الله**"[1] وهـــذا مـــا أيدتـــه أحاديث صحيحة.

رابعاً: التشابه بين آيتي الشفاعة في **(طه ومريم)** فآية طه قـــد لاح لـــي وأنـــا أحاول الكشف عن أوجه ربط بين سورة طه وسورة مريم أن السورتين قد ذكرتـــا قضية الشفاعة بألفاظ متشابهة ومعان قريبة وبيان ذلك فيما يلي :

﴿ **يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلاً** ﴾ (طه : **109**)، وآية مريم ﴿ **لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا** ﴾ (مريم : **87**).

ومن أوجه التشابه بينهما:

أ ـــ قوله تعالى في الأولى: **(وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلاً)** والقول هو الإيمان بـــلا إلـــه إلا الله والثانية **(عهد)** والعهد هو الإيمان وشهادة أن لا إله إلا الله[2].

ب ـــ اختصاص هاتين الآيتين بلفظ **(ٱلرَّحۡمَٰنُ)** عن باقي آيات الشفاعة في القـــرآن الكريم.

ج ـــ مجيء الشفاعة منتفية في الآيتين مع الاستثناء بإلا في كليهما.

---

(1) الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما ذكره أبو حيان : البحر (247/6).

(2) الصابوني : صفوة التفاسير (227/2).

خامساً: التشابه بين آية طه و آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن الكـــريم ولعلك ترى هذا بوضوح فآية طه ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ (طه : 109) ثم جاء بعدها مباشرة ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ (طه : 110).

وقف على آية الكرسي وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (البقرة : 255) وبعـــدها مباشـــرة ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ (البقرة : 255).

كذلك نلاحظ أن أية طه جاء بعدها ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾(طه : 111) وآية الكرسي كذلك فيها ذكر هذين الاسمين العظيمين ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (البقرة : 255).

سادساً: العلاقة الحميمة بين موضوع الشفاعة ومحور السورة وكـــي لا ننـــسى محورها **(مؤانسة السعداء)** فالشفاعة تؤنس صاحبها وتطمئن باله فمن مات موحـــداً وإن كان عنده من المعاصي ما عنده، فلسوف ينعم بـــشفاعة رســـول الله ﷺ يـــوم القيامة، ويسعد بها، أما الأشقى فلن يكون له حظ في هذه الـــشفاعة ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾ (المدثر : 48).

وقفة مع عربية القرآن وعدم تعجل قراءته :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾(طه : 11،114).

المناسبة بين هاتين الآيتين والحديث عن أهوال القيامة:

هاتان الآيتان هما آخر المقطع الثالث وقد افتتحت بقوله تعالى: **(وكـــذلك)** وقـــد تحدث الباحث من قبل حول هذه الكلمة وجمال الربط بين الآيات بها ويحسن بنا أن نقول:

كما أنزل الله آيات الوعيد من أهوال يوم القيامة أنزل القرآن كله بلغـــة عربيـــة مبينة ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجاً عن طوق البشر[1]، ثم أبان تعالى نفع هذا القرآن للناس بالتحـــصن بـــالتقوى والاتعـــاظ والاعتبار بهلاك الأمم المتقدمة، وأنه سبحانه متصف بصفات الكمال ومنـــزه عـــن صفات النقص ، وأنه ضامن غرس القرآن في صدر نبيه وصـــونه عـــن النـــسيان والسهو[2].

ولقد تحدث القرآن الكريم عن عربيته في اثني عشر آية واختصت آية طه مـــن بين الآيات بتصريف الوعيد فيه ولعل هذا يناسب ما جاء قبلها من الإنذار بالعواقب السيئة العاجلة والآجلة لمن حمل ظلما.

وتصريف الوعيد الموجود في القرآن الكريم يدركه من يتلو آياته وسوره بتـــدبر إذ معظم سور القرآن مشتملة على صورة أو أكثر من صور الوعيد المخيف بعـــذاب أليم.

(قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) مع أن النبي ﷺ مرسل إلى الناس كافة في امتداد الزمان والمكان والقرآن نزل معجزة للجميع فما السر في قوله عربياً؟.

قالوا لأنه ﷺ هو المباشر لهذه الأمة العربية التي ستستقبل أول دعوة له ، فلا بد أن تأتي المعجزة بلسانها كما أن معجزة القرآن ليست للعرب وحدهم، بل للعرب

---

(1) أبو السعود: إرشاد العقل السليم (44/6).

وأبو السعود هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ولد سنة 898 هـــ بقرية قريبة من القسطنطينية فـــي بيـــت عرف بالعلم والفضل، وله مؤلفات في كثير من العوم منها تفسيره المشهور وكتاب تحفة الطلاب ، توفي رحمه الله ســـنة 982هـــ، الزركلي: الأعلام (288/7)، الذهبي: التفسير والمفسرون (244/1).

(2) وهبة الزحيلي: التفسير المنير (289/16).

والعجم، بل وللإنس والجن.

وقد يقول قائل وكيف نتحدى بالقرآن غير العرب وهو بلسان عربي فهو حجـــة على العرب دون غيرهم؟.

نقول: والكلام للشعراوي: وهل إعجاز القرآن من حيث أســـلوبه العربـــي أداؤه البياني فقط؟ لا، فجوانب الإعجاز كثيرة لا تختلف فيها اللغات...

إذن طبيعي أن يأتي القرآن عربياً لأنه نزل على رسول عربي وفـــي أمـــة عربيـــة **(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)** فهم الذين يستقبلون الدعوة، وينفعلون لها ويقتنعون بها في شتى بقاع الأرض، و من العجيب أنهم بدعوة القرآن اقنعوا الدنيا التي لا تعرف العربية، أقنعوها بالمبادئ والمناهج التي جاء بها القرآن لأنها مبادئ ومناهج تختلـــف عليهـــا اللغات[1].

يقول مصطفى الرافعي*: القرآن الكريم ليس كتاباً يجمع بين دفتيه مـــا يجمعـــه كتاب أو كتب فحسب ، إذ لو كان هذا أكبر أمره لتحللت عقـــده وإن كانـــت وثيقـــة ولأتى عليه الزمان أو بالأحرى لنفِّس من أمره شيء كثير من الأمم و لاستبان فيـــه مساغ للتحريف والتبديل من غال أو مبطل و لكانت عربيته الـــصريحة الخالـــصة عذراً للعوام والمستعجمين في إحالته إلى أوضاعهم إذا ثابت لهم قدرة على ذلك ولو فعلوه لما كان بدعاً من الرأي و لا مستنكراً في قياس أصحابنا.

إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربيـــة فـــلا يـــزال أهلـــه مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً حتى يتأذن الله بانقراض الخلـــق وطيِّ هذا البسيط ، ولولا العربية التي حفظها القرآن على النـــاس وردهـــم إليهـــا

---

(1) الشعراوي : في تفسيره (9402/15،9401).

* كاتب أديب شاعر، ولد في القليوبية سنة 1297هـ الموافق سنة 1880م ونال شهادة الابتدائية وعين كاتباً في محكمـــة طنطا، وأصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به، وانتخب عضواً بالمجتمع العلمي العربي بدمشق وتـــوفى فـــي طنطا سنة 1356هـ الموافق 1937م، من مؤلفاته : ديوان الشعر، تاريخ آداب العرب، السحاب الأحمر، المجاز القرآني والبلاغة النبوية.

عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين (256/12) و الزركلي : الأعلام (235/7).

وأوجبها عليهم لما اطرد التاريخ الإسلامي ولا تراخت به الأيام إلى ما شـــاء الله ، ولما تماسكت أجزاء هذه الأمة ولا استقلت بها الوحدة الإسلامية[1].

(1) مصطفى صادق الرافعي : تحت راية القرآن (ص 51،50).

المقطع الرابع
قصـــــة آدم عليه السلام

عرض عام لقصة آدم.

وقفة مع الجنة التي أهبط منها آدم عليه السلام.

أدلة الطائفتين.

الفوائد المستنبطة من قصة آدم عليه السلام.

تعقيب على قصة آدم عليه السلام.

الحكمة من هبوط آدم من الجنة.

المناسبة بين قصة آدم وما قبلها.

المناسبة بين المقطع الرابع ومحور السورة.

المقطع الرابع

قصـــــة آدم عليه السلام

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾(طه : 115–127).

عرض عام لقصة آدم:

لقد قص علينا القرآن الكريم قصة آدم عليه السلام في سبع سور وهذه السور هي:

1- البقرة 2- الأعراف 3- الحجر 4- الإسراء
5- الكهف 6- طـــــه 7- ص

ولقد جاءت القصة بألوان مختلفة من سورة إلى سورة من حيث الجزئيات والموضوعات والمواقف والمشاهد ، ومن حيث اختصاص كل سورة بما يتسق مع موضوعاتها وشخصيتها ومن حيث الألفاظ والتراكيب المتناسقة مع كل سورة.

والذي يعني الباحث في هذا المقام ما اختصت به سورة طه التي بـــدأت بـــذكر العهد لآدم أن لا يقترب من الشجرة فنسى هذا العهد[1] ولم نجـــد لـــه عزمـــاً: أي تصميماً في حفظه أي في حفظ العهد حين أمره بعدم الاقتراب من الشجرة ولو كان له التصميم على حفظ العهد لما أزله الشيطان ولما استطاع أن يغره[2].

ثم بين تعالى لأدم بأنه تتوافر له الراحة في الجنة فلن يجوع ولن يعـــرى ولـــن يظمأ ولن تزعجه الضحوة.

أي أن مقومات الحياة السعيدة والعيش الرغد سوف تكون متوفرة في الجنة.

لكن الشيطان وسوس له موهماً إياه بأنه سيدله على شجرة الخلد التـــي إن أكـــل منها فلسوف يخلد في الجنة متمتعاً بملك لا يزول ولا يتبدل.

أكل آدم وزوجته من الشجرة فكان ما كان من بدو السوءات ومحاولة إخفائها من ورق الجنة، ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾ (طه: 121،122)، وأمروا جميعاً بالهبوط ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ (طه : 123،124).

فسورة طه إذن لم تحدثنا عن الماء والطين ولكنها حدثتنا أول ما حدثتنا عن عهد لأدم ونسيان آدم لهذا العهد ، ولم تحدثنا عن المحاورة والتبكيت الذي كان مـــن الله لإبليس ، ولكنها حدثتنا هنا عن قضايا جديدة بالألوان أخرى :

- عن عداوة إبليس لآدم ولزوجته.
- عن محاولة إخراجهما من الجنة وسيشقى إذا كان ذلك.
- عن وسائل الراحة التي هيئت له في هذه الجنة.

---

(1) قال الرازي في نسيان آدم قولان:

أحدهما : ما هو نقيض الذكر ، وإنما عوتب على ترك التحفظ والمبالغة في الضبط حتى تولّد منه النسيان.

الثاني: أن المراد بالنسيان : الترك وأنه ترك ما عهد إليه من الاقتراب من الشجرة والأكل من تمرها (124/22).

(2) جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل (197/11).

- عن المداخل التي استطاع إبليس أن يدخل منها لآدم. وهي هذه الاستعدادات الفطرية التي منحها والتي أصبحت فطرة في بنيه جميعاً، وهي حب البقـــاء، وحب التملك، وهما فطريان في الإنسان ﴿ **هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ** ﴾ **(طه: 120)**.

كما حدثتنا عن عصيان آدم وغوايته ولكن بعد ذلك عن اجتباء ربه له وهدايتـــه؛ كل هذه العناصر كانت جديدة في هذه السورة الكريمة[1].

وقفة مع الجنة التي أهبط منها آدم عليه السلام:

قد اختلف الناس في الجنة التي أسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها هل هي جنة الخلد التي أعدت للمتقين أو جنة غيرها في موضع عال من الأرض؟

وإليك أقوال الفريقين مختصرة:

1ـ الطائفة التي قالت ليست جنة الخلد.

أدلتهم:

1- قالوا: وجدنا أن الله تعالى وصف الجنة التي أعدت للمتقين بدار المقامـــة ولم يقم فيها آدم.

2- وصفها الله بأنها جنة الخلد ولم يخلد آدم فيها.

3- وصفها بأنها دار جزاء ولم يقل : إنها دار ابتلاء، وقد ابتلـــي آدم فيهـــا بالمعصية والفتنة.

4- وصفها بأنها ليس فيها حَزَن وإن الداخلين إليهـــا يقولـــون ﴿ **ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ** ﴾**(فاطر : 34)** وقد حزن فيها آدم.

5- سماها الله تعالى دار السلام ولم يَسلَم فيها آدم من الآفات التي تكون في الدنيا.

(1) فضل عباس : القصص القرآني (ص 48).

6- جنة الخلد يقول تعالى عنها: ﴿ **وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ (الحجـر:48) وقد أُخرج منها آدم بمعصيته.

7- وقال: ﴿ **لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ** ﴾ (الحجـر : 48) وقد ندم آدم فيها وطفـق يخصف ورق الجنة على نفسه وهذا هو النصب بعينه الذي نفاه الله عنها.

8- وأخبر أنه لا يُسمع فيها لغو ولا تأثيم، وقد أثم فيها آدم، وأسمع فيها مـا هو أكبر من اللغو وهو أنه أمر فيها بمعصية ربه.

9- وأخبر أنه لا يُسمع فيها كَذَب وقد كذب إبليس وأغرى آدم وقاسمه أنه له من الناصحين.

10- إن إبليس قال لآدم: ﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ** ﴾ (طه:120) ولو كان آدم في جنة الخلد لرد على إبليس قائلاً : كيف تدلني على شيء أنا فيه وقد أعطيته؟

11- لو كانت جنة الخلد كيف توصل إليها إبليس وهي طاهرة مقدسة وإبليس رجس نجس ملعون مذموم والجنة دار المتقين.

ويبقى لنا أن نوضح أن القائلين بأن الجنة التي أسكنها آدم وحواء غير جنة الخلد قد اختلفوا في تحديدها: فمنهم من قال: **(هي في السماء)** ومنهم من قال : **(هي في الأرض)** وفسروا الهبوط بالانتقال من مكان إلى مكان كم قال عز وجل مخبراً عن موسى عليه السلام لبني إسرائيل ﴿ **اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ** ﴾(البقرة : 61) وقالوا: إنما سميت الجنة لكثرة أشجارها وكثافة أغصانها.

2ـ أدلة الطائفة التي اختارت أن تكون جنة الخلد (وهو رأي الجمهور)(1):

1ــ إن المتبادر والمشهور عند العامة والخاصة أنها جنة الخلد التي أعـدت للمتقين وقد نص غير واحد من السلف على ذلك.

2ــ جاء في حديث محاجة آدم وموسى "**فقال له موسى : يا آدم أنت أبونـا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة؟...الحديث**"(2).

---

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (76/1) .

(2) أخرجه البخاري : الصحيح (ح 3407) ومسلم : الصحيح (ح 6614).

3ــ قوله تعالى :(اهْبِطُواْ) يدلل على أن الجنة عالية لأن الهبوط نزول مـــن علو إلى سفول.

4ــ قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾(الأعراف : 24) دل على أنهم لـــم يكونوا أولاً في الأرض.

5ــ وصف الله سبحانه الجنة التي أسكنها آدم بصفات لا تكون فـــي الجنـــة الدنيوية فقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾(طه : 118) وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً.

6ــ قال تعالى : ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (الأعراف : 19) جاءت كلمـــة الجنة معرفة في جميع المواضع ولا جنة يعهدها المخاطبون إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب.

كانت هذه أقوال الفريقين من المانعين والمثبتين لكون الجنة التي أهبط منهـــا آدم هي جنة الخلد ولقد توقف ابن القيم (رحمه الله) عن ذكر هذه الأقوال مفصلة ولم يرجح بينها واكتفى بقوله : "**فمن كان عنده فضل علم في هذه المسألة فليجد به فهذا وقت الحاجة إليه ومن علم منتهى خطوته ومقدار بضاعته فليكل الأمر إلى عالمـــه ولا يرضى بالتنقيص والإزراء عليه...**"[1].

ومن العلماء من توقف في المسألة ولم يرجح فيها شيئاً[2] والله أعلم.

---

(1) تفصيل ابن القيم للمسألة : مفتاح دار السعادة (125/1).

(2) من القائلين بأنها جنة في الأرض أبو مسلم الأصفهاني في تفسيره. ذكر ذلك الطبرسي : مجمع البيان (194/1).
هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي من علماء الشيعة ، والطبرسي نسبة إلى طبرستان كما فـــي معجـــم البلدان لياقوت الحموي (13/4) توفى سنة 548هـــ عن عمر يقارب تسعين سنة وله مصنفات كثيرة من أشهرها مجمـــع البيان.
كحالة : معجم المؤلفين (269/3) ، محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون (276/1).

رأي الباحث في هذه المسألة:

يرى الباحث أن مثل هذا الخلاف لا يحصل به غرض ولا يزول به مـــرض والمقصود هو الحكمة والعبرة من وراء هذه القصة، وسواء كانت جنـــة الخلـــد أو غيرها فلن يفيد كثيراً وطالما أن الله تعالى لم يُعلمنا به ولا رسوله ﷺ يبقى الأمر في باب الظن الذي لا نقطع به.

لكن من خلال عرض أدلة الفريقين يتبين لنا أن الرأي الراجح في هذا الموضوع هو رأي الجمهور، فأدلتهم قوية وحجتهم ساطعة قاطعة صحيحة فيما أظن.

مع أن الباحث لا يمنع من تدبر الآيات واستخراج النقول والأدلة والنكت البديعة.

الفوائد المستنبطة من قصة آدم عليه السلام :

- ❋ الإكثار من ذكر هذه القصة في القرآن الكريم لا ريب فيها دليل على أنها من أعظم القصص التي اتفقت عليها الرسل ونزلت بها الكتب السماوية واعتقدها جميع اتباع الأنبياء من الأولين والآخرين.
- ❋ فضيلة العلم وأن الملائكة لما تبين لهم فضل آدم بعلمه عرفوا بذلك فـــضله، كما له وأنه يستحق الإجلال والتوقير.
- ❋ أن من منّ الله عليه بالعلم عليه أن يعترف بنعمة الله عليه وأن يقول كما قالت الملائكة والرسل ﴿ **قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ** ﴾ (البقرة : 32).

وأن يتجنب التكلم بما لا يعلم، فإن العلم أعظم المنن وشكر هذه النعم بالاعتراف بالله بها والثناء عليه بتعليمها وتعليم الجهال، والوقوف على ما علمه العبد والسكوت عن ما لم يعلمه.

- ❋ أن الله جعل هذه القصة لنا معتبراً وأن الحسد والكبر والحرص من أخطـــر الأخلاق على العبد[1] فكبر إبليس وحسده لآدم سيره إلى ما تره وحرص آدم

(**1**) قال ابن القيم (رحمه الله) : أصول الخطايا كلها ثلاثة : الكبر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره، والحـــرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد : وهو الذي جرأ أحد ابني آدم على أخيه، فمن وقي شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر فالكفر من (الكبر)، والمعاصي من "الحرص" والبغي والظلم من "الحسد"..أهـــ (الفوائد) (ص **105**).

وزوجه حملهما على تناول الشجرة، ولولا تدارك رحمة الله لهما لأودت بهما إلى الهلاك، ولكن رحمة الله تكمل الناقص وتجبر الكسير وتنجي الهالك وترفع الساقط.

- أنه ينبغي لمن وقع في ذنب أن يبادر إلى التوبة والاعتراف، ويقول ما قاله الأبوان من قلب خالص وإنابة صادقة، فما قص الله علينا توبتهما إلا لنقتدي بهما فنفوز بالسعادة وننجو من الهلكة، وكذلك ما أخبرنا بما قاله الشيطان من توعدنا وعزمه الأكيد على إغوائنا بكل طريق إلا لنستعد لهذا العدو الذي تظاهر بهذه العداوة البليغة المتأصلة[1].
- أن الله تعالى قد يحجب سر حكمته عن أقرب خلقه إليه كما حجب حكمة استخلاف آدم في الأرض عن الملائكة حتى تحيروا واشتاقوا إلى معرفة الحكمة من هذا الاختيار.
- أن عناية الله تعالى إذا توجهت إلى الشيء الحقير جعلته عظيماً كما توجهت عنايته إلى التراب، فصيرته بشراً سوياً وجعلته مظهراً لأسرار قدرته وحكمته وعلمه الواسع، فأفاض عليه من العلم والمعرفة ما أقر الملائكة بالعجز عن إدراكه.
- أن الإنسان مهما أوتي من الكرامة والتفضيل ففي طبعه الضعف فهو عرضة لأن ينسى ويأتي ما لا يتفق مع هذا الإكرام كما في نسيان آدم وصية الله تعالى[2].
- وأن آدم عليه السلام هو أصل البشر قد خلقه الله تعالى من طين على صورته البشرية الكاملة والتي لم تأت عن طريق التدرج عن نوع من أنواع المخلوقات كما يزعم أصحاب نظرية داروين* أن أصل الإنسان قرد، ثم

---

(1) عبد الرحمن السعدي : قصص الأنبياء (ص 35-40) بتصرف.

(2) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء (21).

* هو (تشارلس داروين) بريطاني عاش ما بين عام 1808م ــ 1882م درس الطب واللاهوت وبحث في عالم الأحياء وتوصل إلى نظرية التطور والانقراض، ألف كتاب (أصل الإنسان) روج اليهود لأفكاره وتبنوها. عبد الرحمن الميداني : كواشف زيوف (317 – 319).

تدرج إلى أن صار إنساناً على هيئته المعروفة الحالية قال الرازي : "**إن الله تعالى خلق آدم على صورة الإنسان**"[1].

❋ تقرير عداوة إبليس لبني آدم وهي عداوة ثابتة لا تتغير وقد أمـــر الله تعـــالى بني آدم باتخاذ الشيطان عدواً قال تعـــالى: ﴿ **إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ** ﴾ (فاطر : 6).

❋ بيان أن الجنة لا نصب فيها ولا تعب وإنما ذلك في الأرض[2].

❋ ضعف المرأة وقلة عزمها فقد أكلت مع آدم فسهلت عليه المعصية.

❋ كون المرأة تابعة للرجل وليس لها أن تستقل بحال من الأحوال.

❋ حرمة كشف العورات ووجوب سترها[3].

❋ تجب النفقة للمرأة على زوجها في أمور أربعة :

"**الطعام والشراب والكسوة والمسكن والعلاج**" فإن أعطاها هذه الأربعة فقد خـــرج إليها من نفقتها فإن تفضل بعد ذلك فهو مأجور[4].

تعقيب على قصة آدم عليه السلام :

تلك هي قصة آدم، والتي تحدثت عنها سور عدة من القـــرآن الكـــريم وتتميمـــاً للفائدة يرى الباحث أنه لا بد من التنبيه إلى بعض القضايا التي يمكننا أن نستنتجها من القصة :

أولاً : بالنظر إلى السور التي عرضت لقصة آدم نجد معها قصص لأنبيـــاء آخرين وقد اختصت سورة الإسراء ــ بالإشارة إلى قصة موسى في آخر الـــسورة وكذلك سورة طه التي امتازت بذكر هذين النبيين الكريمين.

---

(1) الرازي : في تفسيره (179/19).

(2) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير (ص 765).

(3) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير (ص 765).

(4) القرطبي : الجامع (270/11).

السور التي فيها قصة آدم إذن كانت جميعها من السور التي ذكر فيها بعض قصص الأنبياء ومعجزاتهم ــ عليهم السلام ــ وهذا متسق ــ بــالطبع ــ مــع خلــق آدم وإعداده للخلافة والرسالة التي أنيط بحملها وهو والصفوة المختارة من بنيه الــذين جعلهم الله هداة ودعاة يدعون ويهدون بأمره ولكن هناك ملحظ حري بنا أن ننبه له، ونشير إليه وهو أن هذه القصة لم تذكر مع قصص الأنبياء في سياق واحد وســرد واحد، بل وجدنا أنها يفصل بينها وبين غيرها من هذا القصص فقد تذكر أولاً كمــا في سورة الأعراف، وقد تأتي متأخرة كما في سورة طه.

ولقد فصل بين قصة موسى وقصة آدم في سورة طه بفاصل يمثل مواقف يــوم القيامة المتنوعة والحديث عن عربية القرآن والدعوة إلى عدم التعجل بالقرآن وطلب الزيادة في العلم.

ثانياً: أن الحديث عن آدم عليه السلام هو حديث عن الخصائص والميــزات التــي خص الله بها هذا الإنسان عن غيره كما أنه كان حــديثاً عــن تلــك الاســتعدادات والغرائز التي هيأها الله لهذا الإنسان.

فلا غرابة إذن ولا عجب أن ينسي آدم ويورث أبناءه صفة النسيان[1].

ولا عجب أنه يعهد إليه فيخور عزمه ويغتر عما عهد الله إليه، ولا عجــب إذن أن نجد ربنا تبارك وتعالى يهيئ لآدم ما يصلحه لعمارة هذه الأرض، وأن يزود بهذه الاستعدادات التي لا بد منها لعمارة الأرض وتلك هي الخلافة وهذه الاستعدادات:

الاستعداد الجنسي أولاً ؛ وكان له بعد أن تم خلقه حيث أمره أن يسكن هــو وزوجه الجنة.

وحب البقاء ثانياً ؛ وهو ما طبع عليه الإنسان من هذا الأمل.

وحب التملك ثالثاً ؛ ومن نتيجته هذا التنافس بين الأفراد والشعوب والأمم.

والتدين أخيراً يستطيع أن يضبط الاستعدادات السابقة فلا يطغى بعضها على بعض ولا يبغى أحد على الآخر.

---

(1) ورد في حديث عن آدم "....فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته...." الألباني : صحيح سنن الترمــذي بــرقم (3607).

ثالثاً: الحقائق التي أثبتها القرآن الكريم ولم تصل إليها أيدي المؤرخين فعلماء العصر يبحثون في هذا العصر في الديار البائدة وبقايا الأمم الغابرة ليتعرفوا منها على حياة الآباء والأجداد، ويعرفوا أخبارهم وأحوالهم وعلى الرغم من قلة ما وصلوا إليه من علم، فإنه علم مشوب، لا يجلي الحقيقة ولا يزيل الغبش الذي علق بها، ولا يستطيع أن يضرب بصدق في أعماق الماضي السحيق، أما الوحي الإلهي الذي يأتي بأخبار الماضين فإنه كنز لا يقدر بثمن، لأنه يعرف بالحقيقة صافية ناصعة، فهو علم منزل من العليم الخبير[1].

ولقد جاء الوحي بآيات بينات وأحاديث واضحات بأخبار من أخبار أبينا آدم عليه السلام وشيء من طباعه وخصائصه وخلقه وسجود الملائكة له وسكونه الجنة وخروجه منها وغير ذلك مما تقف أيادي المؤرخين مشلولة عن إيضاح مثل هذه الحقائق الناصعة.

رابعاً: ولقد كرم الله بني آدم بكرامة أبيهم، وخلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، وليس ذلك خاصاً بجانب الجسم والروح، وإنما هناك جانب ثالث هو الجانب الفكري والعقلي الذي هيئه الله لآدم حين علمه الأسماء كلها ففضل على الملائكة بهذا الجانب.

خامساً: الجنة التي أسكنها آدم عليه السلام كانت مهيأة ليجد فيها راحته ؛ ذلك لأن عنصر الطين الذي خلق منه لا يقوى على مقاومة المؤثرات والعواصف والصدمات سيما وأنه صلصال ــ سرعان ما يتفتت ويتحطم ؛ لذلك ضمن الله له ما يستطيع أن يقاوم به هذه المؤثرات من شدة البرودة وشدة الحرارة ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ** ﴾(طه:118- 119) فالجوع والعرى، ثم الظمأ وما تسببه الضحوة من شدة الحرارة، كل ذلك تكفل الله به آدم عليه السلام ولزوجه في الجنة.

ولقد تناول الباحث مبحثاً خاصاً في الجنة التي أسكنها آدم عليه السلام.

---

(1) عمر الأشقر : صحيح القصص النبوي (ص 19).

سادساً: لما أهبط الله سبحانه آدم من الجنة وعرضه وذريته لأنواع المحـــن والبلاء أعطاهم أفضل مما منعهم وهو عهده الذي عهد إليه وإلى بنيه وأخبر أنه من تمسك به منهم صار إلى رضوانه ودار كرامته، **(فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا)**، أي أنه لما كسره سبحانه بإهباطه من الجنة جبره وذريته بهذا العهد الذي عهده إليهم[1].

سابعاً : لم يحدثنا القرآن الكريم عن زوج آدم أم البشر جميعاً وهي التي عرفت بـــ **(حواء)** لم يحدثنا القرآن الكريم عن اسمها وعن كيفية خَلقها كل الذي أشار إليه القرآن الكريم في هذا المضمار وفي سياق غير سياق قصة آدم إشارات موجزة في مثل قول الله: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً...** ﴾ (النساء: 1) والقضية المهمة التي ننبه إليها هنا أن القرآن الكريم، لم يحمل المرأة مسؤولية الإغواء، كما وجدنا ذلك في بعض الكتب كالتوراة[2]، حيث قالوا : إنها هي التي زينت لآدم أن يأكل من الشجرة.

إن القرآن الكريم لم يحمل المرأة هذه المسئولية، ولم يخصها بالـــذكر، وهـــذا جانب من الجوانب التي يحق للمرأة أن تفخر به، إذا لم تكن هي السبب في الارتماء بمصايد الشيطان الذي أدى إلى الإخراج من الجنة، وإنمـــا آدم هـــو المـــسئول أولا وآخراً أو أنهما مشتركان في المسئولية بدلالة التثنية في الآيـــات[3] ﴿ **فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ** ﴾ **(طه : 121)**، ألم أنهكما عن الشجرة واقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين.

﴿ **وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ** ﴾ **(طه: 121،122)**.

---

(1) ابن قيم الجوزية : مفتاح دار السعادة (176/1).

(2) الإصحاح الثالث (6) نقلاً عن عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص 17، وذكره ابن كثير : قصص الأنبياء، ص16.

(3) أحمد بهجت : (أنبياء الله) ص 44، فضل عباس : القصص القرآني، ص62.

والخلاصة أن قصة آدم جاءت تقرر الركيزة الأولى في حياة الإنـــسانية وهـــي العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد الذي لا تشوبه شائبة شرك وقـــضية التـــدين التـــي يحاول بعض الناس أن ينازع في فطريتها وكونها من الأصول الأولى التي زود بها هذا الإنسان.

وعجيب أمر القرآن الكريم، فإننا نجد أن قصة كل نبي ذكرت فيه –وبخاصـــة أولي العزم– كانت تشير إلى ركيزة جديدة بني عليها هذا البناء الشامخ الذي نعمـــت فيه الإنسانية فيما بعد لولا أن أحرفت عن الجادة.

بقي هنا أمر ينبغي الإشارة إليه، فلقد علمّنا الله أنه خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والصلصالية تشير إلى عدم التماسك كما قلنا وسرعة التفتت، أما الحمأ المسنون فإنما يشير إلي سرعة التغير وفساد العنصر، وهكذا نجـــد الإنـــسان هـــشا ضعيفا لا يقوى على مقاومة البعوضة وقد يبدو منه ما تنكره الطباع وتمجه النفوس، ولكن الله تعالى قد نفخ فيه من روحه فاستحق لذلك هذا التكريم من إسجاد الملائكـــة له سجود تكريم واحترام.

ولعل في إضافة الروح لله تعالى في قوله: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ (الحجـــر: 29) مزيد تكريم بهذا السر وهذه الجذوة التي تنتشر في أرجاء نفـــسه فتـــشع منهـــا جوانب الخير.

من أجل ذلك امتن الله على هذا الإنسان بالتكريم وعنفه على انحرافه عن الجادة ونظم أمور حياته لتكون له الخلافة في الأرض، فأين هذا مما يهذي بـــه أصـــحاب مذهب الوجودية أو الذين يدعون تمرغ الإنسان بأوحال الجنس، إن الإنسانية لن تجد هديها ولن تكتشف عناصر الخير ولن تنتشل من وهدتها إلا بهذا القرآن وصدق الله العظيم إذ يقـــول: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء : 70)[1].

(1) فضل عباس : القصص القرآني (ص 62– 64) بتصرف يسير.

الحكمة من هبوط آدم من الجنة:

1ــ إن الله سبحانه لما أهبط آدم من الجنة كان ذلك لحكم تعجز العقول عــن معرفتها والألسن عن وصفها، فأراد أن يذيقه وذريته نصب الدنيا وغمومها وهمومها حتى يهيئهم لدخولها في الدار الآخرة فإن الضد يظهر حسنه الضد ولو تربو في دار النعيم لم يعرفوا قدرها.

2ــ أراد الله تعالى اختبارهم في الأمر والنهي والابتلاء والجنة ليــست دار تكليف فأهبطهم إلى الأرض وعوضهم بذلك أفضل الثواب الذي لم يكن لينال بــدون الأمر والنهي.

3ــ إنه سبحانه له الأسماء الحسنى فمن أسمائه : الغفور الرحيم العفو الحليم ولا بد من ظهور آثار هذه الأسماء... فاقتضت حكمته سبحانه أن ينزل آدم وزوجه داراً يظهر عليهم فيها أثر أسمائه الحسنى فيرحم من يشاء بفضله ويعذب من يــشاء بعدله.

4ــ اختار الله لهم هذه الدار ليكون إيمانهم فيها بالغيب هو الإيمان النافع وأما الإيمان بالشهادة فكل أحد يؤمن يوم القيامة.

5ــ إن الله سبحانه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض[1] والأرض فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن فعلم الله أن في ظهره من لا يصلح لمــساكنته في داره فأنزلهم داراً يتميزُ فيها الخبيث من الطيب

6ــ أنزلهم إلى الأرض حتى يعرفوا عدوهم فيحاربوه لأنه قــد حــارب الله وتكبر على أمره وأخرج أباهم من الجنة.

7ــ لما كان الله تعالى يحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ويحب التوابين ويحب المتطهرين وكانت محبته أعلى أنواع الكرامات

(1) جاء في حديث عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : "إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبــضها مــن جميــع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأسود والأبيض والأصفر وبين ذلك والسهل والحــزن والخبيــث والطيب" أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه الألباني : صحيح الجامع برقم (1759) وابن كثير البدايــة والنهاية (85/1،86).

اقتضت حكمته أن ينزل آدم وبنيه داراً يأتون فيها بهذه الـــصفات ﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (البقرة : 105).

لهذه الحكم ولغيرها أنزل الله تعالى آدم من الجنة وأسكنه الأرض يعمرها ويستخلف فيها ويحقق فيها العبودية لله تعالى[1].

المناسبة بين قصة آدم وما قبلها:

إن من أجمل ما قيل في وجوه الربط بين قصة آدم وما قبلها:

أنه لما عهد إلى محمد ﷺ ألا يعجل بالقرآن مثل له بنبي قبله فعوقب ليكون أشد في التحذير وأبلغ في العهد إلى محمد ﷺ والعهد هنا في معنى الوصية[2].

❋ وأود أن أشير إلى حديث صحيح يؤكد وجه الربط بين قصة موسى وقـــصة آدم عليهما السلام والحديث هو :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "**احتج آدم وموسى عليهمـــا الـــسلام عند ربهما، فحجَّ آدمُ موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقكَ اللهُ بيَدِه ونفخ فيـــك من روحه وأسْجدَ لك ملائِكَتهُ وأسكَنكَ جنتهُ ثم أَهبطتَ الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيهـــا تِبْيان كل شيء فَقرَّبكَ الله نجياً فَبِكَمْ وجدت اللهَ كَتَبَ التوراة قبـــل أن أُخلـــق قـــال موسى بأربعين عاماً**".

قال آدم: "**فهل وجدت فيها** ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ (طه : 121) قال: "**نعـــم**" قال: "**أتلومني على أن عملت عملاً كتبهُ الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة**" قال رسول الله ﷺ : "**فحج آدم موسى**"[3].

---

(1) استقيت هذه الحكم من مفتاح دار السعادة لابن القيم (106/1-110) وقد ذكر (رحمه الله) ما يزيد عن عشرين حكمة اخترت أهمها اختصاراً.

(2) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (268/11).

(3) متفق عليه واللفظ لمسلم (46) كتاب القدر (2) باب احتجاج آدم وموسى -عليهما السلام- (450/8)، برقم (2652).

معلوم أن موسى عليه السلام قد عانى ما عاناه من فرعون وحزبه ومـــن بنـــي إســـرائيل وعنادهم وتمردهم وأذاهم، ولعله في وقت من الأوقات دار في خلده أن سبب هـــذا العناد كله كان بسبب آدم الذي أخرج نفسه وذريته من الجنة فلما التقى بأبينا آدم دار بينهما ذلك الحوار[1].

وأخيراً فهذا الحديث الصحيح هو في ظن الباحث الوحيد الذي يجمع بين هـــذين النبيين الكريمين –عليهما السلام– في محاورة هادئة يعرف فيها كل واحـــد منهمـــا فضل الآخر وذكر ما حباه الله به.

❋ بين قصة موسى وقصة آدم عليهما السلام ارتباط وثيق فإن في كليهما تفريط في العهد ففي الأولى تفريط بني إسرائيل في عهد الله وميثاقه كمـــا قـــال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ﴾ (طه :86)

وفي قصة آدم عليه السلام تفريط في العهد أيضاً[2] مع ضرورة التنبيه هنـــا إلـــى الفرق الشاسع الكبير بين تفريق بني إسرائيل وعبادتهم العجل وبين نسيان آدم عليه السلام العهد بالأكل من الشجرة فإن العهد الذي طال على بني إسرائيل هو مدة عشرة أيام زيادة على الثلاثين فأدت بهم إلى فساد عقيدتهم وانتكاسهم.

وعهد آدم عليه السلام هي وصية الله له ألا يقرب شجرة من الجنة فأكل منها دون قصد ودون عزم وعاقبه الله على ذلك.

❋ وكذلك جاء في قصة موســـى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ (طـــه : 96)

وفي قصة آدم ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ (طه :120) وبين تسويل الـــنفس ووسوسة الشيطان اقتران كبير.

❋ جاء ذكر النسيان في القصتين ففي الأولى (فَنَسِيَ) وفي الثانيـــة ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (طه : 115).

---

(1) قد يكون التقاء الأرواح في السماء وقد يكون التقاء الأشخاص في ليلة الإسراء والمعراج فإنه قد ثبت أن الله تعالى قد أحيا الأنبياء وصلى بهم النبي ﷺ (النووي في شرح مسلم (200/16).

(2) ابن عاشور : التحرير والتنوير (318/8).

يبدو أيضاً والله أعلم أن قصة آدم جاءت عطفاً على قصة موسى بواو العطف فـــي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ ﴾(طه : 115) وقوله تعـــالى: (مِن قَبْلُ) فيها حذف ما أضيف إليه فقد جاءت مبنية على الضم علامة على حذف المـــضاف ونية معناه.

والعهد : إما عهد موسى الذي في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ (طه : 13) وقوله تعـــالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ (طـــه : 16) ؛ وإما عهد الله لبني إسرائيل الذي ذكرهم به موسى عليه السلام لما رجع إلـــيهم غضبان أسفا وهو ما في قوله تعالى: ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ ﴾ (طه : 86)[1].

المناسبة بين المقطع الرابع ومحور السورة :

نلاحظ في هذا المقطع أن قصة آدم ذكرت هنا لتعليل الإشقاء وتبيـــان حقيقتـــه، وهذا ينسجم مع السياق الخاص لسورة طه ومحورها فقد بدئت بقوله تعـــالى: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ (طه : 2) وفي هـــذا المقطـــــع ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ (طه : 117) وفي آخرها ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَـــا يَـــشْقَى ﴾ (طه : 123) فتكرر لفظ الشقاء ثلاث مرات.

ولنتأمل الصلة بين هذه الآيات فإنها واضحة تماماً، فالسنَّة الخالدة من ســـنن الله تعالى هي أنه إنما أنزل وحياً وبعث رسلاً مبشرين بالإسعاد منذرين مـــن الإشـــقاء، وللهداية والإكرام قد أرسلوا لا للإضلال وقصة آدم تؤكد هذه الحقيقة فـــي خدمـــة المحور العام للسورة.

وقد بينا من قبل أن سورة **(طه)** توضح مفهوم السعادة والشقاوة فتشعر بـــالأنس والتلطف مع السعداء وتنعي على الأشقياء شقوتهم وضلالهم.

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير (318/9).

فالشقاء الحقيقي هو الشقاء في الآخرة والشقاء الحقيقي في ترك الهدى مهما ظن أن السعادة في غير ذلك[1].

(1) قد تأتي الشقاوة بمعنى التعب وكل شقاوة تعب وليس كل تعب شقاوة فالتعب أهم من الشقاوة وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[طه:117]، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن (ص 460).

المقطع الخامس
رضا اللّه أعلى درجات السعادة

عرض عام للمقطع

وسائل إدراك السعادة

العظات والعبر من المقطع الخامس

المناسبة بين المقطع الخامس وما قبله

خاتمة السورة

المعنى العام للخاتمة

كلام عن عصمة الأنبياء

الموضوعات التي انفردت بها سورة طه

الكلمات التي انفردت بها سورة طه

أوجه الشبه بين رسالة موسى ورسالة محمد عليهما السلام

معالم القصص القرآن وتطبيق ذلك على قصة موسى عليه السلام

تأملات تربوية في سورة طه

من الإعجاز العلمي في سورة طه

المقطع الخامس

رضا الله أعلى درجات السعادة

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾(طه : 128ـ132).

عرض عام للمقطع:

هذا المقطع الأخير من السورة الكريمة يدور سياق الآيات حول مصارع الغابرين وبيان العبر للمعتبرين، فإذا كانت القيامة غيباً لا تدركه الأبصار فهذه مشاهد من واقع الهالكين ماثلة أمام الناظرين، المساكن خاوية لم تُسكن من بعدهم إلا قليلاً، شعوب قد حصدت فلم يخلفها إلا آثاراً.

فمال هؤلاء القوم لا يهتدون ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ (طـه : 128) ولولا أن الله وعدهم ألا يستأصلهم بعذاب الدنيا لحكمة عليا لحَلَّ بهم ما حل بالقرون

الأولى ولكنها كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى أمهلهم إليه: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (طه : 129).

وإذا كانوا مؤخرين إلى أجل ممهلين رويداً فلا عليك ــ يا محمد ــ مــنهم ولا مما أوتوه من زينة الحياة الدنيا وزهرتها، وعليك بالصبر والتــسبيح آنــاء الليــل وأطراف النهار ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (طه : 130).

فالرضا ثمرة التسبيح والعبادة، ولا تمدن عينيك معجبــاً إلــى أحــوال الــدنيا والمتمتعين بها، من المآكل والمشارب والمناكح والملابس والبيوت المزخرفة فــإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا.

فإذا ذكرت هذا فوازن بينه وبين رزق ربك العاجل والآجل فسوف يظهر لــك الفرق.

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ ﴾ (طــه : 132) فأول واجبات الرجل المسلم الصلاة فحث أهلك عليها وعلمهم أمورها ومتعلقاتها، واصطبر عليهــا بإقامتهــا بحــدودها وأركانهــا وخشوعها.

والله تعالى هو المتكفل بالرزق لجميع الخلائق فكيف بمن قام بــأمره واشــتغل بذكره ورزق الله تعالى للتقاة وغيرهم فينبغي الاهتمام بما يجلب السعادة الأبدية وهو التقوى.

ولذلك قال تعالى: ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(طه : 132).

وقرب ختام السورة يعود بالحديث إلى أولئك المتعنتين المكابرين الذين يقترحون الآيات المعجزة وإلا فآيات القرآن كافية لمن أراد الهداية فقد فصل القرآن ما أجملته الصحف الأولى وقد أعذر الله للمكذبين فأرسل إليهم خاتم المرسلين ﷺ فلم يبقَ لهــم حجة بعد الرسل حتى يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً ولم يعد لهم عذر فما عليك يا محمد إلا أن تنفض يدك منه فلا تشقى بهم ولا تذهب نفسك عليهم حــسرات لعــدم إيمانهم وأعلن أنك متربص بهم ذلك المصير فليتربصوا هم كيف يشاءون.

وسائل إدراك السعادة:

إن مقومات السعادة تكمن في إرضاء الله تعالى والعمل بما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزَجَر ولقد جاءت خاتمة السورة ببيان وسائل إدراك السعادة وهي :

1ــ التقوى.

2ــ الاعتبار بمن هلك من الأمم والقرون السالفة.

3ــ الصبر.

4ــ التسبيح آناء الليل وأطراف النهار.

5ــ عدم الاغترار بزينة الدنيا وزهرتها.

6ــ الأمر بالصلاة للأهل وعدم الاكتراث كثيراً للرزق.

العظات والعبر من المقطع الخامس:

1ــ تقرير مبدأ أن العاقل من اعتبر بغيره.

2ــ بيان فضيلة العقل وشرف صاحبه وانتفاعه به.

3ــ وجوب الصبر على دعوة الله والاستعانة على ذلك بالصلاة.

4ــ بيان أوقات الصلوات الخمس والحصول على رضا النفس بثوابها.

5ــ يجب عدم تعلق النفس عند أهل الكفر من مال ومتاع وزينة لأنهم ممتحنون به.

6ــ يجب الرضا بما قسم الله للعبد من رزق انتظاراً لرزق الآخرة الخالد الباقي.

7ــ وجوب الأمر بالصلاة بين الأهل والأولاد والمسلمين والصبر على ذلك.

8ــ فضل التقوى وكرامة أصحابها وفوزهم بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

9ــ إقام الصلاة بين أفراد الأسرة المسلمة ييسر الله تعالى به أسباب الرزق وتوسعته عليهم[1].

(1) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير (ص 767).

المناسبة بين المقطع الخامس وما قبله:

يظهر لنا من خلال النصوص الكريمة تداخل عجيب كتشابك عدد مـــن الأيـــدي بمقدار عدد من النصوص.

فبداية هذا المقطع قوله تعـــالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ **(طه : 128).**

وقد تبين لنا من خلال السورة كيف أهلك الله فرعون وملأه وأغرقهم في اليم.

وقوله تعالى: ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾**(طه : 128)** ومساكنهم باقية وآثـــارهم لازالـــت ماثلة أمام الجميع بل لقد نجاه الله ببدنه ليكون لمن خلفه آية وعبرة.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ **(الحجر : 75)**، في الآيات إشارة إلى سعة رحمة الله تعالى حيث أمهل الكافرين من أمة محمد ولم يعذبهم عذاب استئصال فقال تعـــالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ﴾**(طـــه : 129)** وهذا إكرام لرســـول الله ﷺ ورحمة لأمته وهذا يتناسب مـــع أول الـــسورة ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ **(طه : 2).**

في الآيات دعوة إلى الصبر على ما يقوله المشركون مما يشير بوضـــوح إلـــى مكية السورة وإلى الخطاب المتعدد لرسول الله ﷺ في أمور الدعوة والذي ســـبق أن بيناه عند الحديث عن الربط بين أول السورة وخاتمتها.

في آيات هذا المقطع أيضاً دعوة إلى عدم الافتتان بالدنيا وزهرتها وأصل هـــذا الافتتان الشيطان ﴿ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾**(الأعراف: 27).**

وقبل هذا المقطع كان الحديث عن قصة آدم عليه السلام وفتنة إبليس وإغوائه لآدم حتى أكل من الشجرة.

وحقيقة العاقبة أنها كل ما يعقب أمراً ويقع في آخره من خير وشر إلا أنها غلب استعمالها في أمور الخير[1] وقد ناسب نهاية السورة ونهاية هذا المقطـــع أن تخـــتم بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(طه : 132).

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير (243/8).

خاتمة السورة:

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥ ﴾(طه : 133-135).

المعنى العام للخاتمة:

ختمت سورة طه ببيان اقتراح المكذبين للرسول ﷺ بقولهم : "**هلا يأتينا بآية من ربه**" وهذا تعنت منهم وعناد وظلم فإنهم هم والرسول بشر عبيد لله فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهواءهم وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته هو الله[1].

ثم إنهم يكذبون ويفترون حين زعموا أنه لم تنزل عليهم آيات من ربهم أولم يكفهم معجزة القرآن الخالدة التي فيها بينة ما في التوراة والإنجيل والكتب السابقة.

ولو أن الله عجَّل لهم العقوبة وأهلكهم قبل أن يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين لقالوا يوم القيامة : **(يا ربنا هلا كنت أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا حتى نتبع آياتك من قبل أن نذل بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار؟)**[2].

قل يا محمد لهؤلاء المكذبين كلٌ منا ومنكم منتظر وستعلمون غداً من كان منا على الهداية ومن كان على الضلالة.

مناسبة الخاتمة لما قبلها:

بعد أن أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله المشركون وأمره بأن يَعدِلَ إلى التسبيح والتحميد، وأتبع ذلك بنهيه عن مد عينيه إلى ما متَّع به القوم، ذكر هنا بعض أقاويلهم الباطلة، ومنها ادعاؤهم أن القرآن ليس بحجة ولا معجزة تدل

(1) السعدي : تيسير الكريم الرحمن (40/2).

(2) وهبة الزحيلي : التفسير المنير (313/16).

على نبوة محمد ﷺ، ثم أوضح لهم أنهم يوم القيامة سيعترفون بأنه آية بينة، وأنه لو أهلكهم لطلبوا إرسال رسول، ثم هددهم وأوعدهم بما سيؤول إليه الأمر في المستقبل ويتميز المحق من المبطل[1].

كلام عن عصمة الأنبياء:

أحب أن أتناول جانباً مما يورده القرآن الكريم من كتاب الله لأصفيائه من خلقه وذلك لئلا يتسرب للنفوس شيء من وساوس الشيطان تجاه عصمة الأنبياء والمرسلين، ولكيلا تهتز الصورة المشرقة في أذهان المؤمنين عن رسل الله الكرام.
إن ما يرد في القرآن الكريم والذكر الحكيم من عتاب لبعض الأنبياء والمرسلين نلحظ فيه ثلاثة جوانب:

أولها: إثبات بشرية هؤلاء الأنبياء وأنهم وإن بلغوا قمة الكمالات البشرية فلا تزول عنهم صبغة البشر المخلوق الذي تتنازعه الطاقات والقوى المودعة فيه، فإن صلتهم بالملأ الأعلى، وسعيهم الحثيث لتطبيق ما يوحى إليهم، والمسارعة إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى يجعل منهم قدوة لأتباعهم في الإيمان والعمل الصالح إلا أن دواعي الحاجة الإنسانية من طعام وشراب ومشي في الأسواق للكسب والمعاش، وعدم الإطلاع على الغيب ومستقبل الأيام، وما يعتورهم من مرض ونسيان وضعف في القوى الجسمية كل ذلك يؤكد بشريتهم، فلا يستطيعون النجاة منها، وإلى هذا الجانب أشار القرآن الكريم في دحض شبهه من زعم أن عيسى وأمه إلهين من دون الله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ

(1) وهبة الزحيلي : التفسير المنير (312/16).

كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (المائدة: 72ـــ75) فبلوغ الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه الـــدرجات العليا من القربى والطاعة لا تخرجهم من طبيعة البشر ولا يجوز اتخاذهم شركاء مع الله سبحانه وتعالى.

وقد ضلت الأمم السابقة في هذا الأمر فاختلطت عليها المقـــاييس، فبلـــغ مـــن تقديسهم لأنبيائهم وصالحيهم أن عبدوهم من دون الله، كما فعلت النصارى فـــضلوا وأضلوا.

وأبرزت بعض الأمم جانب البشرية فيهم وضخمته ونفت عنهم المزايـــا التـــي يتميزون بها عن غيرهم، فنسبت إليهم كل نقيصة ظلماً وزوراً فضلوا وأضلوا، كما فعل اليهود في سير أنبيائهم.

والمنهج العدل أن يُعتقد في اصطفائهم من البشر لحمل رسالة ربهم وتبليغها إلى الناس على خير وجه، وصلتهم بالملأ الأعلى وتلقيهم عن طريق الوحي إليهم، وهي مكانة لا تدانيها مكانة غيرهم من البشر.

إلا أنهم يبقون من البشر ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ (الكهف : 110).

فوجود النسيان والسهو من بعض الأنبياء تأكيداً لهذا الجانب، من غير أن يؤثر على مكانتهم الرفيعة عند ربهم ومولاهم جل جلاله.

ثانيها: جانب تربوي تعليمي، إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يمثلون قمـــة العبودية لله تعالى، وهم القدوة لغيرهم في ذلك.

كما أن سيرهم الذاتية هي النبراس لغيرهم أثناء السير إلى الله تعالى، فلئن وقـــع منهم بمقتضى الطبيعة البشرية ما يعاتبون عليه ســـرعان مـــا يرجعـــون إلـــى الله ويلجئون إلى عفوه ومغفرته ويتفيئون ظلال رحمته ورضوانه.

إنَّ في رسم معالم التوبة والاستغفار واستدرار الرحمة والرضوان مـــن خـــلال سيرة الأنبياء تشريعاً للأمم، ولو لم تكن هذه الوقائع في سيرهم فـــأنى للمـــذنبين أن يدركوا طريق الإنابة إلى ظلال رحمة ربهم.

إن في توبة آدم عليه السلام ولجوئه إلى ربه بالإبتهال: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف : 23).

وفي استسلام نوح عليه السلام لربه ورجوعه إليه وإيثار رضوانه على ما تطلعت إليه نفسه بشأن ابنه أكبر المعالم التربوية إلى يوم القيامة.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (هود : 47).

وفي ابتهال ذي النون في بطن الحوت ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء : 87) زاد لمن سدت في وجهه السبل، وفي تضرُّع موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (القصص : 16)، باب للتائبين المستغفرين وفي إنابة داود عليه السلام واستغفاره وإقباله على ربه بالطاعة والعبادة إدراك للصلة بين العبد وخالقه ومولاه ومالكه ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ (ص : 24 -25).

لو تُرِكَ البشر يشرعون لأنفسهم طريق التوبة والإنابة والاستغفار لما اهتدوا إلى رضوان ربهم، ولضلوا كما ضل من شرع لنفسه شؤون حياته الدنيوية.

إن "**الدعاء هو العبادة**"[1] والشرائع التعبدية كلها من الله سبحانه وتعالى ولـــيس لأحد أن يشرع لنفسه.

والمقربون إلى الله سبحانه وتعالى يدركون ما يليق بالذات القدسية من كمـــالات وما تنزه عنها الذات القدسية من نقص ومحال، والبشر عاجزون عن ذلك فما يكون كمالاً في حق البشر قد يكون نقصاً محالاً على الذات الإلهية.

إن وجود الولد والزوجة والقرين والشريك من متطلبات الحياة الإنسانية وتعتبر من الكمالات البشرية ومَنْ عُدمها اشتكى من نقص في نفسه، أما بالنسبة لله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴾ **(مريم : 88ــ93)**.

ثالثها: إن من يمعن النظر في الأقوال والأعمال التي عوتب عليها الأنبيـــاء صلوات الله عليهم يجدها لا تخرج عن دائرة الأقوال والأفعال التي تدخل في دائـــرة الاجتهاد وورود الاحتمالات عليها، والموقف الذي اتخذه النبي في الغالب يكون مما يقال عنه أن الأولى كان الوجه الآخر، إلا أن هذه الأولوية لا تدرك إلا بعد التنبيـــه الرباني، ولا يمكن الاستدلال عليها بالظاهر والأسباب المتاحة عند وجـــود الحادثـــة وإلا لأدى إلى ارتكاب النبي المخالفة الواضحة وهم منزهون عن ذلك[2].

وإذا كان العتاب يرد على خلاف الأولى، والتهديد يرد علـــى الأمـــر المفـــروض غيـــر الواقع[3].

---

(1) رواه أحمد في مسند وابن أبي شيبة : المصنف، والبخاري : الأدب المفرد وصححه الألباني : صحيح الجامع بـــرقم (3407).

(2) مصطفى مسلم : مباحث في التفسير الموضوعي (ص 263-265).

(3) كما في قوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ)[الحاقة:44-47] وكقوله تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ)[الزمر:65].

كان هذا الكلام عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ألحقه الباحث بتفسير ســـورة طـــه لأنها اشتملت على ذكر نبيين كريمين قد وقع منهما ما يمكن لـــضعاف الإيمـــان أن يعدوه منقصة في حق أبي البشر وكليم الرحمن عليهما السلام وحاشاهما.

الموضوعات التي انفردت بها سورة طه:

هنالك موضوعات متعددة قد امتازت بها سورة طه عن باقي سور القرآن الكريم وبخاصة في قصة موسى عليه السلام والتي جاء ذكرها في أكثر من ســـورة لـــذلك رأى الباحث أن يذكر هذه الموضوعات محاولاً أن يضع تفسيراً لسبب هذا التميز.

1ــ انفردت سورة طه بأمر الله تعالى لموسى أن يخلع نعليه وقت المناجاة فـــي الواد المقدس، حيث قال تعالى : ﴿ **إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى** ﴾*(طه : 12).

وقد ذكر المفسرون أسبابا لهذا الأمر الإلهي منها:

أ- ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس، قاله على بن أبي طالب والحـــسن وابـــن جريج.

ب- لأن نعليه كانتا من جلد حمار ميت[1] قاله كعب وقتادة وعكرمة.

والخلع: هو فصل شيء عن شيء كان متصلاً به وكأنه أمر وتهيـــؤ لموســـى عليه السلام للقيام بالرسالة ليلقي نعليه جانباً ويهتم بإبلاغ المهمة التي كلف بها، ولما كانت هـــذه السورة مكية وكانت الدعوة في مهدها كانت إشارة إلى رســـول الله ﷺ أن يـــستعد ويتهيأ لما سيلقاه في طريق دعوته كما في قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ** ﴾ (المدثر 1-4).

والحكمة من خلع النعلين قد تكون للأسباب السابقة وقد تكون لغيـــر ذلـــك والله أعلم.

---

* طوى : اسم للوادي لأن موسى عليه السلام قد طواه ليلا وقيل لأنه قدس مرتين وقيل بمعنى طأ الأرض بقدمك ، الماوردي : النكت والعيون (396/3) ، قال ابن عاشور : والظاهر عندي أن (طوى) اسم لصنف من الأودية يكون ضيقا بمنزلة الثوب المطوي أو غائرا كالبئر المطوية... ، ابن عاشور : التحرير والتنوير (198/8).

(1) قد ورد هذا الأثر مرفوعا عند الترمذي (206/1) من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث غريب ، وقال الطبري (144/16) في إسناده نظر يجب التثبت منه.

2ــ ومما انفردت به سورة طه سؤال الله تعالى لموسى عما بيمينه وإجابة موسى سؤال ربه قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ (طه : 17،18).

وسؤال الله لموسى لم يرد في أي سورة من السور التي ذكرت قصة موسى عليه السلام والله تعالى يعلم الإجابة ولكن لزيادة الاهتمام وزيادة الطمأنينة في قلب موسى وقرة لعينه وتقوية لإيمانه[1]

وهذا مناسب مع جو السورة العام حيث التلطف والتأنيس.

وفي قوله (أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي) ذكر منفعتين:

الأولى: لجنس الآدمي وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه فيحصل فيها معونة.

والثانية: منفعة للبهائم بخبط الشجر كي ينزل الورق فيرعاه الغنم.

يقول السعدي: هذا الخلق الحسن من موسى عليه السلام الذي من آثاره حسن رعاية الحيوان البهيم والإحسان إليه.

وأضاف الباحث: أن في هذا أيضا إشارة إلى محمد ﷺ أن يهيئ نفسه وأصحابه وهو في العهد المكي إلى مرحلة أخرى تحتاج فيها الأمة إلى من يرعاها ويحنو عليها ويهيئ لها سبل السعادة في الدنيا والآخرة.

3ــ تحدد سورة طه الزمان الذي عيّنه موسى عليه السلام لفرعون وجنوده وهو يوم الزينة وفي وقت الضحى بالتحديد.

حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ (طه : 59)

ولا غرابة أن تختص سورة طه بهذا، لأنه الموعد المرتقب الذي يذل فيه أهل المعصية وينكشف زيفهم وحقيقة ما صنعوه ويظهر الحق ويعلو فيمتاز السعداء عن الأشقياء.

---

(1) السعدي : تيسر الكريم الرحمن (9/2).

4ــ كما بينت سورة طه أن فرعون هو الذي تولى بنفسه جمع السحرة من قرى مصر المختلفة وجمع الكيد وآلات السحر ثم أتى بهم وقيل كانوا أربعمائة وقيل أكثر من ذلك[1].

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ (طه : 60،61).

وكذلك بينت السورة تحذير موسى عليه السلام لهم من عذاب الله ونقمته وخيبة المفترين.

وهنا يتضح لنا أن رؤوس الكفر وأئمته لا يكتفون بتكليف غيرهم في كل المهمات وإنما يباشرونها بأنفسهم زيادة في الطغيان.

وفي المقابل فإن أهل الإيمان وأئمة الهدى هم الذين يتصدون لهم ويقرعون قلوبهم وأسماعهم بالحق.

فمعسكر الأشقياء متمثل في فرعون ومعسكر السعداء متمثل في موسى عليه السلام والسورة الكريمة تجلي هذه الحقائق.

5ــ اختصت سورة طه كذلك ببيان تنازع السحرة وتناجيهم سراً وإصدارهم قراراً يقضي بضرورة الإصرار على المواجهة.

قال تعالى: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ (طه : 62-64).

قال الرازي: في قوله تعالى: **(وأسروا النجوى)** ذكروا وجوهاً:

أحدها: إنهم أسروها من فرعون للرغبة في اتباع موسى إن كان غالباً.

(1) الرازي : الفتح الكبير (64/22).

الثاني: إنهم أسروا النجوى من موسى وفرعون ونجواهم هو قــولهم **(إِنَّ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ)**.

الثالث: إنهم أسروا النجوى من موسى وهارون ومن فرعون وقومه أيضا وكــان نجواهم أنهم كيف يجب تدبير أمر الحبال والعصي وعلى أي وجه يجب إظهارهــا فيكون أوقع في القلوب وأظهر للعيوب[1].

والذي يراه الباحث راجحاً هو الرأي الثالث لموافقته سياق الآيات القرآنية فــإن السحرة قالوا بعــد ذلــك: ﴿ **فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ** ﴾ **(طــه : 64)** ولأن السرية والإخفاء في مثل هذا المقام أنجح لهم لأن أمــور السحر تقوم على ذلك.. والله أعلم.

6ــ جاء التصريح في سورة طه بأولية الإلقاء قال تعالى: ﴿ **قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟** ﴾ **(طه : 65،66)**.

كما تختص سورة طه ببيان حرف الإضراب "**بل**" وتبين ما حدث لموسى نتيجة إلقائهم الحبال والعصي بينما الذي تبينه سورة الأعراف أنهم سحروا أعــين النــاس واسترهبوهم أما سورة الشعراء فلم تعرض لشيء من هذا[2].

7ــ اختصت سورة طه من بين السور جميعاً ببيان ما حدث لموســى عليه السلام مــن الإيجاس في نفسه خيفة، قال تعالى: ﴿ **فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ** ﴾ **(طه : 67،68)**.

قال الزمخشري: كان ذلك لطبع الجبلة البشرية، وأنه لا يكاد يمكن الخلــو مــن مثله، وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه[3] وهذا في نظر الباحث أرجح لأنه عليه السلام لا ينبغي له أن يخاف من هذه الثعابين المخيلة وقد تدرب على رؤية تلك الحية

(1) الرازي : التفسير الكبير (64/22)
(2) فضل عباس : القصص القرآني (ص 246).
(3) الكشاف (455/2).

العظيمة ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾(طـه : 68) يعني ذلك أن خوفه إنما كان خوفا ألا يغلب لا خوفا من الحيات الموهومة.

8ـ انفردت سورة طه بحديث السحرة الذي زاد عما في سورتي الأعراف والشعراء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (طه : 74-76).

يرى الباحث في هذه الآيات احتمالين :

الأول: أن يكون هذا من كلام الله تعالى تعقيبا على كلام السحرة وتكميلا لما قالوه، ويعني هذا أن كلام السحرة قد انتهى عند قولهم **(وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ)** أو أنه انتهى عند قولهم **(وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ)**.

وعلى هذا الاحتمال نقول: إن السحرة لم يجتمعوا بموسى عليه السلام ولم يلتقوا به سرا حتى يعرفوا حقيقة الإيمان بالتفصيل وما أعده الله للمؤمنين من الدرجات العلا والنعيم المقيم وما أعده للمجرمين من النار والعذاب الأليم.

الثاني: أن يكون هذا كلاما مستأنفا من كلام السحرة ومعنى ذلك أن موسى عليه السلام، قد اجتمع بهم في لقاءات سرية متعددة وشرح لهم حقيقة الإيمان بالله عز وجل على وجه التفصيل وما يترتب على ذلك من الثواب وبيان مصير المخالفين المجرمين.

وعلى الاحتمال الأول: يكون قول فرعون : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾(الأعراف : 123)، وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾(طـه : 71)، افتراء وكذب ومحض اتهام فقط لا حقيقة له.

وعلى الاحتمال الثاني: يكون قول فرعون السابق بناءً على ما وصله من أخبار بهذه الاجتماعات السرية التي كان يعقدها موسى عليه السلام ليعلِّم الناس التوحيد الخالص.

القول الراجح:

والباحث يميل إلى الاحتمال الثاني وهو أن يكون قد تـــسنى لموســـى عليه السلام أن يجتمع بالسحرة اجتماعات مغلقة لتعليمهم الدين، وقد يكون ذلك في فتـــرة الإرجـــاء التي اقترحها السحرة قائلين **(أرجه وأخاه)**، وهذا مناسب، وإلا كيف سيعرف السحرة كل هذا التفصيل والشرح لحقيقة الإيمان دون أن يتعلموه من موسى عليه السلام ؟

وهل تكفي الموعظة التي وعظها موسى عليه السلام على الملأ وهي قوله: ﴿ **وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ** ﴾(طه : 61).

هل تكفي هذه لأن يفهموا حقيقة الإيمان مفصلا ؟

أظن أن ذلك بعيد والله أعلم.

9ــ ومما اختصت به سورة طه **(الحديث عن السامري)** حيث استوعبت قـــصته من الآية 83 إلى الآية 98 .

ولعل السر في اختصاص سورة طه بذكر السامري :

أولا: أن السورة قد بدأت آياتها بالحديث عن المناجاة عند جبل الطور وختمـــت بقصة السامري الذي أغرى بني إسرائيل وأضلهم في فترة غياب موســـى لملاقـــاة ربه.

ثانيا: أن السورة قد ذكرت رأسين في الضلال هما : فرعون والـــسامري أمـــا فرعون فقال عنه: ﴿ **وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ** ﴾(طه : 79).

وأما السامري فقال عنه: **(وأضلهم السامري)**.

وقد جاء في المقابل في السورة ذكر إمامين في الهداية ورسولين كريمين همـــا موسى وهارون اللذان كان لهما شأن مع رأسي الضلال.

10ــ كل ما ورد في القران بصيغة السؤال كان الجواب عنه بـــ **(قل)** بلا فـــاء إلا في سورة طه فقد اقترن الجواب بالفاء في قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا** ﴾ (طه : 105).

فقد وردت بالفاء وقد تكون الحكمة كما قال الجمل*: إن الجواب في الجميع كان بعد وقوع السؤال وفي طه كان قبله ، إذ تقديره إن سئلت عن الجبال فقــل ينــسفها ربي نسفاً[1].

ومما اختصت به سورة طه أن الله تعالى لم يأمر رسوله محمد ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم[2].

وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾(طه : 114).

11ــ ولما كان العلم النافع يوصل إلي طريق السعادة والفلاح فقــد ناســب أن تختص هذه السورة الكريمة بطلب الزيادة منه فإن جو السعادة كما قلنا سابقاً يخــيم على جنبات هذه السورة من أولها إلي آخرها.

12ــ اللون الجديد لقصة آدم في سورة طه وقد كان التركيز فيها على عــداوة إبليس لآدم وزوجه والشقاء في إخراجهما من الجنة بعد أن توفرت لهما سبل الراحة والسعادة فيها، ووسائل الشيطان لإغواء آدم عليه السلام.

ولربما كان هذا اللون بالذات قد اختصت بــه الــسورة الكريمــة دون غيرهــا للمناسبة بينه وبين محور السورة فقد جاء التعبير عن الكد والسعي فــي تحــصيل الرزق بالشقاء وقد يكون فيه إشارة إلى شقاء من بعد عن مــنهج الله ووقــع فــي معصيته.

كانت هذه مجموعة من المميزات والخصوصيات انفردت بها سورة طــه عــن غيرها من سور القرآن الكريم وقد حاول الباحث أن يضع تفسيراً لهذه الخصوصيات والتميزات ويفتح باباً لمن أراد أن يلج إلى أعماق القرآن الكريم ويقف على أسراره ومكنوناته.

---

* هو سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري المعروف بالجمل من أهل منية عجيل الغربية بمصر ومن مؤلفاتــه الفتوحات الإلهية ــ حاشية على تفسير الجلالين ــ والمواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية توفى سنة 1204 هــ.
الزركلي : الأعلام (193/3) كحالة : معجم المؤلفين (271/4).

(1) الفتوحات الإلهية (228/1).

(2) الزمخشري : الكشاف (555/2).

ألفاظ اختصت بها السورة:

تفردت سورة طه بإيراد ألفاظ لم ترد في غيرها من السور من هذه الألفاظ :

- **ٱلثَّرَىٰ**: وردت في قوله تعالى : ﴿ **لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ** ﴾ (طه : 6).

والثرى: هو التراب الندي أي الذي فيه نداوة فإن لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له ثرى[1].

وسيكون لنا بمشيئة الله وقفة مع الإعجاز العلمي في هذه الآية.

- **فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ**: وردت في قوله تعالى: ﴿ **إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى** ﴾(طه : 12).

والخلع: النزع.

والنعل: ما جعلته وقاية لقدميك من الأرض.

وقد اختلف العلماء في السبب الذي لأجله أمر موسى بخلع نعليه:

- **فقيل:** أمر بطرح نعليه لأنها نجسة إذ هي من جلد غير مذكى أو من جلد حمار ميت.
- **وقيل** لينال بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربة الوادي.
- **وقيل** للتواضع والخشوع عند مناجاة الله.

والعرف عند الملوك أن تخلع النعال ويبلغ الإنسان إلى غاية التواضع[2].

ولكن الأول لا يصح فقد ذكره الطبري منسوباً إلى قتادة وأشار إلى أنه لم يثبت[3] كما مر معنا سابقاً.

فيكون السببان الآخران وهما نيل بركة الوادي والتواضع هما اللذان لأجلهما أمر موسى بخلع نعليه ، والله أعلم.

---

(1) حاشية الصاوي على الجلالين (46/3) وهو كذلك في اللسان ماده (ثرا).

(2) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (181/11).

(3) الطبري : جامع البيان (144/16).

▪ **أَهُشُّ:** وردت في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ (طه : 18).

وقرأ عكرمة والنخعي[1] **(أهش)** بسين غير معجمة وفي الهش والهس وجهان:

أحدهما: أنها لغتان معناهما واحد.

والثاني: أن معناهما مختلف ، فالهش بالمعجمة : خبط الشجر ، والهس بغير المعجمة زجر الغنم.

▪ **حَيَّةٌ:** وردت في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾(طه : 20).

قيل هي مشتقة من الحياة ويجوز أن تكون من التحوي لانطوائها والحية هي الحنش المعروف[2].

والحية اسم حنش يطلق على الذكر والأنثى والصغير والكبير وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم بلفظ الثعبان والجان.

قال الزمخشري: "ليس بينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق" وفسر ذلك بوجهين :

احدهما : أنها كانت وقت انقلابها حية دقيقة ثم أخذت تتورم ويتزايد جرمها حتى صارت ثعباناً.

الثاني: أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة الجان[3].

▪ **ٱلسَّاحِلِ:** وردت في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾(طه : 39).

---

(1) الألوسي : روح المعاني (175/16) وفتح القدير (450/3).

(2) ابن منظور : اللسان مادة (حيا).

(3) الزمخشري : الكشاف (534/2) ووافقه البقاعي : نظم الدرر (16/5) والصاوي : حاشيته (49/3).

والمراد بالساحل شطر البحر وسمي ساحلاً لأن الماء سحل أرضه أي قشر عنها سطحها بأمواجه ومده وجزره[1]، والمراد به في هذه الآية جانب الساحل من النهر، لا الساحل نفسه، أو طرف الساحل الذي تتوقف عنده الأشياء التي يحملها الماء[2].

- **تَنِيَا:** وردت في قوله تعالى: ﴿ **ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى** ﴾ **(طه : 42).**

يقال: وَنِيَ في الأمر ضعف وفتر، ومنه النسيم الواني: الضعيف الهبوب.

ومعنى لاتنيا في ذكري : تواني في الأمر توانيا لم يبادر إلى ضبطه ولم يعتم به فهو متوان أي غير مهتم ولا محتفل.

وقد جاءت الكلمة في القرآن الكريم في هذه السورة منفية وقد يكون ذلك لعله وهي: أن الدعوة إلى التوحيد والإيمان قد يصيبها شيء من الضعف والفتور والكلل والإعياء فنبه الله تعالى الدعاة لا يصيبهم هذا وهم في رحلتهم الدعوية وعليهم دائما بتجديد نشاطهم والاستعانة بذكر الله تعالى فهو خير معين لهم.

- **يُخَيَّلُ:** وقد وردت في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ** ﴾**(طه : 66).**

والتخيل: "هو في اللغة التلبيس والتشبيه والتأثير على المخيلة في الدماغ بوسائل خداعية لا تغير من الواقع الحق شيئاً، وتقتصر على إحداث صور وطيوف كواذب ليس لها حقيقة في الواقع، وإنما هي تأثيرات سحرية على الأعين فيما تشاهد.

فهي إذا صورة من الخداع البصري قام به السحرة فأوهموا الحاضرين أن حبالهم وعصيهم ثعابين تسعى مع أنها في الحقيقة ما زالت حبالاً وعِصياً لم يتغير شيء من حقيقتها"[3].

---

(1) ابن منظور : اللسان مادة (سحل) (517/4) والراغب : المفردات (ص402).

(2) عبد الرحمن الميداني : معارج التفكر (92/8).

(3) عبد الرحمن الميداني : معارج التفكر (172/8).

- **ٱلسَّامِرِيُّ:** وردت في سورة طه ثلاث مرات :

الأولى : في قوله تعالى : ﴿ **وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ** ﴾(طه : 85).

والثانية : في قوله تعالى : ﴿ **فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ** ﴾(طه : 87).

والثالثة : في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ** ﴾(طه : 95).

وقد ورد في القرآن اشتقاق لهذه الكلمة في قوله تعالى : **(سامرا تهجرون)** غير أن **(السامري)** هو علم على شخص بعينه لذلك عده الباحث ضمن هذه الكلمات.

وقالوا عنه كان السامري من قوم يعبدون البقر فدخل في دين بنى إسرائيل نِفاقاً وفي قلبه ما فيه من عباده البقر وكان من قبيلة تعرف بالسامري ونفي بعـــضهم أن تكون هناك قبيلة من بني إسرائيل تدعي السامري.

قال أبو بكر الجزائري: "وإنما السامرة أمة من سكان فلسطين في جهة نابلس قبل أن تكون فلسطين لبنى إسرائيل تم امتزجوا ببني إسرائيل لما دخلوها واتبعوا شريعة موسى، وبما أن السامري كان في مصر جائز أن يكون من قريـــة بمـــصر تسمى سامرة، والمراد من هذا أن السامري لم يكن من بني إســـرائيل أصـــلاً؛ ثـــم بمرور الأيام وجدت طائفة من بني إسرائيل تدعى السامرية..." [1].

- **لِحْيَتِي:** وردت في قولـــه تعـــالى: ﴿ **قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي** ﴾(طه : 94).

واللحية: اسم يجمع من الشعر ما نبت على الخدين والذقن والجمع لِحـــىً و لُحـــىً، ولحيانى: طويل اللحية[2] وقد كان هارون عليه السلام كذلك ولعل من التلطف الذي تـــدور حوله سورة طه ذلك الاستعطاف الذي أبداه هارون في نهي أخيه عن جذب لحيتـــه والمناسبة اللطيفة لذكر اللحية في هذه السورة مع ملاحظة أن الـــسورة لـــم تـــذكر

(1) أيسر التفاسير، (ص757).

(2) ابن منظور : اللسان (57/8).

(الجرّ)، الذي ذكرته سورة الأعراف في قولـــه تعـــالى: ﴿ **وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ** ﴾ **(الأعراف : 150)**.

فإن الجر فيه شدة تتنافى مع التلطف الذي امتازت به سورة طه.

- **زُرْقًا:** وردت في قوله تعـــالى: ﴿ **يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا** ﴾ **(طه : 102)** وقد مر تفسير الزرقة والمراد منها و لقد كانت العرب أشد بغضاً للعيون الزرقاء قيل لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون[1].

مع ملاحظة أن القرآن الكريم قد ذكر أساس الألوان وأصلها وهي:

"**الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأزرق والأخضر**".

وقد ذكرت سورة طه لونين من هذه الألوان : الأزرق الذي ذكرناه والأبيض في قوله تعالى: ﴿ **تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ** ﴾ **(طه : 22)** ولعل ما بين هذين اللونين من مقابلة فالأبيض أحب الألوان إلى الله وإلى رسوله والعرب كانت تحـــب اللون الأبيض والأزرق أبغضها إليهم كما مر معنا، فلعل في ذلك مناسبة للمقابلة بين حال السعداء وحال الأشقياء الذي حوته السورة الكريمة.

- **أَمْتًا:** وردت في قوله تعالى: ﴿ **لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا** ﴾ **(طه : 107)**.

والأمت في اللغة : المكان المرتفع أو الروابي الصغار[2].

وقد ذكر الماوردي خمسة أقوال في الأمت[3]: "الأول : **الرابية**، الثاني : **الأكمة**، الثالث : **الأثر**، الرابع : **الجذب والانتفاء**، الخامس : **الصعود والارتفاع**"، وهي معان متقاربة تؤدي معنى الاختلاف في الأرض ارتفاعا وانخفاضاً.

---

(1) الزمخشري: الكشاف (553/2).

(2) ابن منظور: اللسان في مادة (أمت) (210/1).

(3) الماوردي: النكت والعيون (426/3).

▪ **هَمْسًا:** وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ (طه : 108).

والهمس فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الصوت الخفي.

الثاني: تحريك الشفة واللسان.

الثالث: نقل الأقدام[1].

▪ **وَعَنَتِ** وردت في قوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾(طه : 111).

وَعَنَتِ: أي ذلت وخضعت، تقول العرب : "**عنا يعنو عنواً وعناءً إذا ذل وخضع وخشع، ومنه يُقال للأسير عان، لذله وخضوعه لمن أسره**".

وقد اختلف في معنى الآية فقال بعضهم : المراد بالوجوه التي ذلت وخشعت للحي القيوم: وجوه العصاة خاصة وذلك يوم القيامة وهي كقوله تعالى: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾(القيامة : 24).

وقال بعضهم: هي وجوه المؤمنين ذلت وخضعت لله في دار الدنيا وذلك بالسجود والركوع وظاهر القرآن يدل على أن المراد الذل والخضوع لله يوم القيامة لأن السياق في يوم القيامة[2].

▪ **ضَنكًا:** وردت في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾(طه : 124).

---

(1) الماوردي : النكت والعيون (426/3).

(2) الشنقيطي : أضواء البيان (101/4).

وأصل الضنك في اللغة : الضيق من كل شيء سواء كان ضيق الرزق أو ضيق النفس، وقد يأتي الضنك من الأهل والأسرة والأولاد أو من وسائل الكسب أو مـــن أمراض وأوجاع متراكبة أو غير ذلك.

وقد يكون الضنك عذاب القبر قاله أبو سعيد الخدري وابن مسعود وقد رفعه أبو هريرة عن النبي ﷺ[1].

وقد ناسب ذكر هذه الكلمة في هذه السورة لبيان حال أهل القيامة فإنهم لو ملكوا أموال قارون فستبقى حياتهم ضنك لأنهم بعيدون عن ذكر الله تعالى.

- **زَهْرَة:** وردت في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴾ **(طه : 131)**.

والزهرة: الزينة، وزهرة الدنيا حسنها ونباتها وبهجتها وغضارتها[2].

"وقد شبَّه الله تعالى كل ما في الحياة الدنيا مما تتعلق به نفوس الناس من متاعها وزينتها، وما تهوى النفوس منها بالزهرة ذات المنظر الجميل الأخاذ بألوانها، وقـــد تكون ذات رائحة عطرية زكية، وعبير جميل تستمع به حاسة الشم، وقد تكون ذات طعم لذيذ طيب، إلا أنها سريعة الذبول، سريعة الموت والفناء.

وقد استعير لفظ **(زهرة)** للدلالة على لذات الحياة ومتعها وما تهوى النفوس منها، للتشابه بينهما في سرعة الزوال والفناء، مع ما فيها من متاع مرغوب فيه، وأضيف لفظ **(زهرة)** إلى الحياة الدنيا لتكون هذه الإضافة قرينة صارفة عـــن إرادة الزهـــرة التي تنبت في الأشجار أو في غيرها من نباتات الأرض ويُستَمتع بها استمتاعا مؤقتا بزمن قصير، إذ عمر الزهر قصير بالنسبة إلى سائر ما ينبت في الأرض"[3].

---

(1) ساقه ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (169/3) من رواية البزار وقال إسناده جيد وارجع إلى معنى الضنك عند الطبري : جامع البيان (163/16) والماوردي : النكت والعيون (431/3) وابن عطية : المحرر الوجير (113/11،112).

(2) ابن منظور : لسان العرب (420/4) مادة (زهر).

(3) عبد الرحمن الميداني : معارج التفكر (375/8،374).

ويلاحظ أن هذا الوصف لأهل الشقاوة ممن عمروا دنياهم بخـــراب آخـــرتهم، "فتراهم لاهين يتنعمون وتتهلل وجوههم وهم يخرجون في زينتهم، بخـــلاف أهـــل السعادة من المؤمنين والصلحاء الذين شحبت ألوانهم وتقشفت ثيابهم"[1].

وبهذه الكلمة تختم الكلمات التي انفردت بها سورة طه ولم تتكرر فـــي القـــرآن الكريم وقد بلغت خمس عشرة كلمة مرتبة حسب ترتيب آيات السورة الكريمة.

أوجه الشبه بين رسالة موسى ورسالة محمد عليهما السلام :

جاء في مطلع سورة طه قوله تعالى: ﴿ **وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ** ﴾(طه : 9).

وأحببت إتماماً للفائدة أن أذكر أوجه الشبه بين رسالة كل من موســـى ومحمـــد عليهما الصلاة والسلام والله تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ **وَمِنۡ قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ** ﴾(هود : 17) ولم يقل ومن قبله كتاب عيسى رغم أن الذي قبله مباشـــرة هو عيسى عليه السلام بحسب الترتيب الزمني للأنبياء والرسل.

وفي حديث البخاري يقول ورقة: "**هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى**"[2].

ومن أوجه الشبه:

1ــ أن كتاب موسى مشتمل على أكثر الأحكام مثل القرآن الكـــريم بخـــلاف الإنجيل.

2ــ كذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الأمة وهو أبو جهل بن هشام ومن معه ببدر[3] وموسى عليه السلام قد ابتلي بفرعون الطاغية الذي كثر الحـــديث عنه في القرآن الكريم.

3ــ هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة فاراً بدينه بعد أن أخرجه قومه منها وهاجر كذلك موسى عليه السلام مع المؤمنين.

---

(1) الزمخشري : الكشاف (560/2).

(2) ابن حجر : الفتح (33/1).

(3) ابن حجر : الفتح (33/1).

4ــ أرسل موسى عليه السلام لبني إسرائيل وكان له أشواط طويلة مع اليهود فـــي إنكارهم وجحودهم واستكبارهم على الله تعالى، وكذلك كان لرسول الله ﷺ مع يهود المدينة من بني قريظة، وخيبر، وبني النضير وبني قينقاع محاجـــات ومخاصـــمات وحروب لنفس السبب.

5ــ عصم الله تعالى نبيه موسى من أعدائه وأنجاه منهم، وكذلك عصم نبيـــه محمداً من أعدائه وهم الجمع الغفير والعدد الكبير في حين قتل عدد من الأنبياء على أيدي أقوامهم[1].

6ــ وإذا كان موسى عيه السلام قد ضرب الحجر بعصاه فانبجست منه اثنـــا عشرة عينا وشرب منها بنوا إسرائيل فإن محمداً ﷺ قد نبع الماء من بين أصـــابعه كما في حديث أنس "**...فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضـــأ النـــاس حتـــى توضئوا من عند آخرهم**[2]".

7ــ تشابه الإيذاء لموسى ومحمد –صلى الله عليهما وسلم– من اليهود ولقد كان رسول الله يستشهد ويتصبر كصبر موسى ومن أمثلة ذلك حينما قالت اليهود: "**السام عليكم فقالت عائشة بل عليكم السام واللعنة**".

وذلك الرجل الذي قال إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فقال رسول الله ﷺ : "**قـــد أوذي موسى بأكثر من هذا فـــصبر**"[3] وذلك حين أعطى رسول الله ﷺ أناســـاً مـــن أشراف العرب ليؤلف قلوبهم.

8ــ معية الله تعالى لم تفارق موسى عليه السلام فحين تبع فرعون وجنوده موســـى والمؤمنين ﴿ **قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ** ﴾ **(الشعراء : 62 –63).**

(1) ذكر الماوردي في كتاب "اعلام النبوة" أن عصمة النبي ﷺ تعد من معجزاته (ص 71).

(2) البخاري : الصحيح (61) كتاب المناقب (25) باب علامات النبوة فـــي الإســـلام (712/6)، (ح3573) ، ومـــسلم: الصحيح، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ (39/15)، رقم (ح9722).

(3) البخاري : الصحيح (ح7296).

وكذلك قال ﷺ لأبي بكر في الغار : "**لا تحزن إن الله معنا**" وكذلك قـــال الله لهـــذه الأمة: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ (الحديد : 4) فالذي قال: إن الله معنا نجى من الكفار فكيف لا ينجو من قال الله لهم: **(وَهُوَ مَعَكُمْ)** من عذاب النار[1].

9ـــ ذكر الله تعالى في أول سورة إبراهيم أنه أنزل القرآن علـــى محمـــد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النـــور فقـــال تعـــالى: ﴿ **الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ** ﴾

(إبراهيم : 1).

وذكر تعالى بعدها بثلاث آيات أنه أرسل موسى بآياته ليخرج الناس من الظلمات إلى النور إلى النور فقال جل وعـــلا: ﴿ **وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ** ﴾ (ابراهيم : 5).

فالرسالتان إذاً قد خرجتا من مشكاة واحدة ولنفس الهدف وهو إنقاذ الناس مـــن ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد.

10ـــ أن النبي ﷺ قد سلّم على هرقل عظيم الروم بقوله في الرسالة : "**سلام على من اتبع الهدى**" وقال موسى أمام فرعون: ﴿ **وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ** ﴾[1] (طه : **47).**

11ـــ من الجدير بالذكر هنا أن نعرف أن الله تعالى قد أكرم نبينـــا محمـــداً ﷺ بشرح صدره لحمل رسالة الإسلام من غير سؤال وأنزل عليه سبحانه في معـــرض الامتنـــان قولـــه الكـــريم: ﴿ **أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ** ﴾

(الشرح : 1،2).

---

(1) السيوطي : معترك الأقران (2/963).

(2) ابن القيم : بدائع الفوائد (409/1) والحديث أخرجه البخاري : الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب (6)، رقم (ح7).

أما موسى عليه السلام فقد شرح الله صدره بتلبية سؤله حينما دعـــا الله قـــائلاً ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ (طـــه : 25)، كذلك فقد أرى الله نبيه محمداً ﷺ من الآيات الكبرى في رحلة الإسراء والمعراج تسلية له، ومؤانسة بعد أن اشتد عليـــه الأمـــر بمـــوت زوجته وعمه اللذين كانا يؤازرانه ويواسيانه قال تعالى : ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ (النجم : 18).

وعن موسى قال ربنا سبحانه ﴿ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴾ (طه : 23).

معالم القصص القرآني وتطبيق ذلك على قصة موسى عليه السلام :

إن المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله مساحة واسعة، فما نظـــن أن موضوعاً آخر قد حظى بهذا النصيب الذي حظيت به القصة في القرآن الكريم.

فإذا كان القرآن ثلاثين جزءاً ؛ فإن القصص يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من هـــذا الكتاب الخالد، ولا عجب في ذلك، فإن القصة القرآنية لم تأت لتقرر هدفاً واحداً؛ بل إن هذا القصص كانت له أهدافه الكثيرة وغاياته المتعددة.

وإذا أردنا أن نفصل بعض التفصيل فإننا نجد أن القصص القرآني جاء:

أولاً : ليعمق العقيدة في النفوس ويبصر بها العقول ويحيي بها القلوب ويسلك لتلك القضية المهمة الخطيرة أحسن الطرق إمتاعاً وإقناعاً ؛ إمتاعاً للعاطفة وإقناعـــاً للعقل، هذه العقيدة بأسسها الكبرى ؛ الألوهية والرسالة واليوم الآخر، ولقد ركـــزت القصة القرآنية في مقام الألوهية على وحدانية الله، وعدله وقدرته وحكمتـــه وحبـــه لعباده.

وفي مجال الرسالة ركزت القصة القرآنية على الصفات الخيرة للأنبيـــاء ؛ ليكـــون للناس فيهم أسوة، وبهم قدوة فهم وإن كانوا بشراً إلا أنهم أكرموا بالوحي والرسالة، وكذلك في الحديث عن اليوم الآخر، وما يكون فيه من أحداث ﴿ **لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ** ﴾(طه : 15) وتسلك في ذلك كله أسلوب الترغيب تارة والترهيب أخرى.

ثانياً : السمو بالإنسان حتى يمتاز عن الحيوان الذي يشترك معه في بعـــض الصفات ؛ هذا السمو الذي لا يركز على جانب واحد في هذا الإنسان ؛ فهو ســـمو روحي، وخلقي، ونفسي يشعر به الفرد وتجد به حلاوته ولذته وهو بعد ذلك ســـمو اجتماعي تجد الجماعة أكثر من أسلوب للوصول بالإنسان إلى هذه النتيجة الطيبة.

ثالثاً : لقد عني القصص القرآني بجانب الرقي المادي إلى جانب الروحي لأن أسباب القوة المادية عنصر أساسي رئيس في مقومات هذا الإنسان[1].

(1) فضل عباس : القصص القرآني (ص 9،10).

رابعـاً : كان لهذا القصص عناية خاصة ببيان أسباب هلاك الأمم والجماعـــات والأفراد، وقد فصل ذلك تفصيلاً عجيباً، وهو يتحدث عن الترف والطغيان والبطـــر والظلم، والاستعباد الفكري والإرهاب والسخرية والرضا بالذل إلى غير ذلـــك مـــن الأسباب الكثيرة المبثوثة في هذا القصص.

خامـساً : فصل القصص القرآني في أسباب السعادة الروحية التي تتم للمؤمنين العاملين بتوجيهاته وإرشاداته.

سادسـاً : في هذا القصص كثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالكون والإنـــسان والحياة والأحياء في السموات والأرض والتي تزيدها الأيام وضوحاً وظهوراً.

سابعاً : هذا عدا ما في القصة القرآنية من رونق الأسلوب، وبديع النظم ومجال الصورة ؛ مما تطرب له قلوب الأدباء، وعدا ما فيها، كذلك من المواقف والتحاليـــل النفسية، والاستنتاجات الكامنة وراء الأحداث التي يجد فيها علماء النفس بغيتهم[2].

الشخصيات في القصة القرآنية:

تَغُصُّ القصص القرآنية بحشد هائل من الشخصيات **(الخيرة والـــشريرة)** قـــام القرآن بتوصيلها إلى الأذهان لتنطبع صور هذه الشخصيات في النفـــوس انطباعـــاً كاملاً عند الفراغ من قراءة قصتها..

ولعل شخصية النبي موسى عليه السلام هي أكثر الشخصيات حضوراً فـــي القـــصص القرآني، وهذه الكثرة في الحضور من شأنها أن تترك في ذهن المتمعن في قـــصة هذا النبي الكريم انطباعات واضحة محددة عن شخصية هذا النبي تصل إلـــى حـــد تكوين صورة عن بعض صفاته الجسدية والنفسية، خصوصاً وأن قصة هذا النبـــي تعد من أكثر القصص –على الإطلاق– ذكراً في القرآن الكريم، الأمر الذي يـــؤدي إلى انطباع ملامح هذه الشخصية في الذهن انطباعاً قوياً لا ينفك عنه وهو يتجـــول بين الآيات القرآنية التي تعرض مواقف هذا النبي المختلفة.

(2) فضل عباس : القصص القرآني (ص 10).

إن المتتبع لقصة موسى عليه السلام لابد وأن يكون في ذهنه الانطباعات التالية عن هذه الشخصية.

أولاً : الملامح والخصائص النفسية والأخلاقية:

قد يرى البعض من خلال تتبعه للآيات القرآنية أن موسى يُعتبر مندفعاً متسرعاً في كثير من المواقف في مراحل حياته المختلفة ومن هذه المواقف حسب الترتيب الزمني:

1ــ وكزهُ للقبطي حتى قضى عليه ومحاولة تكرار ذلك في اليوم الثاني كما تحدثت عن ذلك سورة القصص، وكان ذلك في مرحلة الشباب.

2ــ إلقاء الألواح والأخذ برأس أخيه يجره إليه[1] وكان ذلك في مرحلة الشيخوخة.

3ــ موقفه مع السامري بعدما علم فتنته.

4ــ تسرعه في خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار كما تحدثت عن ذلك سورة الكهف بالتفصيل.

والذي يراه الباحث أننا لابد أن نقف حيال الأنبياء موقف الإجلال والاحترام مُسَلِّمينَ بعصمتهم من الخطأ مبررين لهم مواقفهم هذه بما يتناسب مع اصطفاء الله لهم واختيارهم على باقي العالمين وقد فصلنا الحديث عن عصمة الأنبياء في مبحث خاص لكن ما دمنا بصدد الحديث عن مواقف يعتبرها البعض سلبية وليست كذلك فحريٌّ بنا أن نبين أيضاً مواقف إيجابية تمتع بها موسى عليه السلام ومن أبرزها:

1ــ الندم السريع والتذكر والعودة إلى الله وقد تمثل ذلك في ندمه على قتل القبطي.

2ــ هدوء ثورة الغضب وأخذ الألواح بعد إلقاءها.

3ــ المروءة والتعفف وقد ظهرت هذه الصفة بوضوح في موقفه مع ابنتي الشيخ حين بادر بتقديم المعونة لهما.

---

(1) علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن موسى عليه السلام كان متصفاً بالغضب الشديد لله تعالى وأن الظروف التي دفعته إلى اتخاذ هذا الموقف (إلقاء الألواح) وصل إلى حد بحيث إن أي إنسان لا يمكنه أن يضبط نفسه وهو يرى بأم عينيه ما يفعله بنو إسرائيل من الإلحاد ، فما تتوقع أن يفعل وهو يرى عودة قومه بكل سهولة إلى الوثنية بعد أن رأوا المعجزات الباهرة وأخرجهم موسى من مصر وقوّم نفوسهم المعوجة ؟!

هذا بالإضافة إلى الصفات الإيجابية الأخرى التي تحلى بها موسى عليه السلام صاحب الرسالة.

الملامح والصفات الجسدية :

من خلال الآيات القرآنية التي تتحدث عن شخصية موسى عليه السلام يمكننا أن نكوّن صورة عامة عن شخصيته في جانبها الجسدي، ولعل الصفة الجسدية الوحيدة التي صرح بها القرآن الكريم بشكل مباشر على لسان موسى نفسه هي عدم انطلاق لسانه وتلعثمه في النطق كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾(طـه : 25-28)، وقوله ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ **(الشعراء : 12،13).**

الصفة الجسدية الأخرى التي توحي لنا بها الآيات القرآنية، القوة التي كان موسى عليه السلام يتمتع بها فقد تولى مهاماً وقام بأعمال تحتاج إلى جسم قوي وعضلات مفتولة، فرعيُ الغنم مهمة صعبة وشاقة حيث تحتاج إلى الحركة والجري والدقة والجلد والصبر والانتباه وغير ذلك من الصفات التي اتصف بها موسى عليه السلام بحكم مهنة الرعي التي تتطلب ذلك.

إذا ما استقر في النفوس تصور عن هذه الشخصية الفريدة لا شك أنه سيقع حبها في النفوس ويتعمق أثرها كشخصية قيادية يتأسى بها الدعاة على مر الزمان.

الحوار في القصة القرآنية:

لقد أولى القرآن الكريم في قصصه اهتماماً بالغاً وعوّل كثيراً على الحوار في منح القوة والحبكة في قصصه، لتصبح حلقاته مشدود بعضها إلى بعض، ويعيش القارئ بتجربة القصة فيتنقل من عالمه إلى عالمها[1] بحيث يرى الحياة والحركة في الحدث[2].

(1) تهامي : سيكولوجية القصة في القرآن (ص 414).

(2) أمين بكري : التعبير الفني (ص 221).

ولعل أول ميزة للحوار القرآني أنه جاء بصيغة الحكاية **(قـــال- قـــالوا)** وهـــي أفضل قالب يمكن أن يُصب فيه الحوار.

والقرآن حيث يروي الأحداث يرويها دون زيادة أو نقصان ولا يناسب هـــذا إلا صيغة الحكاية ليشير القارئ بالحقيقة الخالصة والواقع المحض.

والحقيقة أن محاولة التوفيق بين الأسلوب **(الحكائي)** والعناصر الفنيـــة لكتابـــة القصة يعتبر من أصعب أنواع العمل الأدبي[1] ذلك لأن الأسلوب الحكائي يقتـــضي من القاص أن يكون مجرد آلة حاكية للأحداث دون إبراز للعواطـــف والانفعـــالات النفسية التي تعتري الشخص أثناء الحوار.

أما القرآن الكريم فقد بلغ القمة في التشويق والقدرة على الإيحاء وإثارة الصورة في الأذهان.

ولم يتقيد الحوار بصيغة معينة فمنه الخاطف السريع المختصر ومنـــه الطويـــل المفصل ولكلٍ مشربه.

ونلاحظ أن الحوار الذي جرى بين موسى وفرعون كان من النوع الأول كمـــا قال تعالى: ﴿ **قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾(طه : 49 -50).

وكما جاء في سورة الشعراء: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ** ﴾ (الشعراء : 23-26) وغير ذلك من الحوار الذي جرى بين موسى وفرعون في أول مقابلة بينهما.

فالملاحظ على هذا الحوار أنه جاء متدفقاً سريعاً متوالي فيه العبـــارات تواليـــاً سريعاً على ذهن القارئ، وهذا الحوار بسرعته وتدفقـــه جـــاء مناســـباً للظـــروف والملابسات النفسية التي كانت تحكم الموقف، فالموقف كان موقف جـــدال ونقـــاش

(1) عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني (ص 123).

لإثبات صدق الدعوة الإلهية والروح التي كان يجادل بها فرعون موسى عليه السلام كانت روحاً استعلائية هدفها إفحام موسى وتصيد الهفوات والأخطاء عليه.

ولذلك كان فرعون يحاول أن يوقع موسى في أسئلة تخطيئية مفاجئة عـــسى أن يُسقط موسى بتلك المباغتة، فيحقق هدفه في إضعاف موقف موسى وإحراجه أمـــام الحاضرين وخطف زمام المبادرة من يده عن طريق تلك المغالطات[1].

لكن موسى عليه السلام كان له بالمرصاد بأجوبته الذكية المفحمة التي أحبطـــت كيـــد فرعون ﴿ **وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ** ﴾ (غافر : 37).

وقد يكون الحوار القرآني مفصلاً متأنياً مستوعباً لجميع الجوانب متسماً بالاطنـــاب ومثال ذلك : الحوار نفسه الذي جرى بين موسى وفرعون، فإن بعـــض المقـــاطع الأولى كان من المفترض بموسى ــ كما يبدو ــ أن يكتفي بقولـــه : ﴿ **قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى** ﴾ (طه : 52).

لكنه استطرد في الجواب وذكر تفاصيل يحسبها الجاهل خارجة عن حدود الإجابـــة على سؤال فرعون **(هذا إن كانت التكملة من جواب موسى)**.

وإن لم تكن كذلك فهي من كلام الله عز وجل لكنها تكملة للحـــوار مناســـبة تمامـــاً ومؤيدة لموسى عليه السلام في تجلية الحقائق الإيمانية.

والذي يأخذ بنظر الاعتبار طبيعة المناخ النفسي الذي كان يدور فيه هذا الحوار يجد أن موسى عليه السلام محقاً كل الحق في تلك الاستفاضة في جوابه فالمقام كـــان ــ أولاً ــ مقام دعوة إلى الله إزاء قوم ممعنين في الكفر والضلالة لا تكفيهم أجوبـــة قـــصيرة خاطفة للإقناع.

ثانياً : إن فرعون كان يحاول -كما ذكرنا- أن يُخطِّئ موسى بأســـئلته تلـــك التي لم تكن تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة بقدر ما كانت محاولة للتخلص من تلك الدعوة وعدم الرضوخ لها، ولذلك لم يكن من الضروري أن يجيب موسى عليه السلام على

(1) عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني (ص 133).

أسئلة فرعون إجابة دقيقة هدفها إعطاء الأجوبة على الشيء الـــذي يـــستفهم حولـــه فرعون[1].

الحوار المفاجئ:

ولعل من المناسب ونحن نتحدث على سورة طه أن نذكر هذا النوع من الحوار انفردت به القصة القرآنية ألا وهو الحوار المفاجئ المنطلق من عالم الغيب والـــذي يقتحم الأحداث والحوارات على حين غرة ليؤدي دوره في إنقاذ الموقف، ففي خلال الحوار الذي دار بين موسى والسحرة أوجس موسى في نفسه خيفة فجاء الخطـــاب من عالم الغيب ليقطع الحوار ويطمئن موسى وينقذه من ذلك الموقف الحـــرج قـــال تعـــالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ **(طه : 67،68).**

وهذا النوع من الحوار لا يوجد إلا في قصص القرآن الكريم لتعلقه بأمور غيبية لا يعلمها إلا الله سبحانه.

وكذلك الحوار الذي دار بين موسى ورب العزة سبحانه والمفاجأة عنـــد جبـــل الطور يعد كذلك نوعاً فريداً لا مثيل له في قصص أخرى غيـــر قـــصص القـــرآن الكريم وقد تميز هذا الحوار بالقدسية والجلالة التي خيمت على أرض الواد المقدس. ولأن صفات المخلوق تختلف تماماً عن صفات الخالق جل وعلا كان لا بد أن يهيـــأ الجو المناسب للحوار حتى يستطيع موسى بطبيعته البشرية أن يتلقى الكلام عـــن الله تعالى مباشرة دون واسطة الوحي.

وأن يفهمه ويعيه لذلك أنزل الله سكينته على موســـى وآنـــس وحـــشته وأيـــده بالمعجزات الخارقة ــ كما مر معنا ــ ويمكننا أن نعتبر هذه المناجاة ضمن الحوار المفاجئ حيث لمن يكن متوقعاً لموسى عليه السلام وهو ذاهب ليأتي بالقبس المادي ففوجئ بالقبس الإلهي المعنوي.

(1) فالح الربيعي : القصص القرآني (ص 49).

الزمان في القصة القرآنية:

في القرآن الكريم حشد هائل من الآيات القرآنية أقسم الله فيها بمفردات ناجمة عن دوران الحوادث الكونية والطبيعية كالضحى والليل والعصر والفجر وإذا أقسم الله بشيء فإن ذلك يدل على أهميته[1].

ولعلنا نلمس عامل الزمان واضحاً في قصة موسى يلعب دوراً كبيراً في شحن القصة بالدلالات والإيحاءات العجيبة.

ولنقرأ مثلاً قوله تعالى: ﴿ **فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ** ﴾ **(طه : 40)** ولا شك أن هذه المدة لا تقل عن عشر سنوات **(المدة التي عمل فيها موسى أجيراً في رعي الغنم)**.

وهذا يعطي انطباعاً في الذهن عن مدى وحجم العناية والرعاية التي كانت تحف موسى طوال هذه المدة.

وخذ مثلاً الآية القرآنية التي تتحدث عن خروج بني إسرائيل من مصر ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا** ﴾**(طه : 77)**.

وصرحت سورة الدخان بلفظ **(ليلاً)**.

فإنك تلاحظ قصداً واضحاً لتوظيف العامل الزمني في إيجاد تلك الإيحاءات والأجواء النفسية. فإن تحديد وقت خروج بني إسرائيل **(ليلاً)** ضروري لإبراز حالة الرهبة والخوف التي كانت تنتاب المهاجرين الفارين من بطش فرعون وجنوده.

هكذا يسهم عامل الزمن في إغناء مضامين القصص القرآني وشحنه بالمدلولات والإيحاءات التي من شأنها أن تترك الأثر المطلوب في ذهن القارئ للقرآن الكريم.

المكان والبيئة في القصة القرآنية :

ويقصد بالمكان إطلاق اسم معين على حيز من الأرض لتمييزه عن غيره ويأتي المكان في القصة في المنزلة الثانية بعد الزمان وذلك لأن كثيراً من الأحداث لم

(1) فالح الربيعي : القصص القرآني (ص 54) بتصرف.

يحدد القرآن الكريم أماكنها، وذلك لعدم وجود فائدة لذكرها.

ولكن حيث توجد العبر والعظات نجد أن القرآن يحدد المكان تحديداً دقيقاً بحيث لا يختلف عليه اثنان ومن أسباب تحديد الأماكن ما يلي:

1- أن يكون الحدث مرتبطاً بالمكان ارتباطاً وثيقاً بحيث يستحيل وقوعه في مكـــان آخر.

2- أن يكون ذلك المكان ضرورياً لإشاعة بعض المفاهيم والمعاني في ذهن القارئ.

3- أن يكون الحدث متمتعاً بأهمية تاريخية بالغة بحيث تستوجب هذه الأهمية تحديد المكان بخصائصه ومواصفاته دفعاً للشبهات[1].

ولنأخذ مثلاً من قصة موسى:

وهو قوله تعالى: ﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ (طه : 12).

وفي آية أخرى: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ ﴾ (مريم : 52).

وثالثة: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ ﴾ (القصص : 44).

ورابعـــــــــة: ﴿ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ (القصص : 30).

ويرى الباحـــث: أن هذا التحديد له أهمية كبرى في إبراز هذا المكـــان ليعرفـــه الناس جميعاً فهو المكان المقدس وهو البقعة المباركة وهو الجبل الذي كلم الله موسى عليه وهو الجبل الذي نتق فوق بني إسرائيل كأنه ظله وهو من الأمـــاكن التـــي لا يدخلها الدجال كما في الحديث : "**لا يدخل أربعة مساجد : الكعبة ومسجد الرســـول ومسجد الأقصى والطور**"[2].

كل هذه المعاني مجتمعة لا بد أن ترسخ في الأذهان لإضفاء معـــاني القدســـية والجلال على هذه البقاع التي ارتبطت بها أحداث متعددة، كذلك فإن ذكـــر المكـــان

(1) محمد حجازي : الوحدة الموضوعية في القرآن (ص 315).

(2) أخرجه أحمد ورجاله ثقات كما قال ابن حجر : الفتح (129/13).

يؤكد القصة أكثر من عدم ذكره، وبدون تحديد هذا المكان يبقي هذه الأحداث عادية يمر بها الإنسان مروراً عابراً دون تأمل ودون اعتبار.

هكذا نرى أن المكان يسهم في إكمال ملامح القصة القرآنية وحبك نسيجها العام وذلك حين تتوفر الدواعي لذكره.

القوى الغيبية في القصة القرآنية:

الأحداث التي تعرضها علينا القصة القرآنية من نوع الأحداث التي تسير وفقاً للتدبير الرباني الإلهي، ولذلك فلا عجب أن يتدخل الإمداد الغيبي واللطف الإلهي في تسيير الكثير من حوادثها باتجاه معين يخدم الرسالة والدعوة الإلهية.

وزيادة في الإيضاح، فإن أحداث القصة ومجرياتها تكون سائرة على خط معين بأسباب ومسببات ومقدمات ونتائج وفجأة تنعكس الأمور على غير التوقع البشري، وقد تنقلب رأساً على عقب بحيث لم تكن في حسبان أحد إلا الأنبياء الموحى إليهم فلا يفاجئون.

وهاكم المثال من قصة موسى عليه السلام:

قال تعالى: قاصاً علينا قصة موسى عليه السلام: ﴿ **فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ** ﴾ (الشعراء : 61-63).

المعادلات المادية ترسمها لنا عبارة **(إنا لمدركون)** والعامل الغيبي يتمثل في نزول الوحي الإلهي بغتة بالنسبة لبني إسرائيل على موسى في تلك الظروف الصعبة حاملاً البشرى بالخلاص **(فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك.....)**.

وهكذا تتغير مجريات الأحداث بتدخل هذا العامل الغيبي بل تسير باتجاه معكوس، فالشواهد المادية تقتضي أن يُدرك موسى وأتباعه، ومعناه تصفيتهم تصفية كاملة وانتصار فرعون وجنوده لكن الأمور كانت على عكس ذلك تماماً وانقلبت النتيجة لصالح المؤمنين.

هل في قصص القرآن تكرار؟

في الحقيقة أننا إذا قلنا يوجد تكرار في القرآن الكريم فلا نقصد بذلك إعادة الألفاظ نفسها في سياق واحد فهذا حتماً لا يوجد في القرآن الكريم لأن الألفاظ القرآنية، وإن تعددت أحياناً فإنها ترد في سياق مختلف كل الاختلاف ولبيان ذلك لابد أن نقرر هنا ما يلي:

1ــ لم تلتزم القصة القرآنية طريقاً واحداً من حيث الطول والقصر والإجمال والتفصيل كما في قصة موسى مثلاً.

2ــ كل قصة قرآنية قصيرة أو طويلة مجملة أم مفصلة جاءت تفي بالغرض التي سيقت من أجله.

3ــ بعض القصص القرآني لم يُذكر إلا مرة واحدة وبعضه الآخر ذكر أكثر من مرة.

4ــ إن القصص الذي ذكر أكثر من مرة في كتاب الله لا نجد منه قصة واحدة ذكرت في سورتين بطريقة واحدة.

يقول سيد قطب : "ويحسب أناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني لأن القصة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النصرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي ساقه..[1]".

"وحتى نصل إلى نتيجة حاسمة في هذا الأثر فلا بد أن نلم به من زوايا ثلاث:

أولاً : من حيث الألفاظ والتراكيب التي ذكرت في كل قصة.

ثانياً : من حيث الموضوعات والجزئيات والمشاهد التي سيقت فيها القصة.

ثالثاً : من حيث اختصاص كل سورة بما جاء فيها من هذه المواقف والمشاهد"[2].

---

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن (55/1).

(2) فضل عباس : القصص القرآني (ص 25 ،26) بتصرف يسير.

تأملات تربوية في سورة طه[1]:

احتوت هذه السورة الكريمة على معان تربوية عديدة ورائعة ولن نستطيع الإحاطة بها كلها، وإنما هذه بعض الثمرات اليانعة والورود النضرة من بستان السورة:

1 ـ **التحبب وإنزال الناس منازلهم**:

فكلمة **(طه)** لها معان ذكرها المفسرون وبينتها في أول البحث، ومنها : إنها كلمة مناداة لمن تحب أو يا حبيبي أو يا رجل، ومن هذا نفهم أن الله تعالى ينادي رسوله وحبيبه محمداً ﷺ **(يا حبيبي)** أو يا رجل.

ولو عدنا إلى الآيات التي تذكر كلمة رجل بالإفراد والمثنى والجمع لرأيناها جاءت في سياق المدح ما عدا قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ (الجن : 6) والقرآن على هذا يعلمنا أن يكون خطابنا للآخرين لطيفاً محبباً، وأن نحفظ لهم مكانتهم ونكرمهم، فاحترام الناس وإنزالهم منازلهم يعود على الداعية بالحب والود، ويفسح له في قلوب الناس القبول والطاعة.

2ـ **الإسهاب في توضيح العقيدة وتثبيتها في قلوب الناس** :

وهذا يحتاج إلى إسهاب دقيق ومركز وقد لوحظ في الآيات من الرابعة إلى الثامنة عرض مستفيض لصفات الله تعالى وأسمائه الحسنى.

وهكذا يتضح لنا كيف يربي القرآن لوجدان المسلم ويربطه بالعقيدة الإسلامية.

يقول عبد الحميد حسن : "ولقد كان هذا الوجدان وراء جميع نماذج السلوك البشري التي ضربها عظماء الإسلام، فصلة الإنسان بالله على أساس العقيدة السليمة الراسخة ومن اليقين القوي الثابت، هذه الصلة هي أعظم قوة لإشاعة الخير في حياة الإنسان، ولتطهير قلبه ووقايته من الشرور وليسمو به في معارج الكمال"[2].

---

(1) عثمان قدري مكانسي : موقع صيد الفوائد (www.saaid.net) بتصرف.

(2) تربية الشباب على مبادئ الإسلام (ص 324).

3 ـ **حسن الربط بين المعاني** :

إن سرد الأفكار أو الأحداث مسلسلة مرتبة يفيد المتلقّي بأمور عدة منها :

- استيعاب الأفكار والأحداث دون انقطاع.
- حسن المتابعة لما يُلقى عليه وحُسن التعامل معها.
- قدرة المتلقي على الحكم السليم على ما يسمع.
- الاستجابة لعدد أكبر من المعلومات والأفكار.

وهذا واضح في لقاء موسى بربه الكريم بأسلوب شائق غيـــر منقطـــع يوضـــح العلاقة بين الخالق الرحيم والمخلوق الباحث عن الحق.

4 ـ **التسلح بالبراهين والأدلّة** :

لا بد حين تكلف إنساناً بمهمة أن تجهزه بما يناسب من مستندات ووثـــائق ـــ إن كان الأمر يتطلب ذلك ـــ وتوضحها له بمعلومات تساعده على إنجازها بـــشكل صحيح خال من الأخطاء وهذا قد تمثل في المعجزات التي أيد الله بها المرسلين.

ويهدف القرآن إلى تدريب العقل على التفكير السليم وتزويده بالعلم الذي يعينه على فهم البيئة المحيطة، والقدرة على حسن التصرف في المواقف وحل المشكلات التي تصادفه بطريقة منطقية واقعية كما يستطيع أن يتفادى التخبط والعشوائية إذا هو سار على هدى العلم والتفكير العلمي [1].

5 ـ **التجريب** :

أسلوب تربوي عملي، يفيد في تعويد المرء على شيء يخافه ليطمئن قلبـــه، فيستعد لما قد يستجد، وقد خاض موسى عليه السلام التجربة في التدرب على إلقاء العـــصا في الواد المقدس قبل أن يلقيها أمام فرعون، وتصور لو أن موسى ألقى العصا لأول مرة أمام فرعون، فلسوف يكون أول الهاربين منها.

(1) سيد طهطاوي : القيم التربوية في القصص القرآني (ص 126).

6 ـ **الاستعانة بالصالحين**:

وهذا موسى عليه السلام حين كلفه ربه أن يذهب إلى فرعون ناصحاً وداعياً سأل ربه أن يعينه بأخيه هارون فأعانه به لأنه سبحانه يريد أن تؤتي الدعوة أكلها، فلا بد من تيسير سبلها والإعداد لها.

7 ـ **ذكر الأفضال** :

ليشعر من تفضلت عليه أنك هيأت له الأسباب واعتنيت به وقدمت له الخدمات ليكون عند حسن ظنك ومثال ذلك أن يذكر الوالد ولده بتربيته له وإيثاره عليه واعتنائه به وتدريسه وغير ذلك، ليكون ولداً باراً بوالديه محسناً لإخوته وأخواته ولقد ذكَّر الله موسى بمننه الجسيمة وآلاءه العظيمة عليه منذ أن كان طفلاً في المهد إلى أن بلغ أشده واستوى وحمل الرسالة إلى فرعون.

لذلك نجد أن التربية الإسلامية تولي اهتماماً كبيراً في تنشئة الأطفال في المراحل الأولى من حياتهم على احترام الكبير وتقبل توجيهاته ونصائحه دون اعتراض أو نقد [1].

8 ـ **الاستعداد والإعداد للمهمة** :

الإنسان ضعيف بنفسه مهما كان قوياً، ولذلك طلب موسى عليه السلام أن يشرح صدره وييسر أمره ويحل عقدة من لسانه ويعينه بأخيه وكل ذلك استعداداً وتهيئاً للمهمات الصعبة.

ويمكن القول بأن التربية العلمية في القصص القرآني تهدف إلى الاستزادة من العلم مدى الحياة والدقة في العمل وبذلك يتحقق هدف تعلم العلم وأن يعمل بما يعلم ليطابق سلوكه قوله.

9 ـ **الحوار الهادف** :

وهو أسلوب تربوي ناجح يستطيع به الداعي أن يصل إلى شغاف القلوب، وأن يفحم الخصوم بالردود المقنعة والإجابات الشافية وقد ظهر ذلك في حوار موسى عليه السلام لفرعون حتى ألجمه بالحجة والبرهان ورد كيده في نحره.

---

(1) عبد الحليم محمود : العبادة (21/1).

10 ـ **الوضوح في التعامل** :

يجلي الفكرة، ويزيل اللبس، ويضع النقاط على الحروف، وهـــذا واضـــح فـــي السورة الكريمة.

من ذلك قول السحرة لموسى عليه السلام: ﴿ **قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ** ﴾ (طه : 65،66) فكان التنافس على أن يبدأ السحرة برضى من موسى، فقد تركوا له الخيار، فاختار أن يكونوا هم البادئين، وكان ما حدثنا عنه القرآن وانقلبوا صاغرين.

11 ـ **التحذير** :

أسلوب تربوي يتبعه المحب لمن يريد تهذيبه، والمبغض لمن يـــود تنبيهـــه، والمربي لمن يريد تعليمه. ليكون الطرف الثاني على بينة مما قد يكون، فلا يقع في الخطأ.

وقد يكون التحذير مشوباً بالنصيحة، وقد اتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ** ﴾(طه : 74).

و قوله سبحانه : ﴿ **مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وِزۡرًا** ﴾(طه : 100).

12 ـ **الموازنة** :

فالإنسان مخير بين أمرين من أمور الدنيا كلاهما حسن يقـــف متـــأملاً يفاصـــل بينهما، ويسأل الآخرين ويكثر الاستشارة ليصل إلى الجواب الأمثل.

أفليس ذلك أحرى في التفاضل بين الدنيا الفانية والآخرة الباقية؟ ولقد جاء هـــذا واضحاً في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ** ﴾ (طه : 74) فالعاقل اللبيب والذكي الأديب هو الذي يختار الأفضل والأحسن.

14 ـ **السؤال** :

استخدم القرآن الكريم أسلوب السؤال والجواب في أكثر من موضع ومنه ما جاء في سورة طه في قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا** ﴾ **(طه : 105)** ونستطيع أن نفهم من هذا السؤال أموراً:

أ- جاءَ بصيغة المضارعة للدلالة عل استمرارية السؤال، فالمسلم متعطش للمعرفة يرغب دائما فيها.

ب- جاء السؤال بصيغة الجمع يسألونك فالمجتمع المسلم ينبغي أن يكثر فيه العلماء والمتعلمون وإلا كان مجتمعا جاهلاً.

ج ــ كاف المخاطب في قوله يسألونك إشارة إلى النبي ﷺ وهو العالم وهو معلـــم البشرية جميعاً، وهذا تنبيه إلى وجوب سؤال العالم الذي ينصح ويدل علـــى الخيـــر ويرشد إلى الصواب.

د ــ يجب تحديد السؤال ليجيب عنه العالم لا عن غيره عن الأنفال ــ عن الساعة ــ عن الجبال وهكذا.

هـــ ــ الكلمة **(قل)** دليل على وجوب إجابة السائل، فمن كتم علماً ألجمه الله بلجـــام من نار.

و ــ الإجابة بشكل واضح لا لبس فيه ولا اختصار يريح السائل فيفهم فلا يحتاج أن يسأل مرة أخرى.

15 ـ **الأمر والنهي** :

والتكاليف الربانية إما أمر وهو حث على عمل ولا حياة بدونه وإما نهي ينقي جو الحياة من الشوائب التي تنغص حياة الإنسان ومعيشته والحياة تجري بين الأمر المباح والنهي عن الممنوع. وهي كثيرة في السورة الكريمة ومن أمثلة :

قوله تعالى : ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا** ﴾**(طه : 132)**.

فالآية قد اشتملت على أمر ونهي.

16 ـ **البداية والنهاية الموفقتان** :

فقد بدأت السورة بقولـــه تعـــالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ (طـــه : 1،2)، وهذا من براعة الاستهلال التي تستقطب السامع وتشد القارئ ثم ذكرت صفات القرآن المجيدة مما يجذب المخاطب إلى قـــراءة الـــسورة بـــشغف وحـــب واطمئنان.

ونجد نهاية السورة تقسم الناس إلى قسمين مؤمن وكافر وكل منهمـــا يتـــربص بالنهاية وينظر إليها فمن الفائز يا ترى أهم المؤمنـــون الأتقيـــاء أم هـــم الكـــافرون الأشقياء؟.

الإعجاز العلمي في سورة طه:

هناك آيات متعددة في سورة طه فيها إشارات كونية وحقائق علمية تحتاج كـــل آية منها إلى معالجة خاصة وقد اخترت من بين هذه الآيات قوله تعـــالى : ﴿ **لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ** ﴾(طه : 6).

فقد وجدت كلاماً رائعاً للدكتور زغلول النجار حول هذه الآيـــات فأحببـــت أن أجمل بحثي به.

وقبل الخوض في ذلك لا بد لنا من استعراض لأقوال عدد من المفـــسرين فـــي شرح دلالة هذه الآية الكريمة : قوله تعالى : ﴿ **لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ** ﴾(طه : 6).

ذكر ابن كثير (رحمه الله) ما مختصره : "**أي الجميع ملكه وفي قبضته وتحت تصرفه ومشيئته وإرادته وحكمه، وهو خالق ذلك ومالكه، وإلهه ولا إلـــه ســـواه ولا رب غيره**".

(وما تحت الثرى) قال محمد بن كعب تحت الأرض السابعة[1].

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (138/3).

وجاء في تفسير الجلالين -رحم الله كاتبيــه- ما نصه : **(لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)** من المخلوقات **(وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ)** هو التراب النــدي، والمــراد الأرضون السبع أنها تحته"[1].

وجاء في التفسير الفريد قوله : "**له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما ملكاً وتصرفاً وتدبيراً وما في باطن الأرض من معادن وبترول ونفائس**"[2].

وذكر الصابوني شيئاً يشبه ذلك أيضاً[3].

من الدلالات العلمية للآية الكريمة :

أولاً : مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ: السموات في اللغة اسم مشتق مــن الــسمو بمعنــى الارتفاع والعلو، وعلى ذلك فإن سماء كل شيء أعلاه ولذلك قيل : كل مــا عــلاك فأظلك فهو سماء[4]، والسماء الدنيا هي كل ما يقابل الأرض من الكون ويراد بهــا ذلك العالم العلوي من حولنا والذي يضم الأجرام السماوية المختلفة الموجودة علــى هيئات متعددة وما يوجد فيها أو حولها، أو ينتج منها أو عنها من مختلــف صــور الطاقة التي تملأ فسحة الكون بصورة واضحة جلية، أو مستترة خفية.

وقد خلق الله تعالى السماء ــ وهو خالق كل شيء ــ ورفعها بغير عمد ترونها، وجعل لها عماراً من الملائكة، وحرسها من كل شيطان مارد.. فهي محفوظة بحفظه تعالى إلى أن يرث الله هذا الكون بما فيه ومن فيه.

أما من الناحية الفلكية فإن العلماء يقدرون الجزء المُدْرَك من الكــون المرئــي بأكثر من أربعة وعشرين بليوناً من السنين الضوئية والسماء دائمة الاتساع مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ **(الذاريات : 47)**.

---

(1) الجلالان في تفسيرهما (ص 413).

(2) محمد عبد المنعم الجمال (1883/3).

(3) صفوة التفاسير (138/2).

(4) راجع لسان العرب ومعجم مقاييس اللغة مادة سما.

وهذا الجزء المدرك من الكون مبني بدقة بالغة ، وعلـــي نمـــط واحـــد ، يبـــدأ بتجمعات عدد من الكواكب ، والكويكبـــات ، والأقمـــار والمـــذنبات ، والـــشهب ، والنيازك حول كل نجم من النجوم التي تنتظم بملايين الملايين في مجرات ، وتنتظم المجرات في مجموعات محلية ، ثم في الحشود المجريَّة ، ثم في تجمعـــات محليـــة للحشود المجريَّة ، ثم في حشود مجريَّة عظمي ، ثم في تجمعات محليـــة للحـــشود المجرية العظمي إلى ما هو أكبر من ذلك في تصاعد إلى نهايـــة لا يعلمهـــا إلا الله سبحانه وتعالى.

ويحصي العلماء في الجزء المدرك من السماء الدنيا أكثر من مائتي ألف مليون مجرة، بعضها أكبر كثيراً من مجرتنا "**مجرة الطريق اللبني ، درب اللبانة ، أو سكة التبانة**" ، والبعض الآخر أصغر قليلاً منها، وبالمجرات أيضا السدم بمختلف أشكالها وأحجامها، والمادة الداكنة أو المادة الخفية .

وتنتشر المادة بين النجوم، وبين المجرات علي هيئة سحب دخانية يغلب علـــي تركيبها غاز الأيدروجين المحمل بهباءات متناهية الدقة من المواد الصلبة وتتخلـــق النجوم من الدخان الكوني في داخل السدم. وللنجوم مراحـــل حيـــاة مـــن المـــيلاد والطفولة إلى الشباب والكهولة ، ثم الشيخوخة والاحتضار لتعود إلى دخان السماء ، ومن مراحل النجوم ما يعرف باسم النجوم الابتدائية "**ومنها النجوم العادية ، ومنها العماليق الضخمة**" ، وعند انفجار النجوم العادية تتحول "**حسب كتلتها**" إلى العماليق الحمر أو العماليق الحمر العظام، وبعد ذلك تتحول العمـــاليق الحمـــر إلـــى الـــسدم الكوكبية والأقزام البيض، ثم إلى المستعر الأعظم من النوع الأول ويتحول العملاق الأحمر الأعظم إلى المستعر الأعظم من النوع الثاني ثم إلى النجم النيوتروني أو إلى الثقب الأسود حسب الكتلة الابتدائية للنجم.

وهناك أيضا أشباه النجوم وهي أجسام ضئيلة الكثافة جدا تنتشر علي أطـــراف الجزء المدرك من السماء الدنيا وتصدر موجات راديوية عالية ، وإن كان بعـــضها صامتاً لا يصدرُ مثل تلك الموجات.

وهذه الأجرام المعروفة لنا في الجزء المدرك من السماء الدنيا لا يعرف أحـــد مـــن أهل العلم إن كانت معمورة بخلق من خلق الله أم لا، ولكن الآية القرآنيـــة الكريمـــة التاسعة والعشرين من سورة الشورى يقول فيها ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴾ **(الشورى : 29)**.

قال الطبري في تفسير هذه الآية : **(وما بث فيهما)** قال الناس والملائكة[1].

أما القول بوجود حياة على كوكب غير الأرض للبشر فمردود لأن الله تعالى أنـــزل آدم إلى الأرض وقال: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾[2] **(البقرة : 36)**.

(1) جامع البيان (150/11).

(2) زغلول النجار : الموقع www.saaid.net

خاتمة البحث

أولاً : أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث والدراسة :

يمكن حصر النتائج التي توصل إليها الباحث **في النقاط التالية :**

1ــ ن باب التفسير الموضوعي لازال مفتوحاً لمن أراد أن يلجه، فهو لا يقف عــن حد ولا تنتهي عجائبه وأسراره وباستطاعة أي باحث في أسرار القرآن الكــريم أن يقطف من أزهاره ويستنشق من عبيره ما شاء الله له.

2ــ أن سورة طه سورة عظيمة كباقي سور القرآن الكريم، وأن اسمها عبارة عــن حروف مقطعة وليست اسماً من أسماء الرسول ﷺ وقد صح أنها بمعنى يا رجل في بعض اللغات فتكون نداءً للنبي والله أعلم.

3ــ سورة طه مكية وجميع آياتها بدون استثناء كذلك وقد جاءت على شاكلة السور المكية تتحدث عن أمور العقيدة والتوحيد، وتثبيت قلوب المؤمنين بقصص الأنبيــاء لأخذ العبرة منهم كذلك عرضت السورة لمواقف يوم القيامة وأهوالها.

4ــ لاحظ الباحث أن السورة بمجموع آياتها تدور حول التلطف ومؤانسة الــسعداء وقد حاول الباحث إبراز هذه المعاني من خلال الربط بين مقاطع السورة الكريمة ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

5ــ تبين للباحث أن هناك مناسبة بين سورة طه وما قبلها وما بعدها وكــذلك بــين آيات السورة ومقاطعها وقد بين الباحث ذلك وجلّاه للناظرين.

6ــ بالرجوع إلى الصحيح المسند من أسباب النزول تبين للباحث أنه ليس للــسورة سبب معين، ولا لأي آية من آياتها.

7ــ اتضح من خلال البحث أن سورة طه قد انفردت بموضوعات خاصة وألفــاظ وكلمات معينة لم تتكرر في القرآن الكريم أدرجها الباحث في نهاية البحث.

8ــ اشتملت السورة على قصتين من قصص الأنبياء الأولى قــصة موســى مــع فرعون والسحرة ومع بني إسرائيل والسامري والثانية قصة آدم عليهما السلام وقــد

تعرض الباحث للحديث عن معالم القصص القرآني وتطبيق ذلك على قصة موسى، وكذلك وجه المناسبة بين القصتين والفوائد والدروس المستفادة من كليهما.

9ــ استطاع الباحث أن يقف على بعض الجوانب التربوية من خلال السورة الكريمة تفيد الدعاة في رحلتهم الدعوية.

10ــ الوقوف على بعض جوانب الإعجاز العلمي في السورة خاصة في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ (طه : 6).

11ــ ظهر للباحث أن هناك العديد من أوجه الشبه بين رسالة موسى ورسالة محمد عليهما السلام، فأفرد لها باباً في البحث.

ثانياً: أهم التوصيات :

بعد أن أينعت أزهار هذا البحث وحان قطافها أود أن أسجل التوصيات والمقترحات الآتية :

أولاً: أوصي الباحثين في سلك التفسير الموضوعي بتوسيع دائرة بحثهم في موضوعات القرآن الكريم المتعددة، لاستنباط أسرار القرآن التي لا تنتهي ومحاولة الإجابة على الكثير من الأسئلة حول السر في اختيار القرآن لكلمات وجمل دون غيرها.

ثانياً: يا حبذا لو اهتم الباحثون بالموضوعات التي انفردت بها بعض السور وجعلها في أبحاث مستقلة وكذلك الكلمات التي لم تتكرر في القرآن الكريم وتفسير سبب ذلك.

ثالثاً: أوصي بعدم اعتماد كل ما جاء في كتب التفسير وضرورة التحقق والتثبت من المكتوب لأن فيها ما فيها من الغث والسمين، مع ضرورة تحقيق ما لم يُحقق من هذه الكتب وتمييز الطيب من الخبيث.

رابعاً: أوصي الباحثين في التفسير الموضوعي باستنباط الجوانب التربوية من السور القرآنية وخاصة فيما يتعلق بدعوة الرسل لأقوامهم فإن الرسل قد وعظوا وبشروا وأنذروا مستخدمين أروع أساليب التربية التي يحتاجها المربون اليوم.

خامساً: هذه بضاعة صاحبها المزجاة قد ساقها إليك، وهذا فهمه قد عرض عليك، لك غُنْمُه وعلى الباحث غُرْمُه، ولك ثمرته وعليه عائدته، فإن عدم منك حمداً وشكراً فلا يعدم منك عذراً، وإن أبيت إلا الملام فبابه مفتوح، وقد استأثر الله بالحمد والثناء وحده.

والله المسئول أن يجعله لوجهه خالصاً وينفع به باحثه وقارئه إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- فهرس البلدان.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- فهرس البلدان.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

الرقم	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	سورة البقرة:		
.1	﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾	256	74
.2	﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ..... ﴾	34	84
.3	﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ﴾	203	110
.4	﴿ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةً ﴾	74	113
.5	﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾	255	130
.6	﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ ..... ﴾	254	130
.7	﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ ﴾	32	143
.8	﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾	105	151
.9	﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾	36	204
	سورة آل عمران:		
.10	﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ ﴾	159	68
.11	﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ..... ﴾	139	80
	سورة النساء:		
.12	﴿ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ ..... ﴾	74	92
.13	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم ..... ﴾	1	148

	سورة المائدة:		
.14	﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	54	118
.15	﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ..... ﴾	72- 75	161
	سورة الأعراف:		
.16	﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ..... ﴾	180	26
.17	﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ .....﴾	59	32
.18	﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾	108	42
.19	﴿ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى ﴾	150	51
.20	﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو .... ﴾	116	80
.21	﴿ قَالَ مِن ٱلْمَلَأُ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا .....﴾	**109- 110**	87
.22	﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾	103	91
.23	﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا .....﴾	126	97
.24	﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ.... ﴾	128-129	101
.25	﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ .....﴾	142	108
.26	﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى .....﴾	151	118
.27	﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾	19	142
.28	﴿ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا .....﴾	27	158
.29	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا ..... ﴾	23	163

	سورة الأنفال:		
.30	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ...﴾	30	90
	سورة التوبة:		
.31	﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾	80	43
	سورة يونس:		
.32	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ ..... ﴾	75- 76	73
.33	﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ..... ﴾	77	88
.34	﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾	92	105
	سورة هود:		
.35	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ ..... ﴾	25- 26	72
.36	وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾	50	72
.37	﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾	61	72
.38	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾	84	72
.39	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ ....﴾	47	163
	سورة إبراهيم:		
.40	﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ .....﴾	34	29
.41	﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ..... ﴾	1	182
.42	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ..... ﴾	5	182
	سورة الحجر:		
.43	﴿ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾	65	110

.44	﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾	48	141
.45	﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾	29	149
.46	﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾	75	158
	سورة الإسراء:		
.47	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ..... ﴾	70	149
	سورة الكهف:		
.48	﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ ..... ﴾	87- 88	45
.49	﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ ....﴾	25	66
.50	﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾	110	162
	سورة مريم:		
.51	فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ	97- 98	16
.52	﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾	4	17
.53	﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾	32	17
.54	﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾	48	17
.55	﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ..... ﴾	87	132
.56	﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا... ﴾	88- 93	164
.57	﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾	55	192
	سورة الأنبياء:		
.58	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ .....﴾	25	32

.59	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	33	37
.60	﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ .....﴾	90	100
.61	﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي .....﴾	37	109
.62	﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ....﴾	87	111
.63	﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾	28	131
	سورة الفرقان:		
.64	﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا ..... ﴾	35	50
	سورة الشعراء:		
.65	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ.....﴾	12- 14	47
.66	﴿ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	20	63
.67	﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ... ﴾	38- 42	77
.68	﴿ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي.....﴾	21	80
.69	﴿ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾	61- 62	80
.70	﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ ..... ﴾	29	82
.71	﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ..... ﴾	35	84
.72	﴿ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴾	26	84
.73	﴿ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ..... ﴾	34- 35	85
.74	﴿ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ .....﴾	51	98
.75	﴿ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ .....﴾	65- 66	101

.76	﴿ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ..﴾	62- 63	181
.77	﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ .... ﴾	23- 26	188
	سورة النمل:		
.78	﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ .....﴾	12	42
	سورة القصص:		
.79	﴿ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾	32	40
.80	﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم..... ﴾	38	47
.81	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ..... ﴾	33- 34	47
.82	﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ..... ﴾	26	47
.83	﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ... ﴾	7	55
.84	﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ .....﴾	9	56
.85	﴿ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	11	59
.86	﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ..... ﴾	12	59
87	﴿ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا ﴾	25	61
.88	﴿ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ.... ﴾	26	61
.89	﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ ﴾	18	62
.90	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي ﴾	16	62
.91	﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾	15	62
.92	﴿ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	25	65

.93	﴿ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَ ﴾	27	66
.94	﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا..... ﴾	14	76
.95	﴿ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ ..... ﴾	3	82
.96	﴿ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ ..... ﴾	37	88
.97	﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾	35	92
.98	﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ ﴾	44	192
.99	﴿ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ.. ﴾	30	192
	سورة العنكبوت:		
.100	﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا..... ﴾	68	83
	سورة فاطر:		
.101	﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا..... ﴾	6	145
	سورة الصافات:		
.102	وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾	83	63
	سورة ص:		
.103	﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ....﴾	24- 25	163
	سورة الزمر:		
.104	﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ .....﴾	60	78
	سورة غافر:		
.105	﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ.... ﴾	28	63
.106	﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ..... ﴾	34	69

.107	﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ.....﴾	26	82
.108	﴿ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴾	37	189
	سورة الشورى:		
.109	﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾	52	64
.110	وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ.... ﴾	29	203
	سورة الزخرف:		
.111	﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾	54	85
	سورة الدخان:		
.112	وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴾	21	104
	سورة الأحقاف:		
.113	﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾	35	90
	سورة محمد:		
.114	﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ..... ﴾	19	31
.115	﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ.....﴾	22- 23	52
	سورة الفتح:		
.116	﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ.....﴾	20	109
	سورة الذاريات:		
.117	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ .....﴾	56- 58	32
.118	﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ ..... ﴾	52- 53	87
.119	﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴾	40	101

.120	﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾	47	201
	سورة الطور:		
.121	﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴾	2 -1	34
	سورة النجم:		
.122	﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾	18	183
	سورة الرحمن:		
.123	﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ .....﴾	4 -1	24
	سورة الحديد:		
.124	﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾	4	182
	سورة المجادلة:		
.125	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ ...﴾	8	89
.126	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ ..... ﴾	9	90
	سورة الصف:		
.127	﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا..... ﴾	4	90
	سورة التغابن:		
.128	﴿ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا ..... ﴾	15	63
	سورة الجن:		
.129	﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ.....﴾	6	195
	سورة المدثر:		
.130	﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾	48	133
.131	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ ..... ﴾	4 -1	166

	سورة القيامة:		
.132	﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾	24	178
	سورة المرسلات:		
.133	﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾	10	130
	سورة النازعات:		
.134	﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	24	47
.135	﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٧﴾ فَقُلْ هَل..... ﴾	17- 20	73
	سورة الضحى:		
.136	﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾	7	64
	سورة الشرح:		
.137	﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	6	101
.138	﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ .... ﴾	1- 2	182
	سورة التين:		
.139	﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ..... ﴾	1- 3	35
	سورة البينة:		
.140	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ .... ﴾	6	131

فهرس الأحاديث

م	الحديث	رقم الصفحة
1	"احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما....."	151
2	"أما والله أني لأمين في السماء أمين في الأرض ...."	12
3	"إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام ..."	4
4	"إن الله قرأ طه، ويس قبل أن ....."	13
5	"إن المغضوب عليهم اليهود....."	111
6	"إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها....."	45
7	"أنا مُحمدٌ، وأنا أَحمدُ، وأنا الماحي ....."	10
8	"إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ....."	73
9	"آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب....."	113
10	"بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم....."	85
11	"**التأني من الله والعجلة من الشيطان...**"	110
12	"سلام على من اتبع الهدى....."	183
13	"فرأيت الماء ينبع....."	182
14	"فعمد موسى إلى العجل فوضع عليه المبارد..."	116
15	"قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر....."	182
16	"لا تحزن إن الله معنا....."	183
17	"لا يدخل أربعة مساجد : الكعبة ومسجد....."	193
18	"ما بعث الله من نبي إلا ورعى الغنم....."	39

فهرس الأعلام

م	العلم	رقم الصفحة
1	أحمد بن مصطفى المراغي	72
2	برهان الدين إبراهيم البقاعي	3
3	جمال الدين القاسمي	105
4	سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل	173
5	شهاب الدين محمود الألوسي	64
6	عبد الكريم الخطيب	94
7	علي بن محمد البغدادي الماوردي	8
8	الفضل بن الحسن الطبرسي	142
9	محمد الأمين الشنقيطي	10
10	محمد الطاهر ابن عاشور	3
11	محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين	40
12	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود)	134
13	محمد صديق حسن خان القنوجي	9
14	مصطفى صادق الرافعي	135
15	يزيد بن المهلهل	6

فهرس البلدان

م	الموضوع	رقم الصفحة
1	باجرما	115
2	جبل الطور	34
3	كرمان	115
4	طوى	167
5	مدين	65

فهرس المـــــراجع

م	المرجع	المـــؤلف
1	**إتقان البرهان في علوم القرآن:**	**– أ.د. فضل حسن عباس، ط. دار الفرقان**
2	**إحياء علوم الدين:**	**– الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالـــي ، ت 505 هـــ، ط. دار المعرفة ــ بيروت**
3	**الأخلاق بين الطبع والتطبع:**	**– أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي، ط . دار الإيمان ــ الإسكندرية**
4	**الأدب المفـــــــرد:**	– أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. ت256هـــ، تخريج وتعليق: أبي عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني، ط. دار الصديق.
5	**إرشاد العقـل الـسليم إلى مزايـا القرآن الكريم:**	**– أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ت951هـــ، ط. دار إحياء التراث العربي– بيروت.**
6	**الأساس فـــي التفســـير:**	**– سعيد حـــوى، ط. دار الـــسلام للطباعـــة والنـــشر والتوزيع.**
7	**أسباب الـــــنزول:**	**– أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ت 468هـــ، ط. دار الكتب العلمية ــ بيروت**
8	**أسرار التكرار في القرآن**	**– تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، ت505هـــ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط. دار الفضيلة ــ القاهرة.**
9	**الأسماء والصفات:**	– أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت458هـــ، ط. دار إحياء التراث العربي.
10	**الإصابة في تمييز الصحابة:**	**– شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي العسقلاني ثم المصري الشافعي المعـــروف بابن حجر، (ت 773 ــ 852 هـــ)، ط . دار الفكر**
11	**أصول الدعوة:**	**– عبد الكريم زيدان ، ط. دار عمر بـــن الخطـــاب ــ الإسكندرية.**
12	**أصول العقيدة الإسلامية**	**– شرح علي بن أبي العز الأذرعي، ط. بدون**

التي قررها أبو جعفر الطحاوي

13 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ت 1393هـ، ط. دار الفكر– بيروت.

14 أطلس القرآن: – د. شوقي أبو خليل، ط. دار الفكر المعاصر ـــ بيروت، دار الفكر ـ دمشق

15 إعجاز القرآن: – القاضي أبو بكر الباقلاني، ط. مكتبة مصر ـ الفجالة

16 أعلام النبوة: – العلامة أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي، ت 450 هـ، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

17 إمداد القارئ بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري – عبيد بن عبد الله بن سلمان الجابري، ط.مكتبة الفرقان.

18 أنبياء الله – أحمد بهجت، ط. دار الشروق.

19 الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: – ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي، ط1، دار الفكر.

20 أنوار التنزيل وأسرار التأويل: – أبو سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت 791هـ،ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

21 أولو العزم من الرسل: – طه وادي، مكتبة مصر

22 أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: – أبو بكر الجزائري، ط. مكتبة أضواء المنار ـــ السعودية.

23 البحر المحيط: – محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت745هـ، تحقيق مجموعة من العلماء، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

24 البداية والنهاية: – أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، ت774 هـ، تحقيق مجموعة من العلماء ط. دار الكتب العلمية.

25 بصائر ذوي التمييز: – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت 817 هـ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ط. دار الجيل– بيروت.

26 البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: – عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط. دار القلم– دمشق.

27 البيان في عد آي القرآن: – أبو عمرو الداني الأندلسي، ت 444 هـ، تحقيق غانم قدوري الحمد، ط. مركز المخطوطات والتراث والوثائق ـ الكويت.

28 تاج اللغة وصحاح العربية: – لأبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ت 393 هـ، ط. دار الفكر .

29 تحت راية القرآن: – مصطفى صادق الرافعي، ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت

30 التحرير والتنوير: – الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ت1393هـ، ط. دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس.

31 التسهيل لعلوم التنزيل: – أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

32 التصوير الفني في القرآن: – سيد قطب، ط. دار الشروق، بيروت– القاهرة .

33 التعريفات: – العلامة علي بن محمد الجرجاني، ضبط محمد عبد الحكيم القاضي، ط. دار الكتاب المصري– القاهرة، ط. دار الكتاب اللبناني– بيروت.

34 تفسير ابن أبى زمنين المدي (مختصر تفسير يحيى بن سلام) – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبى زمنين، ت 399 هـ، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

35 تفسير الشعراوي: – للشيخ محمد متولي الشعراوي، ط. أخبار اليوم.

36 التفسير الفريد للقرآن المجيد: – د. محمد عبد المنعم الجمال، ط. بدون.

37 تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار – محمد رشيد رضا، ط. دار المعرفة– بيروت.

38 تفسير القرآن العظيم: – الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير

		الدمشقي، ت 774هـ، تحقيق مجموعة من العلمـــاء، ط. مؤسسة قرطبة.
39	تفسير القرآن الكريم:	– د . عبد الله شحاته، ط. دار غريب– القاهرة
40	التفـــسير الكـــبير أو (مفـــاتيح الغيب)	– الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحـــسين بـــن الحسن بن علي التميمي البكري الـــرازي، ت (544 ــ 604هـــ)، ط.دار الكتب العلمية –بيروت.
41	تفسير المراغي:	– أ . محمد مصطفى المراغي، ط. دار الفكر.
42	التفسير المنير:	– أ . د . وهبة الزحيلي، ط. دار الفكـــر المعاصـــر– بيروت، ط. دار الفكر– دمشق.
43	التفـــسير الموضـــوعي لـــسورة القصص:	– محمود خلة (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية– غزة.
44	التفسير والمفسرون:	– د.محمد حسين الذهبي، ط. المدني– القاهرة.
45	تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء:	– أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن خمير، تحقيق: محمد رضـــوان الدايـــة، ط . دار الفكر المعاصر ــ بيروت.
46	تهذيب اللغة:	– أبو منصور محمد بن احمـــد الأزهـــري، ت(282 ــ 370 هـــ)، تحقيق عبد السلام محمد هـــارون، ط. دار القومية العربية.
47	تيـــسير الكـــريم الـــرحمن في تفسير كلام المنان:	– عبد الـــرحمن بـــن ناصـــر الـــسعدي، ت(1307– 1376هـــ)، تحقيق محمـــد زهـــري النجـــار، ط. دار المؤيد.

48 **جامع البيان في تأويل القرآن**: – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت310هـ، ط. دار الكتب العلمية– بيروت.

49 **الجامع لأحكام القرآن**: – أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت671 هـ، ط. دار الكتب العلمية– بيروت.

50 **الجامع لشعب الإيمان**: – الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت458هـ، تحقيق: عبد العلى حامد، ط، الدار السلفية– الهند.

51 **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**: – أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عادل عبد المنعم أبو العباس.

52 **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**: – ط . بدون.

53 **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: – الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت911 هـ، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

54 **دعوة الرسل إلى الله تعالى**: – محمد أحمد العدوي، ط، بدون.

55 **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**: – الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، ط.دار المنهاج.

56 **دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية**: – تحقيق: محمد السيد الجلنيد، مؤسسة علوم القرآن.

57 **الرحيق المختوم**: – صفي الرحمن المباركفوري، ط. دار الوفاء.

58 **روائع البيان في تفسير آيات الأحكام**: – محمد على الصابوني، ط. دار الصابوني.

59 **روح المعاني في تفسير** – العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود

القرآن العظيم والسبع المثاني الألوسي البغدادي، ت127هـ، قراءة تصحيح محمد حسين العرب، ط.دار الفكر- بيروت.

60 زاد المسير في علم التفسير: - الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، ت(508 ـ 597هـ)، ط.المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق، ط. 1407هـ، 1423هـ.

61 سبيل السعادة في سورة طه: - عبد الحميد طهماز، ط. دار القلم- دمشق.

62 سلسلة الأحاديث الصحيحة: - محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف- الرياض.

63 سنن ابن ماجة: - الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت275 هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي.

64 سنن أبي داود: - للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ت(202ـــــ275هـــــ)، ط. دار الحديث 1420هـ- 1999م.

65 سنن الترمذي: - أبو عيسى محمد بن سورة، ط. دار الحديث ـ 1419هـ ـ 1999م، ت(164ـ241).

66 سنن الإمام أحمد بن حنبل: - تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط. مؤسسة الرسالة (الثانية) 1420هـ- 1999م.

67 سنن الدارمي: - أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت 1407هـ.

68 شذرات الذهب في أخبار من ذهب: - المؤرخ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، ت1089هـ، ط، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

69 **شرح نظم الورقات في أصول الفقه للمبتدئين**: – شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار أفصى– القاهرة.

70 **الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم**: – القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، (ت 476 ــ 544هـ)، تحقيق محمد العلاوي، ط. دار ابن رجب.

71 **صحيح ابن خزيمة**: – د.محمد مصطفى الأعظمي، ت311هـ، المكتب الإسلامي.

72 **صحيح الأدب المفرد**: – محمد ناصر الدين الألباني، ط. دار الصديق (1415 هـ ــ 1994 م).

73 **صحيح البخاري**: – للإمام أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري، ت 256هـ، ط. المكتبة العصرية (الثانية) 1418هـ ــ 1997م.

74 **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: – محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، ط. المكتب الإسلامي– بيروت– دمشق.

75 **صحيح القصص النبوي**: – د. عمر سليمان عبد الله الأشقر، ط. دار النفائس– الأردن.

76 **صحيح مسلم بشرح النووي**: – للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، (ت613 ــ 676 هـ)، ط.دار الريان للتراث، و ط. دار الحديث– القاهرة.

77 **صفوة التفاسير**: – محمد علي الصابوني، ط. دار الفكر– بيروت.

78 **طريق الهجرتين وباب السعادتين**: – ابن القيم الجوزية، ط. دار ابن القيم للنشر والتوزيع.

79 **ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم**: – محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي– بيروت، 1413هـ ــ 1993م.

80 **عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي**: – الإمام الحافظ ابن العربي المالكي، (ت435– 543هـ)، ط. دار الكتب العلمية ــ بيروت.

81 العبادة: – عبد الحليم محمود، ط. دار الكتب الحديثة، 1968م.

82 عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية: – السيد أبو ضيف المدني، ط. دار الفكر، 1979م.

83 عقيدة المؤمن: – أبو بكر الجزائري، ط. دار الكتب السلفية– القاهرة.

84 عمدة القاري شرح صحيح البخاري: – الإمام العلامة بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، (ت762 ــ 855هـ)، ط.مصطفى البابي الحلبي 1392هـ– 1972م.

85 فتح الباري بشرح صحيح البخاري: – للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت773– 852هـ)، تحقيق: أصلها عبد العزيز بن باز، ط. دار الحديث– القاهرة.

86 فتح البيان في مقاصد القرآن: – العلامة أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري (ت1248– 1307هـ)، راجعه وقدم له عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ط. المكتبة العصرية– بيروت.

87 فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: – محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت1250هـ، راجعه وعلق عليه، الشيخ همام البخاري ــ الشيخ خضر عكارى، ط.المكتبة العصرية ــ بيروت.

88 الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية: – الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، ت1204 هـ، ط. دار الكتب العلمية– بيروت، 1416هـ– 1996م.

89 فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف: – عبد الجواد السيد بكر، رسالة ماجستير من منشورات القاهرة، ط. دار الفكر العربي، ط. دار الكتب الحديثة 1968م.

90 الفوائد: – ابن قيم الجوزية، تحقيق: عصام الصبابطي، ط.

دار الحديث.

91 **في رحاب التفسير**: – عبد الحميد كشك، ط. المكتب المصري الحديث– القاهرة.

92 **في ظلال القرآن**: – سيد قطب، ط دار الشروق.

93 **قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين** – حاشية العلامة عبد الرحمن بن حسن على كتاب التوحيد، (ت1215هـ)، صححه وعلق عليه الشيخ إسماعيل الأنصاري، ط. شركة الطباعة العربية السعودية– الرياض.

94 **قصص الأنبياء**: – الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: أبي محمد أشرف عبد المقصود، ط. أضواء السلف 1422 هـ– 2002م.

95 **قصص الأنبياء**: – الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (ت701 ــ 774 هـ)، ط. آفاق– غزة.

96 **قصص القرآن**: – أ. د . محمد بكر إسماعيل، ط. دار المنار.

97 **القصص القرآني (رؤية فنية)**: – د. فالح الربيعي، دار النصر للطباعة الإسلامية، ط. الدار الثقافية.

98 **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**: – أ.د. فضل حسن عباس، ط. دار الفرقان– عمان

99 **القيم التربوية في القصص القرآني**: – سيد طهطاوي، رسالة دكتوراة، ط. دار الفكر ــ القاهرة.

100 **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت467– 538هـ)، ط. دار الفكر للطباعة والنشر.

101 **كواشف زيوف**: – عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط. دار القلم– دمشق.

102 **لا تحزن**: – د. عائض عبد الله القرني، ط. مكتبة الصحابة ـ الإمارات، مكتبة التابعين– القاهرة.

103 **لب الألباب في تحرير الأنساب**: – جلال الدين السيوطي، ت911هـ، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، أشرف أحمد عبد العزيز، ط. دار الكتب العلمية– بيروت.

104 **لسان العرب**: – العلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ت 611 هـ، ط. دار الفكر.

105 **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**: – الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، شرح: محمد بن صالح العثيمين، ط. مكتبة دار طبرية– أضواء السلف.

106 **مباحث في التفسير الموضوعي**: – د. مصطفى مسلم، دار القلم– دمشق.

107 **مبادئ التربية وطرق التدريس**: – عبد المجيد عبد الرحيم، ط. مكتبة النهضة المصرية، 1978م.

108 **المبصر لنور القرآن**: – نائلة هاشم صبري، ط. الرسالة المقدسية.

109 **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: – الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت807هـ، ط. دار الكتب العلمية، 1408هـ ـ 1988م.

110 **محاسن التأويل**: – الإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي ت 1332 هـ، تحقيق: أحمد بن علي– حمدي صبح، ط. دار الحديث– القاهرة.

111 **مختار الصحاح**: – للإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، ط. دار الحديث– القاهرة.

112 **المرأة في القصص القرآني**: – د . أحمد الشرقاوي، ط. دار السلام– القاهرة.

113 **المستدرك على الصحيحين**: – أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ط. دار المعرفة– بيروت.

114 **المستفاد من قصص القرآن**: – د. عبد الكريم زيدان، ط. مؤسسة الرسالة.

115 **المصباح المنير**: – العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرىء،

ط. دار الحديث ــ القاهرة .

116 **المصنف في الأحاديث والآثار**: – أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العنسي، ضبط وتصحيح وترقيم محمد عبد السلام شاهين، ط. دار الكتب العلمية– بيروت.

117 **معارج التفكر ودقائق التدبر**: – **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم– دمشق.**

118 **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**: – حافظ بن أحمد الحكمي، ت1377هـ، ضبط وتعليق وتخريج: عمر بن محمود أبو عمر، ط. دار ابن القيم، السعودية– الدمام.

119 **المعجم الكبير**: – الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت360هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط. مكتبة ابن تيمية– القاهرة.

120 **معجم المؤلفين**: – عمر رضا كحالة، ط. دار الرسالة.

121 **مع قصص السابقين في القرآن** – **د . صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط. دار القلم– دمشق.**

122 **معالم التنزيل في التفسير والتأويل** – **أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ت510هـ، ط. دار الفكر.**

123 **معالم الصراع الإيماني في قصة موسى** – **جمال الهوبي (رسالة ماجستير)، جامعة أم درمان.**

124 **معترك الأقران في إعجاز القرآن**: – **جلال الدين السيوطي، ط. دار الكتب العلمية.**

125 **معجم البلدان**: – **شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ت626هـ، ط. دار إحياء التراث العربي.**

126 **المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم**: – **د . نبيل عبد السلام هارون، ط. دار النشر للجامعات– القاهرة.**

127 **معجم مقاييس اللغة**: – **أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت395هـ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط. دار**

الجيل ــ بيروت.

128 **المغني** – أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، (541– 620هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي و د. عبد الفتاح الحلو، ط. هجر القاهرة.

129 **مفتاح دار السعادة** – أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تقديم وضبط ــ علي الحلبي، ط.دار ابن عفان.

130 **مفردات ألفاظ القرآن**: – العلامة الراغب الأصفهاني، ت في حدود 435هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية– بيروت.

131 **الملل والنحل** – أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، (ت 479 ــ 548 هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط. دار المعرفة– بيروت.

132 **المنجد في اللغة والأعلام**: – مجموعة من علماء النصارى، ط. دار المشرق– بيروت.

133 **موسوعة القرآن العظيم**: – د . عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي.

134 **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: – الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت885هـ، خرج أحاديثه ووضع حواشيه، عبد الرزاق غالب المهدي، ط. دار الكتب العلمية ــ بيروت.

135 **النكت والعيون** – أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، (ت364 ــ 450هـ)، ط. دار الكتب العلمية– بيروت.

136 **النهاية في غريب الحديث والأثر**: – مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، (ت544– 606هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، ط. المكتبة الإسلامية.

137 **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**: – د . محمد محمود حجازي، ط. دار الكتب الحديثة– القاهرة، 1390هـ ــ 1970م.

138 **الوحي المحمدي**: **– محمد رشيد رضا، ط. المكتب الإسلامي– بيـــروت– دمشق، 1405هـــ 1985م.**

139 **وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمان**: – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبـــي بكر بن خلكان، ت681هـــــ، تحقيـــق: د. إحـــسان عباس، ط. دار صادر– بيروت.

140 www.saaid.net – صيد الفوائد.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
1	الإهداء	أ
2	المقدمة	ج
3	خطة البحث	و
4	القسم الأول	2
5	أولاً: محـــور السورة	2
6	ثانياً: أهداف السورة الأساسية	3
7	ثالثاً: اسم السورة وعدد آياتها	4
8	رابعاً: خصائص السورة ووقت نزولها	11
9	خامساً: أسباب نزول السورة	13
10	سادساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها	14
11	سابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها	17
12	ثامناً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها	20
13	القسم الثاني	23
14	افتتاحية السورة	23
15	موضوعات الافتتاحية	23
16	القرآن مصدر السعادة	23
17	كمال صفاته جل وعلا	24
18	كمال أسمائه سبحانه	25
19	المقطع الأول: قصة موسى مع فرعون	28
20	الحلقة الأولى: مؤانسة الله تعالى لمحمد بحديث موسى عليهما السلام	28
21	الحلقة الثانية: مؤانسة الله لموسى عليه السلام ورعايته	37
22	الفقرة الأولى: مؤانسته بالمعجزات	37
23	الفقرة الثانية: رسالة موسى إلى فرعون وما صاحبها من تأييد	46
24	الحلقة الثالثة: منن الله تعالى على موسى عليه السلام	53
25	الحلقة الرابعة: أساليب موسى عليه السلام في دعوته لفرعون	67
26	الحلقة الخامسة: فرعون والسحرة وتصديهم للحق	83

27	الحلقة السادسة : الإيمان بالله أساس السعادة	95
28	المقطع الثاني: موقف موسى عليه السلام من عباد العجل	107
29	التعجل لمرضاة الله تعالى	109
30	الغضب إذا انتهكت حرمات الله	110
31	فتنة السامري	112
32	من هو السامري ؟	114
33	ما هي حقيقة العجل الذي عبده بنو إسرائيل ؟	116
34	موقف موسى عليه السلام من أخيه هارون	117
35	إجابة هارون على أخيه موسى عليه السلام	118
36	موقف موسى من السامري	119
37	جزاء السامري	120
38	الدروس والعبر من قصة السامري	120
39	المقطع الثالث: مواقف يوم القيامة	123
40	المناسبة بين المقاطع الثلاثة	123
41	أحوال الأشقياء المعرضين عن ذكر الله تعالى	126
42	النفخ في الصور	127
43	نسف الجبال	128
44	الشفاعـــة	130
45	وقفة مع عربية القرآن وعدم تعجل قراءته	134
46	المقطع الرابع : قصة آدم عليه السلام	138
47	عرض عام لقصة آدم	139
48	وقفة مع الجنة التي أهبط منها آدم عليه السلام	141
49	أدلة الطائفتين	141
50	الفوائد المستنبطة من قصة آدم عليه السلام	144
51	تعقيب على قصة آدم عليه السلام	146
52	الحكمة من هبوط آدم من الجنة	150
53	المناسبة بين قصة آدم وما قبلها	151
54	المناسبة بين المقطع الرابع ومحور السورة	154

55	المقطع الخامس: رضا الله أعلى درجات السعادة	156
56	عرض عام للمقطع	156
57	وسائل إدراك السعادة	158
58	العظات والعبر من المقطع الخامس	158
59	المناسبة بين المقطع الخامس وما قبله	159
60	خاتمة السورة	161
61	المعنى العام للخاتمة	161
62	كلام عن عصمة الأنبياء	162
63	الموضوعات التي انفردت بها سورة طه	167
64	ألفاظ اختصت بها السورة	174
65	أوجه الشبه بين رسالة موسى ورسالة محمد عليهما السلام	181
66	معالم القصص القرآني وتطبيق ذلك على قصة موسى عليه السلام	185
67	تأملات تربوية في سورة طه	196
68	من الإعجاز العلمي في سورة طه	201
69	خاتمة البحث	205
70	أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث والدراسة	205
71	أهم التوصيات	206
72	الفهارس العامة	208
73	فهرس الآيات	209
74	فهرس الأحاديث	219
75	فهرس الأعلام	220
76	فهرس البلدان	221
77	فهرس المراجع	222
78	فهرس الموضوعات	235